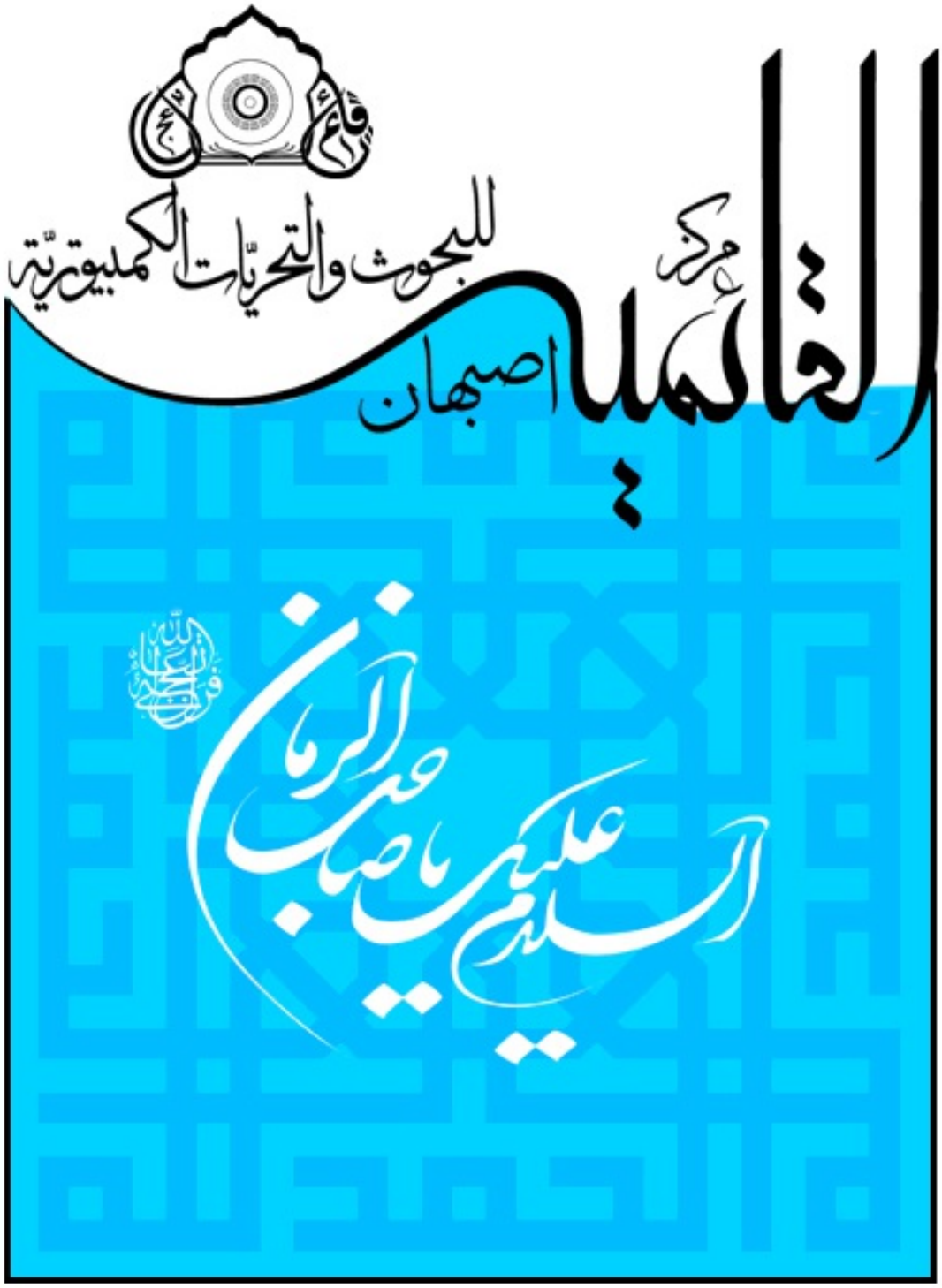

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

ميثاق الحج

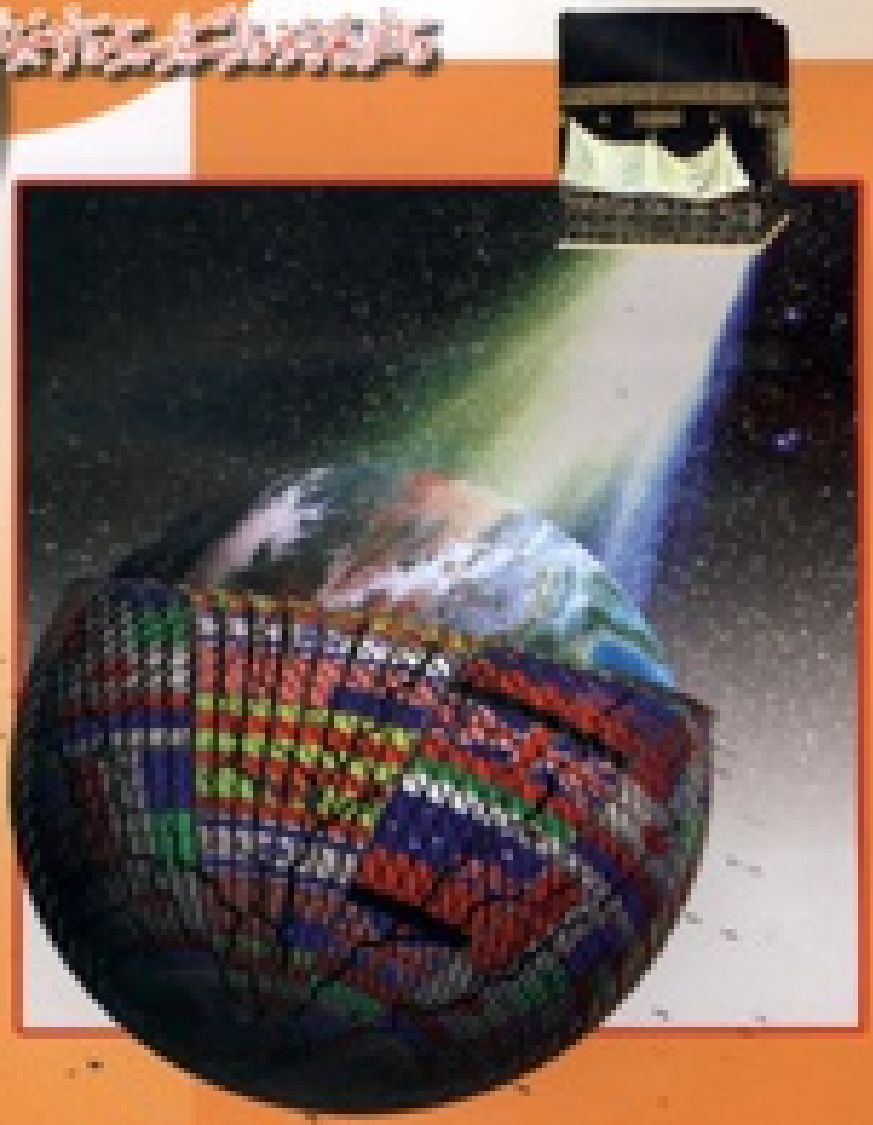

٥

* الطواف من الطابق الأول * فقه التطليل في الحج * وسجداً عند رأي
* مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية
* فلسفة الحج في مدرسة أهل البيت ﷺ * من معالم التراث: رسالتان وقصيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

دو فصلنامه « میقات الحج »

كاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
میقات الحج المجلد۵ ----- ۶
اشارة ----- ۶
کلمة التحریر ----- ۶
الحجّ فی احادیث الامام الخمینی قدس سره ----- ۱۴
الحجّ فی احادیث الامام الخامنئی ----- ۱۷
اسرار الحجّ وأعماله الباطنة من شرح نهج البلاغة ----- ۲۰
مناسک الحجّ والعمرة ----- ۴۰
قرن المنازل ----- ۸۳
الحجر الاسود بین الإمام العابد والسلطان الزائف ----- ۹۹
حِجْر إسماعیل فی مسیرته التأریخیة والفقهیة ----- ۱۰۹
الاستدارة وصلاة الجماعة فی المسجد الحرام ----- ۱۵۲
هل طاف النبیُّ صلی الله علیه و آله و سلم حول الأصنام فی عمرة القضاء ----- ۱۷۵
حوار مع ممثّل الولی الفقیه فی شؤون الحج والزیارة حول موسم الحجّ لهذا العام ----- ۱۸۶
رجال من الحرمین الشریفین (۴) ----- ۲۰۵
مختصر معجم معالم مکة التأریخیة ----- ۲۲۳
المساجد والأماکن الأثریة المجهولة لزائر المدینة المنوّرة المیمونة ----- ۲۳۳
ابو الولید الازرقی وکتابه أخبار مکة ----- ۲۴۴
رسالة الاستاذ واعظ زاده الی الاستاذ بن باز ----- ۲۷۱
تعریف مرکز ----- ۳۲۹

ميقات الحج المجلد۵

اشارة

عنوان و نام پديدآور : ميقات الحج[پيايند: مجله]

مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزيارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -

فاصله انتشار : شش ماه يكبار

يادداشت : عربی

فهرست‌نويسی براساس سال۳ شماره۵ سال۱۴۱۷ق.

يادداشت : اين نشريه در بيروت نيز منتشر می‌شود

يادداشت : المديرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری

رئيس‌التحرير: علی قاضی‌عسكر

يادداشت : كتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشريات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدير مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسكر، سيدعلی، ۱۳۲۵، - سردبير

شناسه افزوده : سازمان حج و زيارت

رده بندی كنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی د... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص:۱

كلمة التحرير

ص:٢

ص:٣

ص:۴

ص: ٥

العدد الخامس

كلمة التحرير

هاهى ميقات وبعددها هذا الذى بين أيديكم تضىء شمعتها المباركة الثالثة، فقبل عامين انضمّت «ميقات الحج» وبتواضع وثبات إلى أُسرة الصحافة الكبيرة حيث انصبّ كلُّ اهتمامها وقتئذ لنيل النصيب الأوفر من الأجر والعناية الإلهية، وانشداد الجمهور المثقّف إليها وكسب ودّه وتثمينه.

واليوم وبعد مضى تينك السنتين تحظى ميقات- وللّه الحمد- بالإقبال من مختلف شرائح القرّاء لماصدر منها إلى الآن، فكانت تلك بحقّ انعطافة لبعث روح الأمل فيها، وكسب رضا الكثيرين تجاهها.

وكنّا قد ذكرنا أن ميقات الحج تسعى لأن تكون ملتقىً لكلِّ الذين يمتلكون الرغبة لخدمة الأهداف العالية التيصدرت من أجلها المجلة، وتوسيع دائرة البحث انسجاماً مع تلك الأهداف والتعميق فى مفاهيمها، ويمكننا القول فى الوقت الحاضر وبثقة: إنّ العلماء الأفاضل والباحثين الكرام وأصحاب

ص: ۶

الأقلام الحرّة قد بذلوا جهوداً مشكورة وأبدوا هممـاً عاليـة، ملبّين بذلك دعوة أُسرة «ميقات الحج» على أكمل وجه.

وقد أشـرنا من قبل إلى أنّ أبواب المجلة مفتوحة لتلقّى البحوث التى تتناول الأبعاد العرفانية والمعنوية للحجّ وتسبر غور أسراره وعلومه وفلسفته، وتبحث المسائل الفقهية، وتسلّط الضوء على العوامل ذات العلاقة من قريب أو بعيد بالسيرة النبوية العطرة من جهة وحياة أهل البيت عليهم السـلام والصـحابة الأجلاء والأحـداث المهمـة التى مرّت بهم فى مكـة والمدينـة ومـدن الحجاز الأخرى من جهـة أخرى، والتعريف بـالحوادث الـتى جرت فى المراكز التأريخيـة واسـتكشاف وبيـان مـا فى الأمـاكن والآثـار الـتى لم يبق من أغلبهـا- للأسـف الشديد- سوى أسماء مجرّدة وحسب لتدونها فى ذاكرة التاريخ.

ويمكننـا القول من أنَّ البحوث التى نُشـرت فى الأعـداد السابقـة، التى تنـاولت الشؤون التأريخيـة والفقهيـة ... نـالت إعجـاب الكثيرين وجلبت أنظار المثقفين وطلاب العلم على السّواء. وفى الوقت الذى نؤكد فيه ضـرورة تعميق البحث والتقصّى فى موضوع الفقه، نتمنّى أن تواصل المجلـة مسيرتها وخطّها الثقافى خلال الأعـداد المقبلـة، ونرجو الاخوة والعلماء الأفاضل أن يُـديموا بحوثهم ويزيـدوا دقتها بتناول المواضيع من مختلف أبعادها مضيفين على ما تحويه عمقاً وجدّية.

ولا شك فى أنَّ التنوّع الحاصل فى البحوث واختلاف دراساتها، وفى نفس الوقت وضع الهـدف الموحّد لتلك البحوث نصب الأعين، والتخصّص الذى اتّسمت به المجلة كانت من جملة العوامل التى جلبت أنظار العلماء والمثقفين نحوها.

ومن خلال حرص الكثيرين من العلماء والباحثين على أن تكون المجلة

ص: ٧

قد استوفت هدفها الأصلى، وتناولت أبعاد ذلك الهدف على مختلف الأصعدة، وبالنظر إلى ثقل وحجم المسؤولية التى تكلّفت المجلة بحملها، فقد أبدى العديد منهم آراءه واقتراحاته التى نلخصها فيما يلى:

١- إنّ المستوى العلمى للمجلة، ولله الحمد، جيّد، وتحتوى على مقالات فى الحج ذات عمق ونفع كبيرين.

٢- إنَّ البحوث التأريخية والمعلومات الجديدة والحديثة فيما يخصّ موطن الوحى ومهبط الرسالة ممتعة جدّاً.

٣- وفيما يتعلّق بالأُسس الخاصة بالتحقيق والبحث، يُرجى الأخذ بنظر الاعتبار الأُمور التالية:

الف- البحث والتحقيق فى الوضع الحالى لأهل الحجاز فى النواحى العقائدية والسياسية والاجتماعية.

ب- البُعد الفقهى والعرفانى والسياسى للحجّ.

ج- الاختلافات الموجودة فى فتاوى علماء الإسلام فيما يخصّ مناسك الحج.

د- إجراء المقابلات مع المسؤولين واستعلام آرائهم حول تأدية تلك المناسك على أكمل وجه.

إنَّ الحجّ فى الواقع رايـة الإسـلام وكمال الدين، حيث إنَّ المسائل المتعلّقة به والأُمور التى تتجلّى فى هذا «الاجتماع العظيم» والحقائق والأسرار المكنونة فيه، سواء فى الأعمال المؤدّاة أم الأبعاد الملحوظة فى الحجّ كثيرة ولا تُحصر بما هو ظاهرى.

عن بكير بن أعين، عن أخيه زرارة قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السـلام: جعلنى اللّه فداك، أسألك فى الحج منذ أربعين عاماً فتفتينى، فقال: يا زرارة، بيت حُجَ

ص: ٨

إليه قبل آدم بألفى عام تريد أن تفنى مسائله فى أربعين عاماً.

لقد وصف اللَّه الحجّ بأنّه «قياماً للناس»، وأنَّ هذا التجمّع البهىّ يحوى منافع عظيمة للأُمة جمعاء. فكيف يوجد كلّ ذلك فى مراسم وشعائر جليلة كهذه، وما هو سبيل الوصول إليها بالنظر إلى الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية للحجّ دون الاهتمام الواسع بتلك الأبعاد وبذل قصارى الجهود فى بحثها؟ وكيف الحصول على كلّ تلك المنافع وما زالت الأُمّة الإسلاميّة تحترق بنيران الفرقة، بينما تسعى الأيادى الظاهرة والخفيّة منها جاهدة لزرع بذور الحقد والغضب فى قلوب أبناء القبلة الواحدة؟ لا ريب فى أنّ الحجّ إنّما هو فرصة ثمينة تعطى للمسلمين فى المجتمع الإسلامى لكى يأتوا إلى الوطن الحبيب، تاركين وراءهم العصبية والجاهلية والإقليمية والعنصرية، فيجتمعوا ويبتكروا وسائل وطرقاً لرفع الجهل وسوء التفاهم وإزالة الأحقاد وترك الضغائن للاستفادة من هذه الفريضة ومنافعها وثمارها، وأن يأخذوا على عاتقهم الخَطْوَ الصحيح باتجاه استرجاع «العزّة المسلوبة» لهذه الأُمّة. وهذا على عليه السلام، يقول: «النّاسُ أعداءُ ما جَهِلُوا»

ولا يوجد موضع ولا مناسبة أفضل من الحج حيث تتمكن الأمة الإسلامية من إزالة الظلمة والجهالة عن المجتمع الإسلامى ومناخه، والتعرّف على حقائق الأحداث التى تجرى داخل الأقاليم المسلمة كما هى، والتخلّص من الظنون السيّئة والآراء المنحرفة، وأن يساهموا فى معرفة الوجوه الحقيقية لبعضهم البعض فى ظِلّ الإدراك الصحيح والفضاء الفكرى الحرّ الواضح.

لا جَرَمَ أنَّ المقالات التى ستتضمن فى داخلها كلَّ أبعاد الحجّ تلك، وتبيّن للجميع الحلول القويمة للمسائل المطروحة، ستكون بحقّ مقالات مفيدة وفعّالة

ص: ۹

ومؤثرة.

وكلّنا أمل فی أن تحوز هذه البحوث علی فُرص نشر كبيرة، وأن تُساعد فی الاطّلاع الصّائب حول الحج وما يخصّه، ومعرفة علومه وأسراره.

وفی الختام نشكر جهود حجة الإسلام الشيخ محمد علی مقدادی والأستاذ محسن الأسدی اللذين بذلا جهوداً كبيرةً فی إصدار الأعداد الخمسة من مجلة ميقات الحج، ونتمنّی لهما الموفقيّة لإصدار الأعداد الآتية من هذه المجلة المباركة إن شاء اللّه.

رئيس التحرير

الحجّ فی احادیث الامام الخمینی قدس سره

ص: ۱۰

الحجّ فی أحادیث الإمام الخمینی قدس سره

یا حجاج بیت اللَّه الحرام! انتبهوا إلی أن السفر إلی الحجّ لیس سفراً للتجارة، ولیس سفراً لتحصیل أمور الدنیا، إنما هو سفر إلی اللَّه. أنتم ذاهبون إلی بیت اللَّه الحرام، فأتمّوا کلّ الأمور والأعمال المطلوبة منکم بطریقة إلهیة. إنّ سفرکم الذی یبدأ من حین التهیّؤ هو وفادة إلی اللَّه، سفر إلی اللَّه تعالی وکما أن الأنبیاء علیهم السلام والعظماء من دیننا مسافرون إلی اللَّه فی جمیع أحوالهم وأوقات حیاتهم، ولم یتخلّفوا خطوة واحدة عن أی شیء فی برنامج الوصول إلی اللَّه، أنتم- أیضاً- یجب أن یکون سفرکم إلی اللَّه تعالی، ففی المیقات الذی تذهبون إلیه تلبون فیه نداء اللَّه، وتقولون لبیک اللهم لبیک، یعنی أنت تدعونا ونحن نجیب الدعوة، معاذ اللَّه أن تقوموا بعمل لا یرضاه اللَّه تبارک وتعالی.

ص: ۱۱

أنـا لاـ أريـدكم ولا اقبلكم إذ كنتم غير إسـلاميين. معاذ اللّه أن تجعلوا هـذا السـفر سـفراً للتجارة أو أن يكون ميـداناً تبحثوا فيه الأمور والمسائل التجارية فيما بينكم.

أيها السادة أهل العلم، أيتها القوافل، يا رؤساء القوافل، يا سائر الحجاج، هذا السفر سفر إلى اللّه وليس سفراً إلى الدنيا، فلا تلوّثوه بها.

*** إن أهم الأمور فی جميع العبـادات هو الإخلاـص فی العمـل. وإذا قـام شـخص- لاـ سـمح اللّه- بعمـل مـا لأجـل التظاهر به أمام الآـخرين، وعرض عمله الجيّـد أمـامهم، فـإن عمله يصـبح باطلًـا. ولينتبه الحجّـاج المحترمون وليواظبوا على عـدم إشـراك غير اللّه فی أعمالهم بأن تكون لوجهه الكريم فقط.

إن الجهات المعنويـة للحج كثيرة، والمهم فيها أن يعرف الحاج إلى أين يذهب ودعوة من يلبّی؟ وأنه ضـيف من؟ وما هی آداب هذه الضيافة؟

وليعلم أن الغرور والنظرة الذاتيـة لاـ يجتمعـان مع حب اللّه وطلبه، بـل يتناقضان مع حبّ اللّه والهجرة إليه، وبالتالی تكونان سـبباً لنقص معنويات الحـج ونقض أجره وثوابه. وإذا ما اكتسب الإنسان الحاج معنويات الحج وأجره وثوابه وقطف ثمار مناسـكه، وإذا ما تحققت لبّيكصادقـة ومقرونة بنداء الحقّ تعالى، حينها ينتصـر الإنسان فی جميع الميادين السياسـية والاجتماعية والثقافية وحتى العسـكرية، ومثل هذا الإنسان لن يعرف الهزيمة.

ص: ۱۲

إلهی اجعل جزءاً من هذا السیر والسلوک المعنوی واجعل الهجرة الإلهیة من نصیبنا جمیعاً.

*** لیلتفت أولئک الذین یذهبون إلی الحج أن لا یخلطوا- لحظة واحدة- حجّهم بالمعاصی. ینبغی أن یکون کلّ شیء إسلامیاً وکل شیء عبادة، لتکن المظاهرات عبادة، ولتکن الشعارات عبادیة، خالیة من المعصیة، لتکن علی النحو الذی أراده اللّه، وأن لا یفعل کلّ واحد منکم ما یرید، وأن یقول لمن یرید کلاماً سیّئاً. یجب أن یکون کلامنا وفعلنا وکلّ شیء طبق برنامج إسلامیصحیح وأن لا نغفل عنه أبداً.

الحجّ فی احادیث الامام الخامنئی

ص: ۱۳

الحجّ فی أحادیث الإمام الخامنئی

(مد ظله العالی)

قال اللّه الحکیم: «وإذ بوّأنا لإبراهیمَ مکانَ البیتِ أن لا تُشرک بی شیئاً وطهّر بیتی للطائفین والقائمین والرّکّع السجود».

شاءت الإرادة الإلهیـة النافذة أن تجمع المؤمنین مرّة أُخری فی منبثق التوحید، ومشـهد رحمة ربّ العالمین وفضـله، وحول محور کعبة القلوب، وفی ساحة قبلة أرواح المسلمین فی العالم ... فتفوّق النداء الملکوتی: «وأذّن فی الناس بالحجّ» علی کلّ الفواصل الطبیعیة منها والمفتعلة المفروضة بین الإخوة المسلمین، ودفع مجامیع القلوب النابضة بالإیمان والآمال المشترکة نحو مرکز التوحّد ووحدة الأمة.

منذ سنوات طوال سعت ید الجهل والعناد إلی أن تفصل الأسرة الإسلامیة الکبری عن حضورها العقائدی، وعن روابطها الإیمانیة.

ولکن فریضة الحجّ السنویة تؤدّی دورها فی تغذیة الأسرة العریقة

ص: ۱۴

الأصیلة بدرس التوحید والوحدة ... وفی کلّ سنة تنفتح أزاهیر جدیدة، تزید عمّا مضی، مبشّرةً بعودة ربیع الإیمان، والحیاة فی ظل الدین، والتآلف والتوادد بین المسلمین ... ومحبطة عمل الأعداء وما کانوا یأفکون.

إنّها لمعجزةُ الحجّ أن نری الوشائج الفکریة والعاطفیة والایمانیة بین الشعوب المسلمة لمّا تنقطع أبداً، وأن التفاعل بین هذه الشعوب یزداد باطّراد رغم کلّ النزاعات والصراعات التی تختلقها وتبثها حکوماتها وأعداؤها.

أسرار الحج ورموزه أکثر من أن یحتویها مقال، غیر أن بینها ثلاث خصائص بارزة تستطیع کلّ عین مستقصیة أن تتعرّفها فی أول نظرة:

الأولی: أن الحج هو الفریضة الوحیدة التی دعا ربّ العالمین الی أدائها جمیع المسلمین- من استطاع الیه سبیلًا- ومن أرجاء العالم کافة، وصوب نقطة واحدة، وفی أیام معلومات، لیربط بینهم فی ألوان من السعی والحرکة والسکون والقیام والقعود.

«ثمّ أفیضوا من حیث أفاض الناس واستغفروا اللَّه إن اللَّه غفور رحیم».

الثانیة: أن الهدف الأسمی فی هذا العمل الجماعی والعلنی والقلبی والنفسی هو ذکر اللَّه:

«ویذکروا اسم اللَّه فی أیام معلوماتٍ علی ما رزقهم من بهیمة الأنعام فکلوا منها وأطعموا البائس الفقیر».

ص: ۱۵

الثالثة: أن الحج يعرض على شاشته المضيئة البيّنة تصويراً كاملًا لحياة الإنسان الموحّد. وبعمل رمزى يلقّن المسلمين درس الحياة المتحركة الهادفة. منذ ورود الميقات وحضور ساحة الإحرام والتلبية والتروك حتى الطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف فى محشر عرفات والمشعر وما فيهما من ذكر وتضرّع وتعارف، وحتى وصول منى وأضحيتها ورمى جمارها وحلقها، ثم العودة إلى الطواف والسعى ... يتلقّى المسلم فيها جميعاً دروساً واضحة بيّنة فى الحركة الهادفة والجماعية والعارفة فى ساحة التوحيد، وعلى درب الحياة وحول محور «اللَّه» سبحانه.

الحياة فى منهج الحج سير دائم بلصيرورة مستمرة نحو اللَّه. والحج هو الدرس العملى الحى البنّاء الذى إن وعيناه يرسم لنا طريق حياتنا فيصورة عملية مشرقة.

اسرار الحجّ وأعماله الباطنة من شرح نهج البلاغة

ص: ۱۶

أسرار الحجّ وأعماله الباطنة من شرح نهج البلاغة

لكمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى

من أعلام القرن السابع الهجرى

اعداد: فارس تبريزيان

بعدما شرعت بكتابة بحث: الحجّ فى نهج البلاغة، واعتمدت فيه على أقدم الشروح وأكثرها اعتباراً، عثرت على بحث لطيف لكمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى، من أعلام القرن السابع الهجرى، حول أسرار الحج وأعماله الباطنة ووجه الحكمة فى الحج، ضمّنه كتابه الشريف شرح نهج البلاغة، ذكره بعد شرحه للمقطع المتضمن لذكر الحج فى آخر الخطبة الأولى من نهج البلاغة.

ورأيتُ بحثه هذا شاملًا لأدقّ المعانى العرفانية فى أسرار الحج وأعماله الباطنة، ذكر فيه الأحاديث المروية عن النبيِّصلى الله عليه و آله و سلم وأهل بيته عليهم السلام، وأشار إلى نكات دقيقة لا توجد فى غيره.

فعزمتُ على إفراد هذا البحث ونشره مستقلًا، ليعمّ به النفع، وإنما سمّيته: أسرار الحج وأعماله الباطنة؛ لأنه قال فى آخر البحث: فهذه هى الإشارة إلى أسرار الحج وأعماله الباطنة.

موجز عن حياة كمال الدين ميثم البحرانى:

ولد ونشأ كمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى فى البحرين، فى بيئة

ص: ۱۷

تحيطه بالعلم والتقوى، وبذل والده فى تربيته أقصى الجهد، واستفرغ فى تأديبه وتهذيبه وسعه، وبوّأه من علمه وحكمته مبوّأصدقٍ.

درس على أساتذة الفنّ العلوم العربية وأتقنها، ثمّ العلوم الشرعية العقلية والنقلية، وصار من العلماء الأتقياء المعروفين.

غلبت عليه العزلة واختارها وأحبها.

جرت بينه وبين علماء العراق مكاتبات، مما أدّت إلى خروجه عن العزلة والتوجّه إلى العراق وإيران لأجل زيارة العتبات المقدسة والاجتماع بالعلماء.

استغرقت رحلته هذه عدّة سنين، وكان فى السفر أيضاً لا يفتر عن المطالعة والبحث، حتّى إنه ألّف شروحه الثلاثة لنهج البلاغة فى السفر.

كان رحمه الله كثير العبادة، كثير المطالعة، كثير الإرشاد للناس والموعظة.

وأما مشايخه فلم تذكر لنا المصادر غير ثلاثه منهم، ونقطع بأنهم أكثر من هذا العدد، أهملت ذكرهم مصادر التراجم:

أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الاصفهانى.

جمال الدين على بن سليمان بن يحيى بن محمد بن قائد بنصباح البحرانى.

نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى.

وروى عن البحرانى بعض الفقهاء والمحدّثين، منهم:

غياث الدين السيد عبد الكريم بن أحمد بن موسى الطاوس الحسنى.

محمد بن على بن محمد بن جهيم الأسدى الحلى، وغيرهما.

وأمّا مؤلفاته:

شروح نهج البلاغة: كبير، ومتوسط، وصغير.

ص: ۱۸

شرح المائة كلمة.

استقصاء النظر فى إمامة الأئمة الاثنى عشر.

البحر الخضيم، فى الإلهيات.

رسالة فى الوحى والإلهام.

شرح الإشارات.

نجاة القيامة فى تحقيق الإمامة، ويحتمل اتحاده مع استقصاء النظر.

القواعد الإلهية فى الكلام والحكمة.

وألّف الشيخ سليمان البحرانى فى أحواله رسالة سماها: السلافة البهية فى الترجمة الميثمية.

توفى قدس سره فى البحرين فى أواخر القرن السابع الهجرى، ودفن بها (۱).

وأمّا هذا البحث- أسرار الحجّ وأعماله الباطنة- فذكره قدس سره فى شرحه على نهج البلاغة الكبير، والذى طبع مرّتين فى خمسة مجلدات، الأولى فى النجف سنة ۱۳۷۹ ه، والثانية فى طهران سنة ۱۴۰۴ ه مطبعة خدمات چاپى، واعتمدنا فى نقله على الطبعة الثانية، والذى يقع فى الجزء الأول منصفحة ۲۲۳ إليصفحة ۲۳۲، وقوّمنا نصّه وصحّحناه بقدر الإمكان، وأضفنا بعض العناوين ووضعناها بين معقوفين.

[بسم اللّه الرحمن الرحيم]

واعلم، أنّا لمّا بيّنّا وجوب العبادات، وأشرنا إلى وجه الحكمة فيها، فبالحرىّ أن نشير إلى وجه الحكمة فى خصوص الحج من جملتها، ونؤخّر تفصيل باقيها إلى مواضعه، إن شاء اللّه.

۱- ۱ تجد ترجمته فى: أمل الآمل ۲/ ۳۳۲، تنقيح المقال ۳/ ۲۶۲، روضات الجنات ۷/ ۲۱۶، الغدير ۴/ ۱۸۸، بحار الأنوار: المقدمة، أنوار البدرين: ۶۲، خاتمة المستدرک ۳/ ۴۶۱، مجالس المؤمنين ۲/ ۲۱۰، لؤلؤة البحرين: ۲۵۳، ومصادر أخرى كثيرة.

ص: ۱۹

[مقدّمة]

فأمّا الحـجّ، فإنّكَ لمّا عرفت أنّ الغرض الأول من العبادات هو جـذب الخلق إلى جناب الحقّ، بالتذكير له ودوام إخطاره بالبال، لتجلّى لكَ الأسرار على طول التذكار، وينتهى فى ذلك من أخذَتِ العنايةُ بيده إلى مقام المخلصين.

فمن جملة أسرار اللَّه سبحانه المنزلَة على لسان رسوله، تعيين موضع من البلاد، أنه أصلح المواضع لعبادة اللَّه، وأنّه خاص له.

ولابدّ أن تُبنى مثل هذه الأوضاع على إشارات ورموز إلى مقاصد حقيقية، يتنبّه لها مَن أخذ التوفيق بزمام عقله إليها.

ولابدّ من تعيين أفعال تفعل فى ذلك المكان، وأنها إنما تفعل فى ذات اللَّه سبحانه.

وأنفع المواضع المعيّنة فى هـذا الباب ما كان مأوى (۱)الشارع ومسكنه، فإنّ ذلك مستلزم لذكره، وذكره مستلزم لذكر اللَّه سبحانه، وذكر ملائكته واليوم الآخر.

ولمّا لم يكن فى المأوى الواحد أن يكون مشاهداً لكلّ أحدٍ من الأمة، فالواجب إذن أن يفرض إليه مهاجرة وسفراً، وإن كان فيه نوع مشقّة وكلفة:

من تعب الأسفار، وإنفاق المال، ومفارقة الأهل والولد والوطن والبلد.

ونحن نذكر فضيلته من جهة السمع، ثم نشير إلى ما ينبغى أن يوظّف فيه من الآداب الدقيقة، [ثم نشير إلى الوظائف القلبية] والأعمال الباطنة عند كلّ حركة وركن من أركان الحج، مما يجرى من تلك الأركان مجرى الأرواح للأبدان.

فإذن هاهنا أبحاث:

۱- ۱ المأوى- بفتح الواو- لكلّ حيوان: مسكنه المصباح المنير: ۳۲ أوى.

ص: ۲۰

البحث الأول:

[فضيلة الحج من جهة السمع]

أمّا الفضيلة، فمن وجوه:

الأول: قوله تعالى: «وَأَذِّنْ فِي النّاس بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رجالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (۱)

، قال قتادة: لمّا أمر اللَّه عزّ وجلّ خليله إبراهيم عليه السلام أن يؤذّن في الناس، [ف] نادى: «أنّ للَّه بيتاً فحجّوه».

وقال تعالى: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ» (۲)

، قيل: التجارة في المواسم والأجر في الآخرة، ولمّا سمع بعض السلف هذا قال: غفر لهم وربّ الكعبة.

الثاني: قال عليه السلام: «مَن حجّ ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه» (۳).

وقد عرفتَ كيفيّة نفع العبادات في الخلاص من الذنوب.

الثالث: قالصلى الله عليه و آله و سلم: «ما رؤى الشيطانُ في يوم هو أصغر ولا أحقر ولا أغيض منه يوم عرفة» (۴).

وما ذلك إلّالما يرى من نزول الرحمة، وتجاوز اللَّه عن الذنوب العظام، إذ يقال: «من الذنوب مالا يكفّرها إلّاالوقوف بعرفة»، أسنده الصادق عليه السلام إلى الرسولصلى الله عليه و آله و سلم (۵).

وكان سرّ ذلك: ما يحصل من رحمة اللَّه، ويُفاض على أسرار العبادة التي قدصفَتْ بشدّة الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم، الذي يجتمع فيه العالم أشدّ اجتماع، فان الاجتماع سببٌ عظيمٌ في الانفعال والخشية للَّهوقبول أنواره، كما سنبينه إن شاء اللَّه.

الرابع: قالصلى الله عليه و آله و سلم: «حجّةٌ مبرورةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، وحجّةٌ مبرورةٌ ليس لها أجرٌ إلّاالجنّة» (۶).

۱- ۱ الحج: ۲۷.

۲- ۲ الحج: ۲۸.

۳- ۳ عوالي اللئالي ۱/ ۴۲۶ ح ۱۱۳، مستدرك الوسائل ۸/ ۴۱ ح ۲۲.

۴- ۴ كنز العمال ۵/ ۷۲- ۷۳ ح ۱۲۱۰۵ و ۱۲۱۰۶، ونقله عن شرح ابن ميثم البحراني هذا، في مستدرك الوسائل ۱۰/ ۴۳ ح ۱۱۴۰۷.

۵- ۵ مثله في المستدرك ۸/ ۳۷ ح ۹۰۱۰، ۱۰/ ۳۰ ح ۱۱۳۸۲.

۶- ۶ مثله في الوسائل ۱۱/ ۹۶ ح ۱۴۳۳۲، المستدرك ۸/ ۴۱ ح ۹۰۲۲ و ۹۰۲۴، البحار ۹۹/ ۱۱ ح ۳۴.

ص: ۲۱

[الخامس] قالصلى الله عليه و آله و سلم: «الحجّاجُ والعمّارُ وَفْدُ اللَّه وزوّاره، إن سألوه أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوه استجاب لهم، وإن شفعوا إليه شفّعهم» (۱).

السادس: روى عنهصلى الله عليه و آله و سلم من طرق أهل بيته عليهم السلام: «أعظم الناس ذنباً مَن وقف بعرفة وظنّ أنّ اللَّه لم يغفر له» (۲).

وفى فضل جزئيات الحج أخبار كثيرة تُطلب من مظانّها (۳).

البحث الثانى:

فى الآداب الدقيقة

وهى عشرة:

الأول: أن تكون النفقة حلالًا، ويخلو القلب عن تجارة تشغله سوى اللَّه تعالى.

وفى الخبر من طريق أهل البيت: «إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج على أربعة أصناف: سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقرّاؤهم للسمعة» (۴).

وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا الّتى يتصور أن تتصل بالحج، فكلّ ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه.

الثانى: أن لا يساعد الصادّين عن سبيل اللَّه والمسجد الحرام بتسليم المكوس (۵) إليهم، فإنّ ذلك إعانة على الظلم، وتسهيل لأسبابه، وجرأة على سائر السالكين إلى اللَّه، وَلْيَحْتَلْ فى الخلاص، فإن لم يقدر فالرجوع أولى من إعانة الظالمين على البدعة وجعلها سنة.

الثالث: التوسّع فى الزاد، وطيب النفس فى البذل، والإنفاق بالعدل، دون

۱- ۱ الكافى ۴/ ۲۵۵ ح ۱۴، التهذيب، ۵/ ۲۴ ح ۷۱، الوسائل ۱۱/ ۹۹ ح ۱۴۳۴۰، وفى جميع هذه المصادر الرواية عن أبى عبد اللَّه عليه السلام.

۲- ۲ الفقيه ۲/ ۱۳۷ ح ۵۸۷، الوسائل ۱۳/ ۵۴۷ ح ۱۸۴۰۷، مستدرك الوسائل ۱۰/ ۲۹- ۳۰ ح ۱۱۳۷۹- ۱۱۳۸۱.

۳- ۳ راجع: الوسائل ۱۱/ ۹۳ ب ۳۸ وغيره من الأبواب، المستدرك ۸/ ۲۴ ب ۲۴ وغيره من الأبواب.

۴- ۴ موسوعة أطرف الحديث ۱/ ۳۷۴، عن إتحاف السادة المتقين للزبيدى.

۵- ۵ المكس: الجباية، جمع على مكوس، وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً. المصباح المنير: ۵۷۷ مكس.

ص: ۲۲

البُخل والتبذير، فإنّ بذلَ الزادِ فی طریق مکهٔ إنفاقٌ فی سبیل اللّه.

قالصلی الله علیه و آله و سلم: «الحجّ المبرور لیس له أجرٌ إلّاالجنهٔ»، فقیل: یا رسول اللّه ما برّ الحجّ؟ قال: «طیب الکلام، وإطعام الطعام» (۱).

الرابع: ترک الرَفَثَ والفُسُوق والجدال، کما قال تعالی: «فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِی الْحَجِّ» (۲).

والرفث: کلّ لغوٍ وفحشٍ من الکلام، ویدخل فی ذلک محادثهٔ النساء بشأن الجماع المحرّم، فإنّها تهیّج داعیته، وهی مقدّمهٔ له، فتحرم، ومن لطف الشارع إقامهٔ مظنّهٔ الشیء مقام الشیء حسماً لمادّته.

والفسوق: الخروج عن طاعهٔ اللّه.

والجدال: هو المماراهٔ والخصومهٔ الموجبهٔ للضغائن والأحقاد وافتراق کلمهٔ الخلق (۳).

وکلّ ذلک ضدّ مقصود الشارع من الحجّ، وشغلٌ عن ذکر اللّه.

الخامس: ۰ ن یحج ماشیاً مع القدرهٔ ونشاط النفس، فإنّ ذلک أفضل وأدخل للنفس فی الإذعان لعبودیهٔ اللّه.

وقال بعض العلماء: الرکوب أفضل، لما فیه من مؤونهٔ الإنفاق، ولأنّه أبعد من الملال، وأقلّ للأذی، وأقرب إلی السلامهٔ وأداء الحجّ.

وهذا التحقیق غیر مخالف لما قلناه، والحقّ التفصیل، فیقال: مَن سهل علیه المشی فهو أفضل، فإن أضعف وأدّی إلی سوء خلق وقصور عن العمل فالرکوب أفضل، لأنّ المقصود توفّر القوی علی ذکر اللّه تعالی، وعدم المشتغلات عنه.

السادس: أن یرکب الزاملهٔ، دون المحمل، لاشتماله علی زیّ المترفین والمتکبرین، ولأنه أخفّ علی البعیر، اللهمّ إلّالعذرٍ.

۱- ۱ جامع أحادیث الشیعهٔ ۱۰/ ۱۶۶ ح ۴۸۴ عن عوالی اللئالی.

۲- ۲ البقرهٔ: ۱۹۷.

۳- ۳ فی بعض النسخ: الحق.

ص: ۲۳

حجّ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم على راحلته، وكان تحته رحل رثّ وقطيفة خلقة، قيمته أربعة دراهم، وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هيأته وشمائله، وقال:

«خذوا عنّى مناسككم».

السابع: أن يخرج رثّ الهيأة، أقرب إلى الشعث، غير مستكثر من الزينة وأسباب التفاخر، فيخرج [فإذا استكثر خرج] بذلك عن حزب السالكين وشعار الصالحين.

روى عنهصلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «إنّما الحاجّ الشعث التفث (۱)، يقول اللَّه تعالى لملائكته: انظروا إلى زوّار بيتى قد جاؤونى، شعثاً غبراً من كلّ فجّ» (۲).

وقال تعالى: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» (۳)

، والتفث: الشعث والإغبرار، وقضاؤه: بالحلق وتقليم الأظفار.

الثامن: أن يرفق بالدابة، ولا يحملها ما لا تطيق.

كان أهل الورع لا ينامون على الدابة إلّاغفوة من قعود.

قالصلى الله عليه و آله و سلم: «لا تتخذوا ظهور دوابّكم كرسىّ» (۴).

ويستحب أن ينزل عن دابته غدوّة وعشيّة، يروّحها بذلك، فهو سنّة.

وسرّ ذلك: مراعاة الرقّة والرحمة، والتخلّى عن القسوة والظلم، ولأنّه يخرج بالعسف عن قانون العدل ومراعاة عناية اللَّه وشمولها، فإنها كما لحقت الإنسان لحقت سائر الحيوان.

التاسع: أن يتقرب بإراقة دمٍ، ويجتهد أن يكون سميناً ثميناً.

روى: أن عمر أهدى نجيبة، فطُلبت منه بثلاثمائة دينار، فسأل رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بُدُناً، فنهاه رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وقال: «بل اهدها» (۵)، وذلك لأن المقصود ليس تكثير اللحم، وإنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن رذيلة البُخل وتزيينها بجمال التعظيم للَّه، «لَن ينالَ اللَّهَ لحُومُها وَلا

۱- ۱ تَفِثَ تَفَثاً فهو تفِثٌ: إذا ترك الإدّهان والاستحداد فعلاه الوسخ. المصباح المنير: ۷۵ تفث.

۲- ۲ عوالى اللئالى ۴/ ۳۶ ح ۱۲۳، المستدرك ۸/ ۴۱ ح ۹۰۲۳.

۳- ۳ الحج: ۲۹.

۴- ۴ مسند أحمد ۳/ ۴۴۱، باختلاف، وفى الوسائل ۱۱/ ۴۸۱ ح ۱۵۳۱۳: «لا تتخذوا ظهورها مجالس».

۵- ۵ كنز العمال ۵/ ۲۳۳ ح ۱۲۷۲۲، باختلاف.

ص: ۲۴

دِمَاؤُها وَلِكنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُم» (۱).

قالصلى الله عليه و آله و سلم: «ما عمل آدميّ من عملٍ يوم النحر أحبّ إلى اللَّه عزّ وجلّ من إهراق الدم إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من اللَّه بمكانٍ قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً» (۲).

العاشر: أن يكون طيّب النفس بما أنفقه من هدى وغيره، وبما أصابه من خسران ونقيصة مال، إن أصابه ذلك فإنّه بذلك يكون مكتفياً إلى اللَّه سبحانه عن كلّ ما أنفقه، متعوّضاً عنه ما عند اللَّه، وذلك علامة لقبول حجّه.

البحث الثالث:

فى الوظائف القلبية عند كلّ عمل من أعمال الحجّ

اعلم، أنّ أول الحج فهم موقع الحجّ فى الدين، ثمّ الشوق إليه، ثمّ العزم عليه، ثمّ قطع العلائق المانعة عنه، ثمّ تهيئة أسباب الوصول إليه من الزاد والراحلة، ثمّ السير، ثمّ الإحرام من الميقات بالتلبية، ثمّ دخول مكة، ثمّ استتمام الأفعال المشهورة.

وفى كلّ حالة من هذه الحالات تذكرةٌ للمتذكّر، وعبرة للمعتبر، ونبّهٌ للمريد الصادق، وإشارةٌ للفطن الحاذق، إلى أسرار يقف عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه إن ساعده التوفيق.

أمّا الفهم:

فاعلم، أنه لا- وصول إلى اللَّه إلّابتنحية ما عداه عن القصد من المشتهيات البدنية واللذات الدنيوية، والتجريد فى جميع الحالات، والاقتصار على الضروريات، ولهذا انفرد الرهبان فى الأعصار السالفة عن الخلق فى قلل

۱- ۱ الحج: ۳۷.

۲- ۲ كنز العمال ۵/ ۸۴ ح ۱۲۱۵۳.

ص: ۲۵

الجبال، توحّشاً من الخلق، وطلباً للأُنس بالخالق، وأعرضوا عن جميع ما سواه، ولذلك مدحهم بقوله: «ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» (۱).

فلمّا اندرس ذلك، وأقبل الخلق على اتّباع الشهوات، والإقبال على الدنيا، والالتفات عن اللّه، بعث نبيّهصلى الله عليه و آله و سلم، لإحياء طريق الآخرة، وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها، فسأله أهل الملل عن الرهبانيّة والسياحة فى دينه، فقال:

«أبدلنا بها الجهاد والتكبير على كلّ شرف» يعنى: الحج، وسئل عن السائحين، فقال: «هم الصائمون»، فجعل سبحانه الحجّ رهباينة لهذه الأمّة.

فشرّف البيت العتيق بإضافته إلى نفسه، ونصبه مقصداً لعباده، وجعل ما حوله حرماً لبيته، تفخيماً لأمره، وتعظيماً لشأنه، وجعل عرفات كالميدان على باب حرمه، وأكّد حرمة الموضع بتحريمصيده وشجره، ووضعه على مثال حضرة الملوك، يقصده الزوّار من كلّ فجّ عميق، شعثاً غبراً، متواضعين لربّ البيت، مستكينين له خضوعاً بجلاله واستكانةً لعزّته، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحومه مكان، ليكون ذلك أبلغ فى رقّهم وعبوديّتهم.

ولذلك وظّف عليهم فيها أعمالًا لا تأنس بها النفوس، ولا تهتدى إلى معانيها العقول، كرمى الجمار بالأحجار، والتردّد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار.

وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرقّ والعبودية، بخلاف سائر العبادات، كالزكاة التى هى إنفاق فى وجه معلوم وللعقل إليه ميل، والصوم الذى هو كسر للشهوة التى هى عدوّ للّهوتفرغ للعبادة بالكفّ عن الشواغل، وكالركوع والسجود فى الصلاة الّذى هو تواضع للّهسبحانه بأفعال على هيئات التواضع وللنفوس أنسٌ بتعظيم اللّه تعالى.

۱- ۱ المائدة: ۸۲.

ص: ۲۶

وأمّا أمثال هـذه الأعمال، فإنه لا اهتـداء للعقل إلى أسـرارها، فلا يكون للإقـدام عليها باعث إلّاالأمر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتبـاع فقـط، وفيه عزل للعقـل عن تصـرّفه، وصـرف النفس والطبع عن محـلّ أنسه المعين على الفعل من حيث هو، فإنّ كلّ ما أدرك العقـل وجه الحكمـة فى فعله مال الطبع إليه ميلًا تاماً، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً على الفعل، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد، ولذلك قالصلى الله عليه و آله و سلم فى الحج على الخصوص:

«لبّيك بحجّة حقّاً تعبّداً ورقّاً» (۱)، ولم يقل ذلك فى الصلاة وغيرها.

وإذا اقتضت حكمـة اللَّه سـبحانه ربط نجاة الخلق بكون أعمالهم على خلاف أهويـة طباعهم، وأن تكون أزمتها بيـد الشارع، فيتردّدون فى أعمالهم على سـنن الانقياد ومقتضـى الاسـتعباد، كان ما لا يهتـدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات، وصـرفها عن مقتضـى الطبع إلى مقتضى الاسترقاق، ولهذا كان مصدر تعجب النفوس من الأفعال العجيبة هو الذهول عن أسرار التعبدات.

وأما الشوق:

فبـاعثه الفهم أنّ البيت بيت اللَّه، وأنه وضع على مثـال حضـرة الملوك، فقاصـده قاصـدٌ للَّه‌تعالى، ومَن قصـد حضـرة اللَّه تعالى بالمثال المحسوس، فجدير أن يترقى منه بحسب سوق شوقه إلى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التى هى فى السماء، وقد بنى هذا البيت على قصدها، فيشاهد وجه ربّه الأعلى بحكم وعده الكريم.

وأمّا العزم:

فليستحضر فى ذهنه أنه لعزمه مفارقٌ للأهل والولد، هاجر للشهوات

۱- ۱ كنز العمال ۵/ ۳۲ ح ۱۱۹۲۱، وص ۱۴۹ ح ۱۲۴۱۶، مع اختلاف.

ص: ۲۷

واللذات، مهاجرٌ إلى ربّه، متوجّهٌ إلى زيارة بيته.

وليعظّم قدر البيت لقدر ربّ البيت، وليخلص عزمه للّه، ويبعده عن شوائب الرياء والسمعة، فإن ذلك شركٌ خفيٌّ، وليتحقّق أنه لا يقبل من عمله وقصده إلّاالخالص، وأنّ من أقبح المقابح أن يقصد بيت الملك وحَرَمَهُ مع اطلاع ذلك الملك على خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويكون قصده غيره، فإنّ ذلك استبدال للذى هو أدنى بالّذى هو خير.

أمّا قطع العلائق:

فحذف جميع الخواطر عن قلبه، غير قصد عبادة اللّه، والتوبة الخالصة له عن الظلم وأنواع المعاصى، فكلّ مظلمة علاقةٌ، وكلّ علاقة خصمٌ حاضرٌ متعلّقٌ به ينادى عليه ويقول:

أتقصد بيت الملوك وهو مطّلع على تضييع أمره لك فى منزلك هذا، وتستهين به، ولا تلتفت إلى نواهيه وزواجره، ولا تستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيغلق دونك أبواب رحمته، ويلقيك فى مهاوى نقمته، فإن كنت راغباً فى قبول زيارتك فأبرز إليه من جميع معاصيك، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك، لتتوجّه إليه بوجه قلبك، كما أنتَ متوجّهٌ إلى بيته بوجه ظاهرك.

وليذكر عند قطعه العلائق لسفر الحجّ قطع العلائق لسفر الآخرة، فإنّ كلّ هذه أمثلة قريبة يترقّى منها إلى أسرارها.

وأمّا الزاد:

فليطلبه من موضع حلالٍ، فإذا أحسّ من نفسه بالحرص على استكثاره

ص: ۲۸

وطيبه وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغيّر قبل بلوغ المقصد، فليذكر أنّ سفر الآخرة أطول من هذا السفر، وأنّ زاده التقوى، وأما ما عداه لا يصلح زاداً، ولا يبقى معه إلّاريثما هو فى هذا المنزل.

وليحذر أن يفسد أعماله التى هى زاده إلى الآخرة بشوائب الرياء، وكدورات التقصير، فيدخل فى قوله تعالى: «هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيا وهُمْ يَحْسبونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَصُنْعاً» (۱).

وكذلك فليلاحظ عند ركوب دابّته تسخير الحيوان له، وحمله عنه الأذى، ويتذكّر منّتهِ تعالى لشمول عنايته ورأفته، حيث يقول: «وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيه إِلّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ» (۲)

، فيشكره سبحانه على جزيل هذه النعمة وعظيم هذه المنّة.

ويستحضر نقلته من مركبه إلى منازل الآخرة، التى لا شك فيه، ولعلّه أقرب من ركوبه الحاضر، فيحتاط فى أمره.

وليعلم أنّ هذه أمثلة محسوسة، يترقّى منها إلى مراكب النجاة من الشقّة الكبرى، وهى عذاب اللَّه سبحانه.

وأما ثوب الإحرام وشراؤه ولبسه:

فليتذكّر معه الكفن، ودرجه فيه، ولعلّه أقرب إليه.

وليتذكّر منها التسربل بأنوار اللَّه الّتى لا مخلص من عذابه إلّابها، فيجهد فى تحصيلها بقدر إمكانه.

وأمّا الخروج من البلد:

فليستحضر عنده أنّه يفارق الأهل والولد، متوجّهاً إلى اللَّه سبحانه فى

۱- ۱ الكهف: ۱۰۳- ۱۰۴.

۲- ۲ النحل: ۷.

ص: ۲۹

سفر غير أسفار الدنيا.

ويستحضر أيضاً غايته من ذلك السفر، وأنه متوجّه إلى ملك الملوك وجبّار الجبابرة، فى جملة الزائرين الذين نودوا فأجابوا، وشوّقوا ما اشتاقوا، وقطعوا العلائق، وفارقوا الخلائق، وأقبلوا على بيت اللَّه طلباً لرضى اللَّه وطمعاً فى النظر إلى وجهه الكريم.

وليحضر أيضاً فى قلبه رجاء الوصول إلى الملك، والقبول له بسعة فضله، وليعتقد أنّه إن مات دون الوصول إلى البيت لقى اللَّه وافداً عليه، لقوله تعالى: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيتِهِ مهاجراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّه» (۱).

وليتذكر فى أثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق عقبات الآخرة، ومن السباع والحيّات حشرات القبر، ومن وحشة البرارى وحشة القبر وانفراده عن الأنس، فإنّ كلّ هذه الأمور جاذبة إلى اللَّه سبحانه ومذكّرة له أمر معاده.

وأمّا الإحرام والتلبية من الميقات:

فليستحضر أنه إجابة نداء اللَّه تعالى، وليكن فى قبول إجابته بين خوف ورجاء، مفوّضاً أمره إلى اللَّه، متوكّلًا على فضله.

قال سفيان بن عيينة: حجّ زين العابدين على بن الحسين عليه السلام، فلمّا أحرم واستوت به راحلته، اصفرّ لونه، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبّى، فقيل له: ألا تلبّى، فقال: «أخشى أن يقول: لا لبّيك ولا سعديك!»، فلمّا لبّى غشى عليه وسقط عن راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتّى قضى حجّه (۲).

فانظر رحمك اللَّه إلى هذه النفس الطاهرة، حيث بلغ بها الاستعداد

۱- ۱ النساء: ۱۰۰.

۲- ۲ راجع: نهاية الارب ۲۱: ۳۲۶، تهذيب التهذيب ۷: ۳۰۶.

ص: ۳۰

لإفاضة أنوار اللَّه، لم تزل الغواشى الإلهية والنفحات الربّانيّة تغشاها، فيغيب عن كلّ شىء سوى جلال اللَّه وعظمته.

وليتذكّر عند إجابته نداء اللَّه سبحانه، إجابة ندائه بالنفخ فى الصور، وحشر الخلق من القبور، وازدحامهم فى عرصات القيامة، مجيبين لندائه، منقسمين إلى: مقرّبين، وممقوتين، ومقبولين، ومردودين، ومردّدين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء، تردّد الحاج فى الميقات: حيث لا يدرون أيتيسّر لهم إتمام الحجّ أم لا.

أما دخول مكة:

فليستحضر عنده أنه قد انتهى إلى حرم اللَّه الآمن، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب اللَّه، وليخش أن لا يكون من أهل القرب، وليكن رجاؤه أغلب، فإنّ الكريم عميم، وشرف البيت عظيم، وحقّ الزائر مرعى، وذمام اللائذ المستجير غير مضيّع، خصوصاً عند أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

ويستحضر أنّ هذا الحرم مثال للحرم الحقيقى، لترقى من الشوق إلى دخول هذا الحرم والأمن بدخوله من العقاب، إلى الشوق إلى دخول ذلك الحرم والمقام الأمين.

وإذا وقع بعده على البيت فليستحضر عظمته فى قلبه، وليترقّ بفكره إلى مشاهدة حضرة ربّ البيت فى جوار الملائكة المقرّبين، وليتشوّق أن يرزقه النظر إلى وجهه الكريم، كما رزقه الوصول إلى بيته العظيم، وليتكثّر من الذكر والشكر على تبليغ اللَّه إيّاه هذه المرتبة.

وبالجملة، فلا يغفل عن تذكير أحوال الآخرة فى كلّ ما يراه، فإنّ كلّ

ص: ۳۱

أحوال الحجّ ومنازله دليل يترقّى منه إلى مشاهدة أحوال الآخرة.

وأمّا الطواف بالبيت:

فليستحضر فى قلبه التعظيم والخوف والخشية والمحبّة، وليعلم أنّه بذلك متشبّه بالملائكة المقرّبين الحافين حول العرش الطائفين حوله. ولا- تظنّن أنّ المقصود طواف جسمك بالبيت، بل طواف قلبك بذكر ربّ البيت، حتّى لا تبتدئ بالذكر إلّامنه، ولا تختم إلّابه، كما تبدأ بالبيت وتختم به.

واعلم أنّ الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية، وأنّ البيت مثال ظاهر فى عالم الشهادة لتلك الحضرة التى هى عالم الغيب، كما أنّ الإنسان الظاهر مثال الظاهر فى عالم الشهادة للإنسان الباطن الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب، وأن عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له باب الرحمة، وأخذت العناية الإلهية بيده لسلوك الصراط المستقيم.

وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة الإلهية: بأنّ البيت المعمور فى السماء بإزاء الكعبة، وأنّ طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت (۱).

ولمّا قصرت مرتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أُمروا بالتشبّه بهم بحسب الإمكان، ووعدوا بأنّ مَن تشبّه بقومٍ فهو منهم، ثمّ كثيراً ما يزداد ذلك التشبيه إلى أن يصير فى قوّة المشبّه به، والّذى يبلغ تلك المرتبة فهو الّذى يقال:

إنّ الكعبة تزوره وتطوف به، على مارواه بعض المكاشفين لبعض أولياء اللّه.

وأمّا الاستلام:

فليستحضر عنده أنّه مبايع للّه‌على طاعته، ومصمّم عزيمته على الوفاء

۱- ۱ الوسائل ۱۳: ۲۹۶ ح ۱۷۷۸۸، وغيره.

ص: ۳۲

ببيعته، «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنكُثُ عَلَى نَفْسِه وَمَنْ أَوْفَى بِما عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» (۱).

ولذلك قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم: «الحجر الأسود يمين اللَّه فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه» (۲).

ولمّا قبّله عمر قال: إنى لأعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع، ولولا أنّى رأيت رسول اللَّه يقبّلك لَما قبّلتكَ!! فقال له علىّ عليه السلام: «مه يا عمر، بل يضرّ وينفع، فإنّ اللَّه سبحانه لمّا أخذ الميثاق على بنى آدم حيث يقول: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم» الآية (۳)، ألقمه هذا الحجر ليكون شاهداً عليهم بأداء أمانتهم، وذلك معنى قول الإنسان عند استلامه: أمانتى أدّيتها وميثاقى تعاهدته لتشهد لى عند رّبك بالموافاة» (۴).

وأمّا التعلّق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم:

فليستحضر فيه طلب القرب، حّباً للَّهوشوقاً إلى لقائه، تبركاً بالمماسة ورجاءً للتحصن من النار، فى كلّ جزءٍ من البيت.

ولتكن النية فى التعلّق بالستر الإلحاح فى طلب الرحمة (۵)، وتوجيه الذهن إلى الواحد الحقّ، وسؤال الأمان من عذابه، كالمذنب المتعلّق بأذيال من عصاه، المتضرع إليه فى عفوه عنه، المعترف له بأنه لا ملجأ إلّاإليه، ولا مفزع له إلّاعفوه وكرمه، وأنه لا يفارق ذيله إلّابالعفو وبذل الطاعة فى المستقبل.

وأمّا السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت:

فمثال لتردّد العبد بفناء دار الملك، جائياً وذاهباً، مرّةً بعد أخرى، إظهاراً للخلوص فى الخدمة، ورجاءً لملاحظته بعين الرحمة، كالّذى دخل على الملك

۱- ۱ الفتح: ۱۰.

۲- ۲ المحاسن: ۶۵، البحار ۹۹: ۲۲۵ ح ۲۲، مع أختلاف يسير.

۳- ۳ الأعراف: ۱۷۲.

۴- ۴ الوسائل ۱۳: ۳۱۳ ب ۱۲ من أبواب الطواف، وغيره.

۵- ۵ فى بعض النسخ: الراحة.

ص: ۳۳

وخرج وهو لا يـدرى ما الّـذى يقضـى الملك فى حقّه من قبول أو ردّ، فيكون تردّده رجاء أن يرحمه فى الثانيـة إن لم يكن رحمه فى الأولى.

وليتذكّر عند تردّده بين الصفا والمروة تردّده بين كفتى الميزان فى عرصة القيامة، وليمثل الصفا بكفّة الحسنات والمروة بكفّة السيّئات، وليتذكّر تردّده بين الكفتين، ملاحظاً للرجحان والنقصان، متردّداً بين العذاب والغفران.

وأمّا الوقوف بعرفة:

فليتـذكر بمـا يرى من ازدحام الناس، وارتفاع الأصوات، واختلاف اللغات، واتباع الفرق أئمّتهم فى التردّدات على المشاعر- اقتفاءً لهم وسـيراً بسـيرتهم- عرصات القيامـة، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمـة، واقتفاء كلّ أمّـة أثر نبيّها، وطمعهم فى شـفاعتهم، وتجرّدهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الردّ والقبول.

وإذا تـذكّر ذلـك فيلزم قلبه الضـراعة والابتهـال إلى اللّه أن يحشـره فى زمرة الفـائزين المرحومين، ولكن رجـاؤه أغلب، فـإنّ الموقف شريف، والرحمـة إنّمـا تصـل من حضـرة الجلال إلى كافّـة الخلائق بواسـطة النفوس الكاملـة من أوتاد الأرض، ولا يخلو الموقف عن طائفة من الأبدال والأوتاد وطوائف من الصالحين وأرباب القلوب.

فإن اجتمعت هممهم، وتجردت للضـراعة نفوسـهم، وارتفعت إلى اللّه أيـديهم، وامتدّت إليه أعناقهم، يرمقون بأبصارهم جهة الرحمة، طالبين لها، فلا تظنّن أنه يخيب سعيهم من رحمةٍ تغمرهم.

ويلوح لك من اجتماعهم الأمم بعرفات، والاسـتظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد، وهو السرّ الأعظم من الحج ومقاصده،

ص: ۳۴

فلا طريق إلى استنزال رحمة اللّه واستدرارها أعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد عليصعيد واحد.

وأمّا رمى الجمار:

فليقصد به الانقياد لأمر اللّه، وإظهار الرقّ والعبودية.

ثمّ ليقصد به التشبّه بإبراهيم عليه السلام، حيث عرض له إبليس فى ذلك الموضع، ليدخل على حجّه شبهة، أو يفتنه بمعصية، فأمره اللّه تعالى أن يرميه بالحجارة، طرداً له وقطعاً لأمله (۱).

فإن خطر له أنّ الشيطان عرض لإبراهيم عليه السلام ولم يعرض له، فليعلم أن هذا الخاطر من الشيطان، وهو الذى ألقاه على قلبه، ليخيّل إليه أنه لا فائدة فى الرمى، وأنه يشبه اللعب. وليطرده عن نفسه بالجدّ والتشمير فى الرمى فيه، يرغم فيه أنف الشيطان، فإنه وإن كان فى الظاهر رمياً للعقبة بالحصى، فهو فى الحقيقة رمى لوجه إبليس وقصم لظهره، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلّابامتثال أمر اللّه، تعظيماً لمجرّد الأمر.

وأمّا ذبح الهدى:

فليعلم أنّه تقرّب إلى اللّه تعالى بحكم الامتثال، فليكمل الهدى وأجزاءه، وليرج أن يعتق اللّه بكلّ جزءٍ منه جزءاً من النار، هكذا ورد الوعد، فكلّما كان الهدى أكثر وأوفر كان الفداء به من النار أتمّ وأعمّ، وهو يشبه التقرب إلى الملك بالذبح له وإتمام الضيافة والقرى، والغاية منه تذكّر المعبود الأول سبحانه عند النية فى الذبح، واعتقاد أنه متقرب به بأجزائه إلى اللّه.

فهذه هى الإشارة إلى أسرار الحج وأعماله الباطنة.

۱- ۱ الوسائل ۱۴: ۲۶۳ ح ۱۹۱۵۳، ۱۹۱۵۴، ۱۹۱۵۶، ۱۹۱۵۷.

ص: ۳۵

الهوامش:

مناسک الحجّ والعمرة

ص:۳۶

ص: ۳۷

مناسک الحجّ والعمرة (۱) تألیف: الشهید الثانی قدس سره

تحقیق: أبو الحسن المطلبی ورضا المختاری

نَحْمَدکَ اللهمّ یا مَنْ شَرَعَ لنا مسالکَ الأحکام، وشَرَحَ لنا مَناسکَ حجِّ بیتهِ الحرام، ونَشْکُرکَ علی ما فَضَّلتَنا به مِن فضائلِ الإکرام، وغَمَرْتَنا به مِن جلائِل الإنعامَ، ونُصلِّی ونُسَلِّمُ علی نبیِّک محمَّدٍ الداعی إلی دار السلام: أشْرَفِ مَنْ طافَ بالبیت الحرام، وسَعی بینَ الرُکنِ والمَقام، وعلی آله المخصوصینَ بالتطهیر مِن بینِ الأنام،صلاةً وسلاماً دائمَیْنِ بَدوام اللَیالی والأیّام.

وبعدُ، فهذه جملةٌ کافِلةٌ ببیان واجبات الحجِّ والعمرة، ونَبْذَةٌ مِن سُنَنِهما الفِعلیة، وأذکارِهما اللفظیة، ووظائِفِهما القلبیة، حاوَلْتُ فیها بَسْطَ اللفظِ وسُهولةَ المعنی، طلباً للتسهیل، ورَجاءً للثواب الجزیل.

وَرَتَّبْتُها علی مقدِّمةٍ ومقالتینِ وخاتمةٍ.

أما المقدِّمةُ: فاعْلَمْ أنّ الحجَّ رکنٌ عظیم مِن أرکان الإسلام، ومفهومه مشتهرٌ بینَ ذَوی الأفهام، وتعریفُه الصِناعی مع عِزَّة سلامتِهِ لا یَلیقُ بحثُه بهذا

۱- ۱ للشهید الثانی قدس سره ثلاث رسائل فی مناسک الحج تمّ نشرها فی مجلتنا هذه وهی: نیات الحج والعمرة، العدد الثانی أقل ما یجب معرفته من أحکام الحج والعمرة، العدد الثالث مناسک الحج والعمرة، العدد الخامس، مخطوط غیر مطبوع.

ص: ۳۸

المَقام، والحَثُّ علیه فی الکتاب والسُنَّة أوْضَحُ دلیلٍ لمَنْ فَکَّرَ فی ذلک مِن العالَمین، وناهیک بقوله تعالی: «وَلِلَّهِ عَلی الناسِ حِجُّ البَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَیْهِ سَبیلًا وَمَنْ کَفَرَ فإنّ اللَّهَ غَنیٌّ عَنِ العالَمینَ» (۱)

. وفی الآیة ضُروبٌ من التأکید علیه جَلیةُ المبانی تُعْلَمُ مِنصِناعة المَعانی. ونحوها من السُنَّةِ المُطَهَّرةِ قولهصلی الله علیه و آله و سلم:

مَنْ وَجَبَ علیه الحَجُّ ولم یَحُجَّ فَلْیَمُتْ إنْ شاء یهودیاً وإنْ شاء نصرانیاً (۲).

ویَکْفِیکَ فی فضله مِن جِهة الاعتبار أنّه جَمَعَ ضُروباً مِن العبادات کالصلاة، وبَذْلِ المال المضاهِیءِ لِلزَکَواتِ والأخْماسِ والکفّاراتِ، والصَوْمِ- علی بعض الوجوه- والتعرُّضِ للجهاد کذلک، مع اشتماله علی أنواعِ المَشاقِّ والأهوالِ، والتَغْریرِ بالنفس والمال، ومفارَقَةِ الأهل والولد والوطن والبلد، إلی غیر ذلک مِن المزایا، ومِن هنا وَرَدَ فیه مِن الثواب الجَزیلِ ما قد تَضافَرَتْ به الأخبارُ عن النبیِّ وآله الأطهارِصَلَواتُ اللَّه علیهم: فعن النبیّصلی الله علیه و آله و سلم:

مَنْ حَجَّ ولم یَرْفُثْ ولم یَفْسُقْ خَرَجَ مِن ذُنوبه کیومِ وَلَدَتْه أُمُّه (۳).

وعنهصلی الله علیه و آله و سلم:

الحُجّاج والعُمّار وَفْدُ اللَّهِ وزُوّارُهُ، إنْ سألوه أعْطاهم وإنِ اسْتَغْفَروه غَفَرَ لهم، وإنْ دَعَوه اسْتَجابَ لهم، وإنْ شَفَعوا إلیه شَفَّعَهم (۴).

وعنهصلی الله علیه و آله و سلم:

حجّة مبرورة خیرٌ من الدنیا وما فیها، وحجّةٌ مَبرورةٌ لیس لها أجْرٌ إلّا الجَنّة (۵).

وعنهصلی الله علیه و آله و سلم:

مارُئیَ الشیطان فی یومٍ هو [فیه] أصْغرُ ولا أدْحَرُ ولا أحْقرُ ولا أغْیَظُ منه یومَ عَرَفةَ، وذلک لِما یَری فیه مِن نُزول الرحمة وتجاوُزِ اللَّهِ

۱- ۱ آل عمران ۳: ۹۷.

۲- ۲ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۸۵؛ لبّ اللباب کما رواه فی مستدرک الوسائل ۸: ۱۸- ۱۹ ح ۸۹۵۶ باب ثبوت الکفر والارتداد بترک الحجِّ وتسویفه استخفافاً أو جحوداً ح ۵؛ عوالی اللآلی ۱: ۸۷ ح ۱۸ مع اختلافٍ.

۳- ۳ احیاء علوم الدین ۱: ۲۸۶.

۴- ۴ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۸۷.

۵- ۵ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۸۷ وفیها «جزاء» بدل «أجر».

ص: ۳۹

عن الذنوب العظام (۱).

وعنهصلی الله علیه و آله و سلم:

إذا تَوَجَّهْتَ إلی سبیل الحجِّ ثُمَّ رَکِبتَ راحِلتَک وقلتَ: بسم اللَّه الرحمن الرحیم، ومَضَتْ بک راحِلتُک لم تَضَعْ راحِلتُک خُفّاً وتَرْفَعْ خُفّاً إلّاکَتَبَ اللَّهُ لک حسنةً، ومَحا عنک سیِّئةً، فإذا أحْرَمْتَ ولبَّیتَ کتب اللَّه لک بکلِّ تلبیة عَشْرَ حَسناتٍ، ومحا عنک عَشْرَ سیّئاتٍ.

فإذا طُفْتَ بالبیت أُسبوعاً کان لک بذلک عند اللَّه عَهْدٌ وذِکْرٌ یَسْتَحْیی أنْ یُعذِّبَک بعدَه. فإذاصَلَّیْتَ عند المَقام رکعتینِ کَتَبَ اللَّهُ لک بهما ألفی رکعةٍ مقبولةٍ. فإذا سَعَیتَ بینَ الصفا والمرَوة سبعةَ أشواطٍ، کان لک بذلک عند اللَّه عزَّ وجلَّ مثلُ أجرِ مَنْ حجَّ ماشیاً من بلاده، ومثلُ أجرِ مَنْ أعْتَقَ سبعینَ رقبةً مؤمنةً. فإذا وَقَفْتَ بعَرفات إلی غروب الشمس فلو کان علیک مِن الذنوب مثلُ رَمْلِ عالج وزبدِ البحر لَغَفَرها لک. فإذا رَمیْتَ الجِمارَ کَتَبَ اللَّه لک بکلِّ حَصاة عَشَرَ حسنات. فإذا ذَبَحَت هَدْیَک کَتَبَ اللَّه لک بکلِّ قطرةٍ مِن دمها حَسَنةً. فإذا طُفْتَ بالبیتِ للزیارة أُسبوعاً وصَلَّیْتَ عندَ المقام رکعتینِ ضَرَبَ مَلَکٌ کریمٌ بینَ کَتفَیْک، وقال: «أما وامضِ فقد غَفَرَ اللَّه لک» (۲).

وعن مولانا الصادق علیه السلام:

مَنْ حَجَّ هذا البیتَ بتیّةٍصادقةٍ جَعَله اللَّهُ فی الرفیق الأعلی مع النبیّین والصدّیقینَ والشهداء والصالحینَ وحَسُنَ أُولئک رفیقاً (۳).

وغیر ذلک مِن الأحادیثِ (۴).

ویُستحبُّ لمنْ أرادَ الحجَّ قَطْعُ العلائقِ بینَه وبینَ مُعامِلیه، وإیصالُ کلِّ ذی

۱- ۱ موطّأ مالک ۱: ۴۲۲ کتاب الحجّ ح ۲۴۵ باب جامع الحجّ؛ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۸۶.

۲- ۲ الفقیه ۲: ۱۳۰- ۱۳۲ ح ۵۵۱ وباب فضائل الحجّ ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۲۰- ۲۱ ح ۵۷ باب ثواب الحج ح ۳ مع اختلاف فی الألفاظ، والجملة الأخیرة فی الفقیه هکذا: «أمّا ما مضی فقد غُفِرَ لک، فاستأنف العملَ فیما بینک وبین عشرین ومائة یوم». وما أثبتناه مطابق للنسخ.

۳- ۳ الفقیه ۲: ۱۵۲- ۱۵۳ ح ۶۶۴ باب نکت فی حج الأنبیاء والمرسلینصلوات اللَّه علیهم أجمعین، ح ۱۴ والقسم الأخیر من الحدیث الشریف اقتباس من الآیة ۶۹ من النساء ۴.

۴- ۴ انظر وسائل الشیعة ۱۱: ۷- ۱۶ أبواب وجوب الحجّ وشرائطه الباب ۱؛ بحار الأنوار ۹۹: ۲- ۲۶ باب وجوب الحجّ وفضله وعقاب ترکه.

ص: ۴۰

حقِّه، واختيارُ يومِصالحٍ للسفر كالسَّبْتِ والثُّلاثاء ورفيقٍصالحٍ، وتحسينُ الخُلُقِ زيادةً على الحَضَر، والتَوَسُّعُ فى الزاد، وطِيبُ النَّفْسِ فى البَذل، والإنفاقُ بالعَدلِ دونَ البُخْل والتقتير والتبذيرِ؛ فإنّ بَذْلَ الزادِ فى طريق مكَّةَ إنفاقٌ فى سبيل اللَّه. قالصلى الله عليه و آله و سلم:

الحجُّ المبرورُ ليس له أجرٌ إلّا الجنّةَ. فقيل: يا رسولَ اللَّه ما بِرُّ الحجِّ؟

قال: طِيبُ الكلام وإطعامُ الطعام (۱).

وعن الصادق عليه السلام:

درهمٌ واحدٌ فى الحجِّ أفضلُ مِن ألفى ألفِ درهم فيما سِواه فى سبيل اللَّه، والهديّةُ مِن نفقة الحج (۲).

فإذا عَزَمَ على الخروجصَلّى فى منزله ركعتينِ؛ فإنّهما أفضلُ ما اسْتَخْلَفَه

الرجلُ على أهله، ويقول بعدهما: «اللهُمَّ إنّى أسْتَوْدِعُكَ نَفْسى وأهلى ومالى وذُرِّيتى ودنياى وآخرتى وأمانتى وخاتمةَ عملى»، فيُعطيه اللَّهُ ما يَسْألُ، كما ورد فى الخبر (۳).

ويَفتَتِحُ سفرَه بالصدقة، ثمّ يَقومُ على باب داره ويَقرأ فاتحةَ الكتاب وآيةَ الكرسىِّ أمامَه الذى يتوجَّه نحوَه وعن يمينه وشماله، ويَدْعو بكلمات الفرج مُضِيفاً إليها:

اللهمَّ احْفَظْنى واحْفَظْ ما معى، وسَلِّمْنى وسلِّمْ ما معى، وبَلِّغْنى وبلِّغْ ما معى ببلاغِكَ الحَسَنِ الجميلِ (۴)، الحمد للَّهربِّ العالمين- ثم يقول:-

اللهمَّ كُنْ لى جاراً مِنْ كُلِّ جبّارٍ عنيدٍ، ومِنْ كُلِّ شيطانٍ مريدٍ- ثم يقول:- بِسم اللَّه دَخَلْتُ، وبسم اللَّه خَرَجْتُ، وفى سبيل اللَّه تَوَجَّهتُ، اللهُمّ إنّى أُقَدِّمُ بين يدى نِسْيانى وعَجَلتى، بسم اللَّه وما شاء اللَّه فى سفرى هذا، ذكرتُه أو نَسِيتُهُ، اللهمَّ أنت المُسْتعان على الأُمور كُلِّها، وأنتَ الصاحب

۱- ۱ إحياء علوم الدين ۱: ۳۱۱.

۲- ۲ مجموعة الجباعى الورقة ۷۱ ب؛ بحار الأنوار ۹۹: ۱۵ باب وجوب الحجِّ وفضله وعقاب تركه ح ۴۷ وفيهما: «وروى: درهماً فى الحجّ أفضل من ألفى درهم فيما سواه فى سبيل اللَّه، والحاجّ على نور الحجّ ما لم يلمّ بذنبٍ، وهدّية الحجّ مِن نفقة الحجّ».

۳- ۳ الكافى ۴: ۲۸۳ باب القول عند الخروج من بيته وفضل الصدقة ح ۱؛ الفقيه ۲: ۱۷۷ ح ۷۸۹: باب ما يستحبّ للمسافر من الصلاة إذا أراد الخروج؛ تهذيب الأحكام ۵: ۴۹ ح ۱۵۲ باب العمل والقول عند الخروج ح ۱۵.

۴- ۴ الكافى ۴: ۲۸۴ باب القول إذا خرج الرجل من بيته ح ۱؛ الفقيه ۲: ۱۷۷ ح ۷۹۰ باب ما يستحبّ للمسافرمن الدعاء عند خروجه فى السفر؛ تهذيب الأحكام ۵: ۴۹- ۵۰ ح ۱۵۳ باب العمل والقول عند الخروج ح ۱۶.

ص: ۴۱

فی السفر والخلیفة فی الأهل، اللهمَّ هَوِّنْ علینا سَفَرنا، واطوِ لنا الأرضَ، وسَیِّرْنا فیها بطاعتک وطاعةِ رسولک، اللهمَّ أصْلِحْ لنا ظَهْرَنا، وبارِکْ لنا فیما رَزَقْتَنا، وقِنا عذابَ النار، اللهمَّ إنیِّ أعوذُ بک مِنْ وَعْثاءِ السفر وکَآبةِ المنْقَلَب وسوءِ المنْظَر فی الأهل والمال والولد، اللهمَّ أنت عَضُدی وناصِری، بک أحُلُّ وبک أسِیرُ، اللهُمّ إنِّی أسألک فی سفری هذا السرورَ والعملَ بما یُرْضِیک عنّی، اللهمَّ اقْطَعْ عنی بُعدَه ومَشَقَّتَه، واصْحَبْنی فیه، واخْلُفنِی فی أهلی بخیرٍ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّاباللَّه، اللهمَّ إنیِّ عبدُک، وهذا حُمْلانُک (۱)، والوجهُ وجُهک، والسفرُ إلیک، وقد اطَّلَعْتَ علی ما لم

یَطَّلِعْ علیه أحدٌ غیرُک، فاجْعَلْ سَفَری هذا کفّارةً لِما قَبْلَهَ مِنْ ذنوبی، وکُنْ عوناً لی علیه، واکفنی وَعْثَه ومَشَقَّتَه، ولَقِّنی مِنَ القول والعملِ رضاک؛ فإنّما أنا عبدُک وبِک ولَک (۲).

ثمّ ینوی: أتوجَّه إلی البیت الحرام والمشاعِرِ العظامِ لأعْتَمِرَ عمرةَ الإسلام عمرةَ التمتُّع وأحُجَّ حجَّ الإسلام حجَّ التمتُّعِ لوجوبه قربةً إلی اللَّه.

ولیَخْرُج مُتَحَنِّکاً لِیَرْجِعَ إلی أهله سالِماً، متطهِّراً لِتُقضی حاجتُه، فإذا وَضَعَ رِجلَه فی الرکاب فلیَقُلْ:

«بسم اللَّه الرحمن الرحیم، بسم اللَّه واللَّه أکبرُ».

فإذا اسْتَوی علی راحلته فلیَقُلْ

: الحمد للَّهالذی هدانا للإسلام، ومَنَّ علینا بمحمَّدٍصلی الله علیه و آله و سلم، سُبْحانَ اللَّه، سُبحانَ الذی سَخَّرَ لنا هذا وما کُنّا له مُقْرِنینَ وإنّا إلی ربِّنا لَمُنقَلِبون (۳). والحمدُ للَّهربِّ العالمین، اللهمَّ أنت الحاملُ علی الظَهْر،

والمُسْتعانُ علی الأمر، اللهمَّ بَلِّغْنا بَلاغاً یُبلِّغ إلی خیرٍ، بلاغاً یُبَلِّغُ به إلی مَغْفِرَتِک ورضوانِک، اللهمَّ لا طیرَ إلّاطیرُکَ ولا خیرَ إلّاخیرُک، ولا حافِظَ غیرُک (۴).

۱- ۱ «الحُمْلان: ما تُحمَل علیه الهدایا من الدواب» المعجم الوسیط ۱: ۱۹۹ حمل.

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۸۴- ۲۸۵ باب القول إذا خرج الرجل من بیته ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۵۰- ۵۱ ح ۱۵۴ باب العمل والقول عند الخروج ح ۱۷ وفیه: «فی سبیل اللَّه جاهدت» بدل «فی سبیل اللَّه توجَّهتُ». قال الفیض الکاشانی رحمه الله فی الوافی ۱۲: ۲۶۵ فی توضیح الدعاء «الجار الذی یؤمن مَن أخافه ... المرید المبالغ فی العصیان والعُتوّ. دخلت أی فی السفر أو هذه العبارة. خرجت أی مِن بیتی، أو مّما کنت فیه. وفی سبیل اللَّه أی توجَّهت أو دخلت وخرجت وهو عطف علی بسم اللَّه. انّی اقدّم أی أقول هاتین الکلمتین فی أوّل أمری وابتداء سفری لکلِّ أمرٍ عَرَضَ لی فی تمام هذا السفر مّما ینبغی أنْ أقولَهما عنده ... بین یدی نسیانی وعجلتی أی قبل أنْ أنساهما أو أعجل عنهما، أو أنسی شیئاً أو أعجل عن شیء. أنت الصاحب فی السفر والخلیفة فی الأهل هاتان الصفتان مّما لا یجتمعان فی واحد سِوی اللَّه جَلَّتْ کبریاؤه ... واطوْ: اقطع وقرِّبْ، ظهرنا: ما نرکبه من البعیر وغیره، والظهر یقال لما غلظ من الأرض أیضاً. وعثاء السفر: مشقَّته. کآبة المنقلب: الرجوع من السفر بالغم والحزن الانکسار، بک أحُلُّ بضم الحاء من الحلول أی أحُلُّ بالمنزل وهو فی مقابلة أسیر. والحُملان بالضمّ: ما یُحْمَلُ علیه من الدوابّ. والوجه وجهک أی الجهة التی أتوجّه إلیها إنّما هی جهتک، وفی معناه: والسفر إلیک. والوعث: الطریق العسر ...».

۳- ۳ اقتباس من الآیتین ۱۳- ۱۴ من الزخرف ۴۳.

۴- ۴ الکافی ۴: ۲۸۴- ۲۸۵ باب القول إذا خرج الرجل من بیته ح ۲؛ تهذیب الأحکام ۵: ۵۰- ۵۱ ح ۱۵۴ باب العمل والقول عند

الخروج ح ۱۷.

ص: ۴۲

وينبغى أنْ يَخْرُج رَثَّ (۱) الهيئةِ أقْرَبَ إلى الشَعَث، مُلازِماً ذلك فى السفر، فخيرُ الحاجِّ الشَعِثُ التَفِثُ (۲). يقُول اللَّهُ لملائكته: «انظُروا إلى زُوّار بيتى قد جاؤونى شُعْثاً غُبْراً مِنْ كُلِّ فَجٍ عَميقٍ (۳) أُشْهِدُكم أنّى قد غَفَرتُ لهم» (۴).

وأنْ يَرْكبَ الراحِلةَ دونَ المَحْمِلِ إلّالِعذرٍ، تأسِّياً بالنبيّصلى الله عليه و آله و سلم، فإنّه حَجَ على راحِلته وكان تحتَه رَحْلٌ رَثٌّ وقَطِيفةٌ خَلِقَةٌ قيمته أربعةُ دراهمَ، وطافَ على الراحلةِ لِيَنْظُرَ الناسَ، وقال: «خُذوا عنّى مناسِككم» (۵).

وأنْ يَمْشِىَ مع القدرة، فإنّ ذلك أفْضَلُ وأدْخَلُ فى الإذعانِ لعبوديةِ اللَّه تعالى، اللهُمَّ إلّاأنْ يُنافِىَ ما هو أفضلُ منه.

وأنْ يَرْفُقَ بالدابَّةِ ولا يُحَمِّلَها ما لا تَطِيقُ، وأنْ يَنْزِلَ عنها غُدْوَةً وعَشِيَّةً.

وأنْ يُصَلِّىَ فى كلِّ منزلٍ ركعتينِ عند النُزول والارتحالِ.

وأنْ يَقولَ عند مشاهَدةِ المنازلِ والقُرى:

اللهُمَّ ربَّ السماء وما أظَلَّتْ، وربَّ الأرضِ وما أقَلَّتْ، وربَّ الرياح وما ذَرَتْ، وربَّ الأنهار وما جَرَتْ، عَرِّفْنا خيرَ هذه القريةِ وخيرَ أهلها، وأعِذْنا مِن شرِّها وشرِّ أهلها، إنّك على كُلِّ شىءٍ قدير (۶).

وأنْ يكونَ طَيِّبَ النفس بما يُنْفِقُه وبما يُصِيبه مُتَعَوِّضاً عنه بما عند اللَّه، فإنّ ذلك مِن علامةِ قبول الحجّ.

وأنْ يُحْضِرَ قلبَه فى حركاته وسكناته؛ فإنّه روح العبادة فيَتَبَيَّنُ له بذلك أنّ هذا السفر مثالٌ لسفر الآخرة؛ فيَتَذَكَّرُ بوصيّته قبلَ السفر وجَمْعِ أهلِهِ اجتماعَهم على وصيّتِه عند إشرافه على لقاء اللَّه تعالى؛ بتهيئته الزادَ والراحلةَ وملاحَظَةِ الاحتياجِ إليهما والتعرُّضِ للهلاك عند التقصيرِ فيهما- مع قِصَرِ هذا السفرِ- شدَّةَ احتياجه إلى ذلك فى سفر الآخرة، وتَعَرُّضَه- بل وقُوعَه فى الهلاك- عند التقصير فى زاده مِن الأعمال الصالحة والتوجُّهات الُمخْلِصة الناجِحة؛ وبِذِلَّتِهِ وانكساره

۱- ۱ «فلان رثُّ الهيئة، وفى هيئته رثاثة، أى بَذاذة» الصحاح ۱: ۲۸۲- ۲۸۳، رثت

۲- ۲ إشارةٌ إلى حديث مرويّ فى أحياء علوم الدين ۱: ۲۱۲. و «رجلٌ شَعِث» أى وسخ الجسد. وفى المعجمالوسيط ۱: ۸۵ تفث: «تَفِثَ يَتْفَثُ تَفَثاً: تَرَك الادّهانَ والحلقَ فَعَلاه الوَسَخُ والغُبارُ، فهو تَفِث. التَفَث: ما يصيبُ المحرِم بالحجّ من ترك الادّهان والغَسل والحَلْق؛ وإزالته من مناسك الحجّ».

۳- ۳ كما ذُكر فى الآية ۲۷ من سورة الحج.

۴- ۴ إحياء علوم الدين ۱: ۲۱۲، وليس فيه قوله: «اشهدكم أنّى قد غفرتُ لهم».

۵- ۵ إحياء علوم الدين ۱: ۲۱۲.

۶- ۶ المحاسن: ۲۷۴؛ بحار الأنوار ۷۶: ۲۴۸- ۲۴۹ باب حمل العصا وإدارة الحنك و ... ح ۴۲.

ص: ۴۳

- عندَ مشاهَدَةِ ذَوَی الأخطار العظیمة والثَروة الجسیمة مع نُفودِ زاده ونِفاقِ راحِلته- ما یَلْقاه المُقَصِّرُ مِن الذُلِّ والانکسار حین تجتمع الخلائقُ ببضائع (۱) الآخرة والمتاجِرِ الفاخرةِ، وهو مُفْلِسٌ مِن الأعمال مُضَیِّعٌ نفسَه بسابق الإهمال، إلی غیر ذلک من التنبیهات إلی آخر الأفعال، وسیأتی جملةٌ منها فی الخاتمة إنْ شاء اللَّهُ تعالی.

وقاعدةُ ذلک کُلِّهِ ومرجِعُه إلی ما روی عن مولانا الصادق علیه السلام أنّه قال:

إذا أردتَ الحجَّ فجرِّد قلبَک للَّه‌تعالی مِن کلِّ شاغِلٍ وحجابِ کلِّ حاجب؛ وفَوِّضْ أُمورَک کلَّها إلی خالقک؛ وتوکَّلْ علیه فی جمیع ما یظهر مِن حرکاتک وسکناتک؛ وسَلِّمْ لقضائه وحُکْمه وقَدَرِه؛ وودِّع الدنیا والراحةَ والخَلْقَ؛ واخْرُجْ مِن حقوقٍ تَلْزَمُک مِن جِهة المخلوقین؛ ولا تَعْتَمِدْ علی زادک وراحلتک وأصحابک وقُوَّتِک وشَبابک ومالک، مخافةَ أنْ یَصیرَ ذلک (۲) عَدُوّاً ووَبالًا، فإنّ مَنْ ادَّعی رِضا اللَّهِ واعْتَمَدَ علی ما سِواهصَیَّره علیه وَبالًا وعدُوّاً، لیعلَمَ أنّه لیس له قُوّةٌ ولا حیلةٌ ولا لأحدٍ إلّابعصمة اللَّه تعالی وتوفیقه؛ واسْتَعِدَّ استعدادَ مَنْ لا یَرجو الرجوعَ؛ وأحْسِنِ الصُحْبةَ؛ وراعِ أوقاتَ فرائضِ اللَّه وسُنَنِ نبیِّهصلی الله علیه و آله و سلم، وما یجبُ علیک مِن الأدب والاحتمالِ والصبرِ والشکر والشَفَقَةِ والسخاءِ وإیثارِ الزادِ علی دوام الأوقاتِ؛ ثمّ اغْسِلْ بماء التوبة الخالصة ذُنوبَک؛ والْبَسْ کُسْوةَ (۳) الصدقِ والصفاء والخضوع والخشوع؛ وأحْرِم من کُلِّ شیءٍ یَمْنَعُک عن ذکر اللَّه تعالی ویَحْجُبُک عن طاعته؛ ولَبِّ بمعنی إجابةصافیة خالصة زاکیة للَّه‌عزّ وجلّ فی دعوتک مُتَمَسِّکاً بالعروة الوثقی؛ وطُفْ بقلبک مع الملائکة حولَ العرش کطوافک مع المسلمین

۱- ۱ «البِضاعة: ما یُتَّجَرُ فیه. الجمع: بضائع» المعجم الوسیط ۱: ۶۰ بضع.

۲- ۲ فی المصدر: «أنْ یَصیروا لک عدّواً».

۳- ۳ «الکُسْوَة: الثوب یُسْتَتَرُ به ویُتَحَلّی. الجمع: کُساً» المعجم الوسیط ۲: ۷۸۸ کسو.

ص: ۴۴

بنفسک حولَ البیت؛ وهَرْولَ هَرْولةً مِن هَواک وتبرّؤاً مِن حولک وقوّتک، واخْرُجْ مِنْ غَفْلتِک وزَلّاتِک بخروجک إلی مِنیً، ولا تَتَمَنَّ ما لا یَحِلُّ لک ولا تَسْتَحِقُّه؛ واعترِفْ بالخطایا بعَرَفاتٍ؛ وجَدِّدْ عهدَک عند اللّه تعالی بوحدانیته، وتقرَّبْ إلیه واتَّقِه بمُزْدَلَفَةَ؛ واصْعَدْ بروحک إلی الملإ الأعلی بصعودک إلی جبل؛ واذْبَحِ الهوی والطمع عندَ الذبیحة؛ وَارمِ الشهواتِ والخَساسة والدَناءة والذمیمة عندَ رَمْی الجَمَراتِ؛ واحْلَقِ العیوبَ الظاهرةَ والباطنةَ بِحَلْقِ شَعْرِک؛ وادخُلْ فی أمان اللّه تعالی وکَنَفِه وَسترِه وکَلاءته مِن متابعة مرادک بدخولک الحرمَ؛ ودُرْ حولَ البیت مُتَحقِّقاً لتعظیمصاحبه ومعرفةِ جلاله وسلطانه؛ واسْتَلِم الحَجَرَ رضاً بقسمته وخضوعاً لعزَّته؛ ووَدِّعْ ما سِواه بطَواف الوَداع، وأصْفِ روحَک وسِرَّک للقائه یومَ تَلْقاه بوقُوفک علی الصفا؛ وکُنْ بِمَرأی من اللّه عند المَروة؛ واسْتَقِمْ علی شرط حجِّک هذا ووفاء عهدک الذی عاهَدتَ مع ربِّک، وأوْجَبْتَه له إلی یوم القیامة.

واعلم بأنّ اللّهَ تعالی لم یَفترضِ الحجَّ ولم یَخُصَّه مِن جمیع الطاعات بالإضافة إلی نفسه بقوله عَزَّ وجلَّ: «وللّه علی الناسِ حِجُّ البَیتِ مَنِ اسْتَطاع إلیه سبیلًا» (۱)

إلّاللاستعانة علی الموت والقبر والبَعْثِ والقیامة والجنّة والنار بمشاهَدَةَ (۲) مناسِکِ الحجِّ مِن أوَّلها إلی آخرها، وفی ذلک عِبرةٌ لأُولی الألباب والنُهی (۳) انتهی.

ولْنَشْرَعِ الآنَ فی الأحکام الشرعیة:

فاعلم أنّ الحجَّ ثلاثةُ أنواعٍ: تمتُّعٍ وقِرانٍ وإفرادٍ، فالتمتُّعُ فَرْضُ مَنْ نأی عن مکَّةَ بثمانیةٍ وأربعین مِیلًا، والآخرانِ فَرْضُ حاضریها ومَن فی حکمهم. والفرقُ

۱- ۱ آل عمران ۳: ۹۷.

۲- ۲ فی بعض النسخ: «بشاهد»، وفی بعضها: «لشاهد»، وفی بعضها «بشهادة».

۳- ۳ مصباح الشریعة ۱۴۲- ۱۵۰؛ بحار الأنوار ۹۹: ۱۲۴- ۱۲۵ باب جوامع آداب الحجّ ح ۱.

ص: ۴۵

بینَهما أنّ التمتُّعَ تُقَدَّمُ فیه العمرةُ علی الحجِّ، ولیس فی عُمرته طوافُ النساء بخلافهما، ویَخْتَصّانِ عنه أیضاً بجَواز تقدیم طواف الحجِّ علی الخروج إلی عرفةَ لغیر عذرٍ. الفرقُ بینَهما- مع اشتراکهما فی تلک الأحکام- انحصارُ عقدِ إحْرام الإفراد فی التلبیة، والتخییرُ فی القِران بینهما وبَیْنَ سیاق الهَدْی.

إذا تقرَّرَ ذلک فأفعالُ عُمْرة التمتُّع سبعةٌ: الإحرامُ والتلبیةُ ولُبس ثوبی الإحرام والطوافُ ورَکعتاه والسعیُ والتقصیرُ.

وأفعالُ عُمرة الإفراد جمیعُ ذلک مع طواف النساء بعد التقصیر ورَکْعَتَیْه.

وأفعالُ الحجِّ بأنواعه سِتّةَ عَشَرَ: الإحرامُ والتلبیةُ واللُبْسُ والوقوفُ بعرفةَ والمَبیتُ بالمشعر والوقوفُ به ورَمْیُ جَمْرة العَقَبَةِ والذَبْحُ والحَلْقُ والتقصیرُ وطَوافُ الحجِّ ورکعتاه والسعیُ وطوافُ النساء ورکعتاه والمَبیتُ بِمنًی لیالیَ التشریق ورَمْیُ الجَمَراتِ الثلاث.

والأرکانُ من ذلک أحَدَ عَشَرَ: الإحرامان والتلبیتانِ والطوافانِ والسعیانِ والوقوفانِ والترتیبُ بین الأفعال. والمرادُ بالرکن هنا ما یَبْطُلُ الحجُّ بترکه عَمداً لا سَهواً، إلّاأنْ یکونَ الفائتُ الوقوفینِ فیَبْطُل وإنْ کان سهواً، ولا یَبْطُلُ بفَواتِ باقی الأفعال وإنْ کان عمداً.

المقالةُ الأُولی فی أفعال عمرة التمتُّع وفیها فصولٌ:

الأوَّلُ: الإحرامُ وتوابعهُ، وهو توطین النفس علی تَرْکِ أُمورٍ مخصوصةٍ إلی أنْ یأتیَ بالُمحَلِّلِ، وسَیأتی تفصیلهُ. وتلک التُروک منها ما یَشْتَرِکُ بینَ الذَکَر وغیره وهو سِتّةَ عَشَرَ:صَیْدُ البَرِّ الُمحَلَّل المُمْتَنِع بالأصالة وسِتّةٍ من الُمحرَّم: الأسدِ والثَعْلَبِ والأرْنَبِ والضَبِّ والیَربوعِ والقُنْفُذِ، اصطیاداً وأکْلًا وذَبْحاً ودلالةً وإغْلاقاً، مباشَرَةً وتسبیباً ولو بإعارة الآلة، والاستمتاعُ بالجِماع ومقدِّماته حتّی

ص: ۴۶

العقـد، والطِيبُ بأنواعه شـمّاً وسُـعُوطاً وإطلاءً وكَحْلًا وصَبْغاً وغيرَها، والاكتحالُ بالسَواد، والادِّهانُ مطلقاً، وإخْراجُ الـدم، وقَلْمُ الأظافِر، وإزالةُ الشَـعْرِ وقَطْعُ الحشـيشِ والشـجرِ النابتَيْن فى الحرم إلّاالإذْخِرَ والمَحالةَ وعُودَيْها وشجرَ الفواكِهِ والنابتَ فى ملكه، والكَذِبُ مطلقاً، والجِـدالُ وهو الحَلْف مطلقاً، ولُبْسُ الخاتَم، والحِنّاءُ للزِينة لا للسـنَّة- فيهما- والفارقُ القصدُ ولُبْسُ السِـلاح اختياراً، وقتلُ هوامِّ الجَسَـدِ كالقَمْل، والنظرُ فى المرآة.

ومنهـا ما يَخْتَصُّ بالرجل، وهو لُبْسُ المَخِيطِ وإنْ قَلَّت [الخياطـةُ] عـدا المِنْطَقـةِ والهِمْيانِ، ويَلْحَقُ به الزَرُّ والخَلالُ وما أحاطَ بالبـدن من اللِبـد والـدِرْع المَنسوجِ وغيرِهمـا مّمـا أشْـبَهَ المخيـطَ، والتظليلُ سائراً اختياراً ولا يَحْرُمُ المشـىُ فى ظِلِّ المَحْمِل ولا المرورُ تحتَ الظِلِّ، وتَغْطيةُ الرأس ولو بالارتماسِ. وفى اختصاصه بتحريم سَتْرِ ظَهْرِ القَدَمِ بالخُفِّ ونحوِه أو عموم التحريم قولانِ (۱)، أقربُهما الأوّلُ.

ومنها ما يَخْتَصُّ بالمرأة، وهو تغطيـةُ الوجه إلّاالقـدرَ الـذى يَتَوقَّفُ عليه تغطيـةُ الرأس فيَحْرمُ عليها النِقابُ ونحوهُ، ويجوزُ لها أنْ تَسـدُلَ قِناعَهـا بحيثُ لاـ يُصـيبُ وجَهها، ولُبْسُ مـا لم تَعْتَـدْه مِن الحَلْى ومـا اعْتادَتْه بقصـد الزِينَـةَ لا بـدونها، لكنْ يُحْرُمُ عليها إظهارُه للزوج. والخُنثى المُشكِلُ فى ذلك كالرَجُل إلّافى كَشفِ الرأسِ فيَتَخَيَّرُ بينَه وبينَ كشفِ الوجه.

ويُشْتَرَطُ فى الإحرام إيقاعُه فى أحد المواقيت التى وَقَّتَها رسولُ اللَّهصـلى الله عليه و آله و سلم وهى: مسجد الشجرة لأهل المدينة ومَن اجتازبها والجُحْفَةُ لأهل المصـر والشام إنْ مَرّوا بها، ويَلَمْلَمُ لأهل اليمن، وقَرْنُ المنازِلِ لأهل الطائف، والعَقِيقُ لأهل العراق وهو المَسْلَخُ وذاتُ عِرْقٍ ومـا بينَهمـا، وأفضـلُه أوّلهُ، ومَنْ كان منزلُه دونَ المِيقات فميقاتُه منزلهُ. ولو سَـلَكَ طريقاً لا يَمُرُّ بميقاتٍ أحْرَمَ عنـد مُحاذاة الميقاتِ ولو ظنّاً، ولا فرقَ فى ذلك بينَ البَرِّ والبحر.

۱- ۱ مختلف الشيعة ۴: ۱۰۵- ۱۰۷ المسألة ۶۷.

ص: ۴۷

وهذه المواقيتُ لحجِّ القِرانِ والإفراد ولعمرة التمتُّع وللمفرَدة إذا مَرَّ عليها.

ولو كان بمكّةَ خرج لها إلى أدنى الحِلِّ. ومِيقاتُ حجِّ التمتُّع اختياراً مكَّةُ، وأفضلها المسجدُ وأفضلُه المَقامُ أو تحتَ المِيزابِ.

ويُشتَرطُ أيضاً فى غير عمرة الإفراد وقوعُه فى أشْهُرِ الحجِّ وهى شوّالٌ وذو القَعْدةِ وذو الحِجَّةِ.

ويُسْتَحَبُّ قبلَ الإحرام تَوْفيرُ شَعْرِ الرأس من أوَّل ذى القِعْدة، ويَتأكَّدُ عند هِلال ذى الحِجّةِ واستكمالُ التنظيفِ عندَه بإزالة شَعْرِ الإبطِ (۱) والعانةِ بالحَلْق- وأفَضْلُ منه الاطّلاءُ (۲) وإنْ كان مُطَّلِياً قبلَ ذلك، ما لم يَقْصُرْ وقتهُ عن خَمْسةَ عَشَرَ يوماً فلا يتأكَّد الاستحباب- وقَصِّ الأظفارِ وإزالة الشَعَثِ. والغُسْلُ على الأقوى، ويُجزِئُ غُسلُ النهارِ ليومه والليلِ لليلته ما لم يَنَمْ أو يُحْدِثْ أو يَأكُلْ أو يَتطيَّبْ أو يَلْبسْ ما يَحْرُم على المُحْرِم فيُعيدُه. ولو تَعَذَّرَ الغُسلُ يَتيَمَّم. ولو خافَ عَوْزَ الماء فى الميقات قَدَّمَه فى أقربِ أوقات الإمكان إليه، ثمَ يَلْبَسُ ثوبى الإحرام، وسيأتى بيانُهما. ثمّ يُصلِّى سُنّةَ الإحرام وهى سِتُّ ركعاتٍ أو أربعُ أو ركعتان، ثمّ يصّلى الفريضةَ الحاضرةَ إن كانَتْ وأفضلُها الظهرُ، وإلّا قَضى فريضةً. ونِيّةُ الغُسل: «أغْتَسِلُ غُسلَ الإحرامِ لندبه قربةً إلى اللّه». ونيَّةُ السُنّة: «أُصلِّى ركعتين مِنْ سُنْة الإحرامِ لنَدْبهما قربةً إلى اللّه».

وينبغى النيَّة عندَ نَزْعِ المخيط ولُبس الثوبين، وليستْ شرطاً فى الصحّة وإنْ توقَّفَ عليها الثوابُ، فيَنْوى: «أنْزِعُ المَخيطَ لوجوبه قربةً إلى اللّه، ألْبَسُ ثَوْبَى الإحرام لوجوبه قربةً إلى اللّه».

ونيَّةُ الإحرام بالعُمرة: «أُحْرِمُ بالعمرة المُتَمَتَّع بهما إلى حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتُّع، وأُلَبِّى التلبياتِ الأربعَ لعقد هذا الإحرامِ لوجوب الجميعِ قربةً إلى اللّه».

ويُقارِنُ بهما التلبيةَ وهى «لَبَّيْك اللهُمَّ لَبَّيك، لَبَّيْك، إنّ الحمدَ والنِعمةَ والمُلك لك،

۱- ۱ «الإبْطُ باطن المَنْكِب» لسان العرب ۷: ۲۵۳، أبط

۲- ۲ «إطَّلى بكذا: ادَّهَنَ به» المعجم الوسيط ۲: ۵۶۵، طلى

ص: ۴۸

لا شریک لک لَبّیک». ولَمّا کانتِ النیّة هی القصد إلی الفعل المعیَّن المتَّصِفِ بالأوصاف المذکورة فلا بُدَّ مِنْ معرفة المکلف بمعانیها لیَتَحَقَّقَ القصدُ إلیها. فمعنی أُحْرِمُ أی أُوطِّنُ نفسی علی ترک الأُمور المذکورة سابقاً. والعُمرة لغةً: الزیارة، وشرعاً: زیارةُ البیت مع أداء مناسِکَ مخصوصةٍ، وتُطْلَقُ علی مجموع تلک المناسک. وخَرَجَ ب «العمرة» (۱)(۲)(۳) الحجُّ والمتمتَّعُ بها إلی الحجِّ أی التی یَتَخَلَّلُ بینها وبین الحجِّ راحةٌ وتحلُّلٌ مُسْتَمِرٌّ من الفَراغ منها إلی أنْ یَشْتَغِلَ بالحجِّ، وبهذا القید تَتَمیَّزَ عن العمرة المفرَدة؛ فإنّها تقع بعدَ الحجِّ أو (۴) غیرَ مُرْتَبِطةٍ به، وبقید «الإسلام» تَخرج العمرةُ المتمتَّعُ بها إلی حجِّ النذر وشبهه، و «لوجوب الجمیع» إشارةٌ إلی الوجه الذی یقع علیه الفعلُ وبه یَمْتازُ عن المندوب و «قربةً إلی اللّه» إشارة إلی غایة الفعلِ المتعبَّدِ به. والمرادُ بالقربة إلیه سبحانه موافقةُ إرادته والتقرُّبُ إلی رضاه تعالی لا القربُ المکانی والزمانی، لتنزُّهِه تعالی عنهما. وآثَرُ هذه الصیغةَ لورودها کثیراً فی الکتاب والسُنَّة، ولو اقْتَصَرَ علی جَعْلها للّه تعالی کفی.

ویُعتبر فی التلبیة مقارَنَتُها للنیّة کتکبیرة الإحرام بالنسبة إلی نیّة الصلاة، وترتیبُها علی الوجه المذکور، وموالاتُها، وإعرابُها.

ومعنی لَبَّیْک: «إجابةً بعدَ إجابةٍ لک یا ربِّ» أو «إخلاصاً بعدَ إخلاصٍ» أو «إقامةً علی طاعتک بعدَ إقامةٍ». ومعنی اللهمَّ: «یا اللّه». ویجوز کسر «إنّ» فی قوله:

«إنّ الحمدَ» وفتحها، والأوَّل أجودُ (۵). وقد ورد فی الخبر أنّ هذه التلبیة جوابٌ للنداء المذکور فی قوله تعالی: «وأذِّنْ فی الناس بالحجِّ» (۶)

حیثُصَدِعَ إبراهیمُ علیه السلام أبا قُبَیسٍ ونادی بالحجِّ (۷). وفی «لا شریکَ لک» إرغامٌ لأُنوف الجاهلیة الذین کانوا یُشْرِکون الأصنامَ والأوثانَ بالتلبیة، وفی تَکرارها بَعْثٌ للقلب علی الإقبال علی خالص الأعمال وتلافٍ لِما لعلّه وقع من الإخلال

۱- ۲ «إطَّلی بکذا: ادَّهَنَ به» المعجم الوسیط ۲: ۵۶۵، طلی

۲- ۲ «إطَّلی بکذا: ادَّهَنَ به» المعجم الوسیط ۲: ۵۶۵، طلی

۳- ۱ فی نیّة الإحرام بالعمرة.

۴- ۲ فی بعض النسخ: «إذ» بدل «أو».

۵- ۳ انظر حاشیة الإرشاد ۱: ۳۹۰؛ الروضة البهیة ۲: ۲۳۱؛ مسالک الأفهام ۲: ۲۳۶؛ المنسک الکبیر للشهیدالأول، وهو لم یطبع بَعدُ.

۶- ۴ الحج ۲۲: ۲۷.

۷- ۵ بحار الأنوار ۹۹: ۱۸۸ کتاب الحج باب علّة التلبیة وآدابها وأحکامها ۲۳ نقلًا عن تفسیر العیاشی، ولم یوجد فیه؛ وانظر: الفقیه ۲: ۱۴۹- ۱۵۱ ح ۶۵۸ باب نکت فی حج الأنبیاء والمرسلینصلوات اللّه علیهم أجمعین ح ۸.

ص: ۴۹

بوظائف عبودیة المَلِک المتعالِ، کتَکرار الرکعات والتسبیحاتِ والتکبیراتِ وغیرِها من الأفعال.

ویُسْتَحبُّ الإکثارُ منها ومن باقی التلبیاتِ المستحبَّةِ خصوصاً «لَبَّیْک ذا المعارِجِ، لَبَّیْک» فقد کان النبیصلی الله علیه و آله و سلم یُکْثِرُ منها، ومِنَ المستحبّةِ:

لَبَّیک ذا المعارِجِ إلی دار السلام، لَبَّیْک لَبَّیْک غفّار الذنوبِ، لَبَّیْک لَبَّیْک أهلَ التلبیة، لَبَّیک لَبَّیْک ذا الجلال والإکرام، لَبَّیْک لَبَّیْک تُبْدِئُ والمعادُ إلیک، لَبَّیْک لَبَّیْک تَسْتَغْنی ویُفْتَقَرُ إلیک، لَبَّیْک لَبَّیْک مَرهوباً ومَرغوباً إلیک، لَبَّیْک لَبَّیْک إلهَ الحقِّ، لَبَّیْک لَبَّیْک ذا النَعْماء وذا الفَضْلِ الحَسَنِ الجَمیل، لَبَّیْک لَبَّیْک کَشّافَ الکُرَبِ العِظام، لَبَّیْک لَبَّیْک عبدُک وابنُ عبدیْک، لَبَّیْک لَبَّیْک أتَقَرَّبُ إلیک بمحمّدٍ وآل محمّدصَلّی اللّه علیهم، لَبَّیْک لَبَّیْک یا کریمُ لَبَّیْک، لَبَّیْک بالعمرة المتمتَّع بها إلی الحجِّ لَبَیْک (۱).

ولو کان لإحرام الحجّ قال بَدَلَ «بالعمرة»: «بالحجّ» إلی آخر ممّیزاته.

ویُشْتَرطُ فی الثوبینِصِحّةُ الصلاة فیهما اختیاراً، فلا یُجْزِئ النَجِسُ ولا الحریرُ المَحْضُ ولا جِلدُ غیرِ المأکول، ولا الرقیقُ الذی یَحْکی العورةَ. ولْیأتَزِرْ بأحدهما ویرتدی بالآخر- بأنْ یُغَطِّیَ به مِنْکَبَیْه- أو یَتوشَّحُ به بأنْ یُغَطِّیَ [به] أحدَهما (ولو تَأدّتِ الوظیفتان بثوبٍ طویلٍ أجْزأ عنهما) (۲) ویَجوزُ عَقدُ الإزارِ دونَ الرِداء، والزیادةُ علیهما للحاجةِ وإبدالَهُما.

ویُسْتَحَبُّ الطوافُ فی الأوّلیْنِ، وأنْ یکونا مِن القُطن الأبیضِ، ویُکْرَهُ غَسْلُهما- وإنْ تَوَسَّخا- وکونُهما غیرَ أبیضَیْنِ.

تذنیبٌ: الحَیْضُ لا یَمْنَعُ الإحرامَ، فلو اتَّفَقَ حالةَ الإحرام أحْرَمَتْ کذلک مِنْ غیر غُسلٍ (۳) ولاصَلاةٍ. ولو کان مِیقاتُها مسجدَ الشجرة أحْرَمَتْ مِنْ خارجه مُجْتازةً به مع أمْنِ التلویثِ.

۱- ۱ الکافی ۴: ۳۳۵ باب التلبیة ح ۳ باختلاف یسیر.

۲- ۲ ما بین الهلالین لیس فی أکثر النسخ.

۳- ۳ قال السیّد العاملی سبط المصنَّف رحمهما اللّه فی مدارک الأحکام ۷: ۳۸۶ فی مبحث إحرام الحائض: «وذکر جدّی قدس سره فی مناسک الحجّ أنّها تترک غُسل الإحرام أیضاً. وهو غیر جیّد؛ لورود الأمر به فی الأخبار الکثیرة».

ص: ۵۰

ویُسْتَحَبُّ لها أنْ تَلْبسَ ثیاباً طاهرةً حالةَ النیَّة- فإذا أحْرَمَت نَزَعَتْها إنْ شاءت- وأنْ تَسْتَثْفِرَ (۱) بَعدَ الحَشْوِ وتَتَنَظّفَ ثمَّ تُحْرِمَ.

ولو تَرَکتِ الإحرامَ لظنّها فَسادَه رَجَعَتْ إلی المیقاتِ مع الإمکان، فإنْ تعذَّر فمِنْ حیثُ أمْکَنَ ولو مِنْ أدنَی الحِلِّ. ثمّ إنْ طَهُرَتْ قبلَ وقتِ الطَوافِ فطاهرةٌ وإلّا أخَّرتْه وما بعدَه مِن الأفعال إلی أنْ تَطْهُرَ أو یَضِیقَ الوقتُ بالتلبُّسِ بالحجِّ، فإنْ ضاقَ ولمّا تَطْهُرَ عَدَلَتْ إلی حجِّ الإفراد، وخَرَجَتْ إلی عَرَفَةَ بإحرامِها الأوّلِ، ثمَ اعْتَمَرتْ بعدَ الحجِّ عمرةً مفردةً وأجْزأها عن فرضها. وکذا لو عَرَضَ الحَیضُ بعدَ الإحرام وقبلَ أنْ تَطوفَ أربعةَ أشواطٍ ولو عَرَضَ بعدَ أنْ طافَتِ الأربعةَ سَعَتْ وأکْمَلَتِ العمرةَ، وأخَّرَتْ بقیةَ الطوافِ والصلاةَ إلی أنْ تَطْهُرَ.

الثانی فی الطواف، وهی الحرکةُ الدَوْریة حولَ البیتِ علی الوجه المخصوصِ للقربة، وله مقدّماتٌ مَسْنونةٌ وفُروضٌ وسُنَنٌ:

فالمقدّمات: الغسلُ عندَ دخول الحرم، ودخولُه ماشیاً حافیاً ونعلُه بیده، فمَنَ فَعَلَ ذلک تواضعاً للّه‌تعالی مَحا اللّهُ عنه مائةَ ألفِ سیِّئةٍ، وکَتَبَ له مائةَ ألفِ حسنةٍ، وبَنی له مائةَ ألفِ درجةٍ، وقضی له مائةَ ألفِ حاجةٍ. رواه أبانُ بنُ تَغْلِبَ عن الصادق علیه السلام (۲).

والدعاءُ عند دخوله، فإذا أرادَ دخولَ مکَّةَ اغْتَسَلَ أیضاً بالأبْطحِ مِنْ بئرِ مَیْمونٍ أو غیره، ولا یُحْدِثَ بعدَه حتّی یدخُلَها.

ویُسْتَحَبُّ الغُسلُ ثالثاً لدخول المسجد الحرام، ثمّ یَدخلُه حافِیاً خاضِعاً خاشِعاً مِنْ باب بنی شَیْبَةَ، وهو بإزاء باب السلام أدْخَلُ منه نحوَ المسجد، ویَقفُ عندَه ویقول:

السلام علیک أیُّها النبیُّ ورحمةُ اللّه وبرکاته، بسم اللّه وباللّه

[ومن اللّه] (۳)

وما شاء اللّه، والسلام علی أنبیاء اللّه ورُسُله، والسلام علی رسول اللّه،

۱- ۱ «استَثْفَرَ الحائضُ: اتّخَذَتْ خِرْقَةً عریضةً بینَ فَخْذَیْها تشدُّدها فی حِزامها. وفی الحدیث: أنّه أمَرَ المستحاضةَ أنْ تَسْتَثْفِرَ» المعجم الوسیط ۱: ۹۷ ثفر.

۲- ۲ الکافی ۴: ۳۹۸ باب دخول الحرم ح ۱؛ والفقیه ۲: ۱۳۲ ح ۵۵۳ باب فضائل الحجّ ح ۳؛ تهذیب الأحکام ۵: ۹۷ ح ۳۱۷ باب دخول مکَّة ح ۱.

۳- ۳ وما فی المعقوفین أضفناه من المصدر.

ص: ۵۱

والسلام على إبراهيمَ خليلِ اللَّه، والحمد للَّهربِّ العالمينَ (۱).

ثمَّ يَرفَعُ يدَيْه ويَسْتَقْبِلُ البيتَ ويقول:

اللهُمَّ إنّى أسألك فى مقامى هـذا فى أوَّلِ مناسكى أنْ تَقْبَلَ تَوْبتى، وأنْ تُجاوِزَ عَنْ خطيئتى وتَضَعَ عنّى وِزْرى، الحمـد للَّهالذى بَلَّغَنى بيتَه الحرامَ.

اللهُمَّ إنّى أُشـهِدُك أنّ هذا بيتُك الحرامُ الذى جَعَلْتَه مثابةً للناسِ وأمناً (۲) ومُبارَكاً وهُدًى للعالمين. اللهُمَّ إنّى عبدُك، والبلدُ بلدُك، والبيتُ بيتُك، جئتُ أطْلُبُ رحمتَك وأؤمُّ طاعتَك، مُطيعاً لأمرك، راضـياً بقَدَرك، أسألُك مسألةَ الفقيرِ إليك الخائفِ مِنْ عُقوبتك. اللهُمَّ افْتَحْ لى أبوابَ رحمتِك، واسْتَعْمِلْنِى بطاعتك ومَرْضاتِكَ، واحفَظْنى بحفظِ الإيمان أبداً ما أبْقَيْتَنى، جَلَّ ثناءُ وجهِك. الحمدُ للَّهِ الـذى جَعَلَنى مِن وَفْـدِه وزُوّارِه، وجَعَلَنى مِمَّنْ يَعْمُرُ مساجِـدَه، وجَعَلَنى مِمَّن يُناجيه. اللهُمّ إنّى عبـدُك وزائرُك وفى بيتك، وعلى كُلِّ مأتيٍّ حقٌّ لِمَنْ أتاه وزارَه وأنت خيرُ مأتيٍّ وأكرمُ مَزُورٍ، فأسألكُ يا اللَّهُ يا رحمنُ بأنّك أنتَ اللَّهُ لا إلهَ إلّاأنت وحدَك لا شريك لك، وبأنّك واحِدٌ أحَدٌصَـمَدٌ لم تلِدْ ولم تُولَدْ ولم يكن لك كُفواً أحدٌ، وأنّ محمَّداً عبدُك ورسولكصلى الله عليه و آله و سلم. يا جوادُ يا ماجِـدُ يـا حَنّـانُ يـا مَنّانُ يا كريمُ أسألُك أنْ تَجْعَلَ تُحْفَتَكَ إيّاى مِن زيارتى إيّاكَ فَكاكَ رَقَبتى مِن النار، اللهُمّ فُكَّ رَقَبتى مِن النار- ثلاثاً- وأوْسِعْ علىَّ مِن رِزقك الحلالِ، واذْرأْ عنّى شرَّ شياطينِ الجنِّ والإنسِ وشَرَّ فَسَقَةِ العربِ والعجم (۳).

ثمّ يمشى نحوَ البيتِ، فإذا دَنا مِن الحَجَر الأسودِ رَفَعَ يَديْه وحَمِدَ اللَّهَ وأثْنى عليه وقال:

«الحمدُ للَّهِ الذى هَدانا لهذا وما كُنّا لِنَهْتدىَ لولا أنْ هدانَا اللَّه» (۴).

سبحان اللَّه والحمد للَّهولا إلهَ إلّااللَّهُ واللَّه أكبرُ (۵).

۱- ۱ الكافى ۴: ۴۰۱ باب دخول المسجد الحرام ح ۱؛ تهذيب الأحكام ۵: ۹۹- ۱۰۰ ح ۳۲۷ بـاب دخول مكَّة ح ۱۱ وكلمة «خَليل اللَّه» ليست فى المصدرين.

۲- ۲ اقتباس من الآية ۱۲۵ من البقرة ۲.

۳- ۳ الكافى ۴: ۴۰۱- ۴۰۲ باب دخول المسجد الحرام ح ۱- ۲؛ تهذيب الأحكام ۵: ۹۹- ۱۰۱ ح ۳۲۷- ۳۲۸ باب دخول مكَة ح ۱۱- ۱۲ وفى المصـدرين «الخائف لعقوبتك» بـدل «الخائف من عقوبتك» وفى تهذيب الأحكام وبعض النُسَخ: «لم يلد ولم يولد» بدل «لم تلد ولم تولد». وفى المصدرين: «لم يكن له» مكان «لم يكن لك».

۴- ۴ اقتباس من الآية ۴۳ من الأعراف ۷.

۵- ۵ الكافى ۴: ۴۰۳ باب الدعاء عند اسـتقبال الحجر واسـتلامه ح ۲؛ تهـذيب الأحكام ۵: ۱۰۲ ح ۳۳۰ بـاب الطواف ح ۲ ولم ينقل الشهيد رحمه الله تمامَ الدعاء.

ص: ۵۲

وصلّى على النبيِّصلى الله عليه و آله و سلم، ثمّ يَسْتَلِمُ الحَجَرَ الأسود ويُقَبِّلُه، فإنَ لم يَسْتطِعْ أشارَ إليه ويقول:

اللهُمَّ إنِّى أُؤمِن بوعدك، وأُوفِى بعهدك. اللهُمَّ أمانتى أدَّيتُها وميثاقى تعاهَدْتُه لِتَشْهَدَ لى بالموافاة. اللهُمّ تصديقاً بكتابك وعلى سنَّةِ نبيِّكصلى الله عليه و آله و سلم، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّااللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، آمَنْتُ باللَّه وكَفَرْتُ بالجِبْت والطاغوتِ وباللاتِ والعُزّى وعبادةِ الشَيطانِ وعبادةِ كُلِّ نِدٍ يُدْعى مِن دونِ اللَّه.

فإنْ لم يَقْدِرْ على جميع ذلك قال بعضه: (۱)

اللهُمّ إليك بَسطْتُ يدى،

وفيما عندك عَظُمَتْ رَغْبَتى، فَاقْبَل سُبْحَتى (۲) واغفِر لى وارْحَمْنى.

اللهُمّ إنِّى أعوذُ بك مِن الكُفرِ والفقرِ ومواقِفِ الخِزْى فى الدنيا والآخرة (۳).

وأمَّا الفروضُ فعلى ضربين: شروطٌ متقدِّمة ومقارِنَةٌ:

فالشروط أربعةٌ: الطهارةُ مِن الحَدَث ولو بالتيمُّم مع تعذُّر المائية، ولا يُشْتَرَطُ ذلك فى الطواف المندوبِ على الأقوى وإنْ كان مِنْ كماله، نَعَم هى شرطٌ فيصلاة الطوافِ مطلقاً؛ وإزالةُ النَجاسة عن الثوب والبدن على حدِّ ما يُعتبر فى الصلاة؛ وسَتْرُ العورةِ الواجبِ سَتْرُها فى الصلاة بحسب حال الطائف؛ والخِتانُ فى الرجل مع المُكْنة.

والمقارنةُ سَبْعَةٌ: النيّةُ مقارِنةً لأوّل جزءٍ مِن الحجر الأسود، بحيث يكونُ أوَّلُ بدنِه مُحاذياً لأوَّلِ جزءٍ مِن الحجر عِلْماً أو ظنّاً، لِيَمُرَّ عليه بجميع بدنه، ولا يُشْتَرَطُ استقبالُ البيتِ أوّلًا ثمّ الانحرافُ بل يَكفى جَعْلُه على اليَسار ابتداءً، وإنْ كان الأوَّلُ أولى وصفتها: «أطوفُ بالبيتِ سبعةَ أشواطٍ لعمرةِ الإسلامِ عمرةِ التمتُّع لوجوبه قربةً إلى اللَّه» مُسْتَدامةَ الحكم إلى آخره، مقارِنَةً للحركة عقيبها

۱- ۱ فى المصدرين: «فإنْ لم تستطع أنْ تقولَ هذا كلَّه فبعضه وقل». ومن قوله: «فإنْ لم يقدر» إلى آخر الدعاءلا يوجد فى أكثر النسخ.

۲- ۲ قال الفيض فى الوافى ۱۳: ۸۱۶: «السُبْحَة تقال للذِكر والصلاة النفل، وهى مِن التسبيح كالسخرة مِنالتسخير، وفى بعض النسخ: «مسيحتى» أى مسيرى».

۳- ۳ الكافى ۴: ۴۰۲- ۴۰۳ باب الدعاء عند استقبال الحجر واستلامه ح ۱- ۲؛ تهذيب الأحكام ۵: ۱۰۱- ۱۰۲ ح ۳۲۹- ۳۳۰ باب الطواف ح ۱- ۲.

ص: ۵۳

بنفسه أو حـامله؛ وجعـلُ البيتِ على اليَسـار؛ والمَقـام على اليمين ولو تقـديراً، بمعنى مراعاةِ النسـبة فى جميع الجِهات؛ والخروجُ بجميع البـدن عن البيت، فلا يَمَسَّ الحائطَ ماشـياً بل يَقِفُ إنْ أرادَه لِئلّا تَـدْخُلَ يـدُه على الشاذروانِ؛ وموالاةُ أربعة أشواطٍ مِنَ السـبعةِ، ويجوزُ تفريقُ الباقى منها لضـرورةٍ أو قضاءِ حاجةٍ أوصلاةِ فريضةٍ أو نافلةٍ يُخاف فوتُها أو لدخول البيت؛ وإدخالُ الحِجْرِ فى الطواف، فلو طافَ فيه أو مَشـى على حـائطه لم يُجْزِئْ، ولاـ يجب الخروجُ عن شـىءٍ آخَرَ أو خارِجه إجماعاً؛ والختمُ فى الشَوْط السابع بما بَدَأ به؛ بمعنى جَعْلِ أوّلِ جزءٍ مِن الحَجَرِ مُحاذياً لأوّلِ بـدنه حَـذَراً مِن الزيادة والنقيصـة المُبْطِلتَينِ ولو بخُطْوةٍ؛ حتّى لو لم يَحْصُلِ العددُ أو شَكَّ- فى النقيصـة مطلقـاً وفى الزيادة قبلَ بُلوغِ الركنِ- بَطَلَ، ولو بَلَغَه قَطَعَ وصَـحَّ طَوافُه. ولو شَكَّ بعـدَ الفَراغِ لم يَلْتَفِتْ مطلقاً. ولو كان الطوافُ نَفْلًا بَنى على الأقلِّ.

وسُـنَنُه: المبادَرَةُ إليه حينَ يَدْخُلُ المسـجدَ؛ لأنّه تَحيّتُه إلّاأنْ يَخافَ فَوْتَ الجماعةِ فيُقَدِّمها؛ وتقبيلُ الحجَر واسْتِلامُه ببطنه وما أمْكَنَ مِن بـدنه فى ابتـداء الطواف وفى كُلِّ شوط، فإنْ تَعَـذَّرَ فبيده، فإنْ تَعَذَّرَ أوْمَأ إليه كما مَرَّ؛ واسـتلامُ الأركانِ كلِّها وتقبيلُها خصوصاً العراقىَ واليمانَى، بل قيل بوجوب استلام اليمانى (۱)؛ والاقتصادُ فى المشـى؛ والتَدانى مِن البيت وإنْ قلَّتِ الخِطاءُ؛ والتزامُ المُسْتَجارِ فى الشوط السـابع، وهو مقابِلُ البـاب قريبـاً مِن الركن اليمـانى؛ وبَسْطُ اليـدينِ على حائطـه؛ وإلصاقُ البطنِ والخَـدَّيْنِ به؛ وتَعـدادُ الـذُنوبِ مُفَصَّلةً والاستغفارُ منها؛ والدعاءُ عنده بقوله: «اللهُمّ البيتُ بيتُك والعبدُ عبدُك، وهذا مكانُ العائذِ بك مِن النار» (۲).

ومتى الْتَزَمَ أو اسْتَلَمَ حَفِظَ موضعَ قيامه وعادَ إلى طوافه منه حَذَراً مِن التقدُّم والتأخُّر؛ وأنْ يقولَ فى حال الطواف:

۱- ۱ القائل هو سلار فى المراسم: ۱۱۷ وانظر مختلف الشيعة ۴: ۲۱۰ المسألة ۱۶۴ ومدارک الأحکام ۸: ۱۶۵.

۲- ۲ الکافى ۴: ۴۱۱ باب الملتزم والدعاء عنده ح ۵؛ تهذيب الأحکام ۵: ۱۰۷ ح ۳۴۷ باب الطواف ح ۱۹.

ص: ۵۴

اللهُمَّ إنِّی أسْألُکَ بِاسمکَ الذی یُمْشی به علی طَلَلِ الماء کما یُمْشی به علی جُدَدِ الأرضِ، وأسألُکَ باسمکَ الذی یَهْتَزُّ له عرشُکَ، وأسألُکَ باسمکَ الذی تَهْتَزُّ له أقدامُ ملائکتک، وأسألُکَ باسمکَ الذی دعاکَ به موسی بنُ عِمران، مِن جانب الطورِ فَاسْتَجَبْتَ له وألْقَیْتَ علیه مَحَبَّةً منک، وأسألُکَ باسمک الذی غَفَرتَ به لمحمَّدٍصلی الله علیه و آله و سلم ما تَقَدَّمَ مِنْ ذنبه وما تَأخَّر، وأتْمَمْتَ علیهِ نِعْمتَک (۱) أنْ تَفْعَلَ بی کذا وکذا

- ویقول أیضاً:-

اللهُمَّ إنِّی إلیک فقیر، وإنِّی خائفٌ مُسْتَجِیرٌ، فلا تُبَدِّلْ اسمی ولا تُغَیِّرْ جسمی (۲).

فإذا فَرَغَ مِن الطواف أتی مقامَ أبراهیمَ علیه السلام فصلّی رکعتیه خلفَه أو عن أحدِ جانبیه، ونیّتهما: «أُصلّی رکعتی طوافِ عمرةِ الإسلام عمرةِ التمتُّع أداء لوجوبه (۳) قربةً إلی اللّه» وهی کالیومیة فی الشرائط والأفعال. ویَتَخَیَّرُ فیها بین الجهر والإخفات. ویُسْتَحَبُّ أنْ یَقْرأ فی الرکعة الأُولی بعدَ الحمدِ التوحیدَ وفی الثانیةِ الجحدَ أو بالعکس. ویَدْعو بعدَهما بالمأثور أو بما سَنَحَ.

الثالث: السعُی، وهی الحرکاتُ المعهودةُ بینَ الصفا والمَروة للقربة، وله مقدِّماتٌ مَسْنونةٌ وفروضٌ وسُنَنٌ مقارِنَةٌ:

فمقدِّماته: التعجیلُ إلیه عقیبَصلاة الطواف والطهارة مِن الحَدَثِ والخَبَث علی أشهر القولین (۴)، واستلامُ الحَجَرِ، والشربُ مِنْ زَمْزَمَ وَصبُّ الماء علیه مِن الدَلْو المقابلِ للحَجَر وإلّا فمِنْ غیره، والأفضلُ استقاؤه بنفسه قائلًا عند الشرب:

«اللهُمَّ اجْعَلْه عِلْماً نافعاً ورِزقاً واسعاً وشفاءً مِن کلِّ داءٍ وسُقْمٍ» (۵)

، والخروج إلی الصفا مِن الباب المقابِل للحَجَرِ، وهو الآنَ فی داخل المسجد بإزاء الباب المعروف بباب الصفا مُعَلَّمٌ بأُسْطُوانتین معروفتین، فلیَخْرُجْ مِن بینهما إلی الباب، والصعودُ علی الصفا بحیث یری البیتَ مِن بابه، واستقبالُ الرُکْنِ العِراقی، وإطالةُ

۱- ۱ إشارة إلی الآیة ۲ من الفتح ۴۸.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۰۶- ۴۰۷ باب الطواف واستلام الأرکان ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۰۴ ح ۳۹۹ باب الطواف ح ۱۱.

۳- ۳ هکذا فی النسخ، والظاهر أنّ الصواب «لوجوبهما» لعود الضمیر إلی رکعتی الطواف، وهکذا الکلام فی أمثالها من سائر النیّات.

۴- ۴ ذهب إلی استحباب الطهارة، المشهور من الأصحاب ومنهم المحقق فی شرائع الإسلام ۱: ۲۴۷ وذهب إلی وجوبها ابن عقیل کما حکاه عنه العلامة فی مختلف الشیعة ۴: ۲۲۵ المسألة ۱۸۱.

۵- ۵ الکافی ۴: ۴۳۰ باب استلام الحجر بعد الرکعتین وشرب ماء زمزم قبل الخروج إلی الصفا والمروة ح ۱- ۲؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۴۴ ح ۴۷۶- ۴۷۷؛ باب الخروج إلی الصفا ح ۱- ۲.

ص: ۵۵

الوقوفِ علیه، وقِراءةُ سورة البقرة، وحمدُ اللّه وتکبیرُه وتسبیحُه وتهلیلُه والصلاةُ علی النبی وآلهصلی الله علیه و آله و سلم مائة مائة، وأقلُّه التکبیرُ والتهلیلُ سَبْعاً سَبْعاً، ثمّ یقولُ:

لا إلهَ إلّااللّهُ وحدَه لا شریکَ له، له المُلکُ وله الحمدُ، یُحْیی ویُمِیتُ وهو حیٌّ لا یَموتُ، بیده الخَیرُ وهو علی کُلِّ شیءٍ قدیر (۱).- ویقول:- لا إلهَ

إلّا اللّهُ وحدَه وحدَه، أنْجَزَ وعدَه، ونَصَرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَه، فله الملکُ، وله الحمدُ وحده. اللهُمَّ بارِکْ لی فی الموت وفیما بعدَ الموت.

اللهُمَّ إنِّی أعوذُ بک مِنْ ظلمةِ القبر ووحشَتِه. اللهُمَّ أظلَّنِی تحتَ عرشِکَ یومَ لا ظِلَّ إلّاظِلُّک- ویقول- أسْتَودِعُ اللّهَ الرحمنَ الرحیمَ، الذی لا یُضیع وَدائِعَه، ودینی ونَفسی وأهلی (۲).

وفروضه: النیَّةُ: «أسْعی سبعةَ أشواطٍ لعُمْرَةِ الإسلام عمرةِ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه» مقارِنةً للصفا بأنْ یُلصِقَ عَقِبه به أو یَصْعَدَ علیه، والحرکةُ بعدَها فی الطریق المعهود بوجهه مستدامةَ الحکم إلی آخره، ویَخْتِمُ بالمروة ولو بأصابع قدمیهِ إنْ لم یَدْخُلْ، فإذا عاد ألْصَقَ عَقِبَه بها وأصابِعَه بالصفا آخِراً إنْ لم یَصْعَدْ کذلک، وإتمامُ السبعةِ، مِنَ الصفاإلیه شوطانِ، من غیر زیادةٍ ولانُقصانٍ، فلو زادَ عمداً بَطَلَ وناسیاً یَقْطَعُ. ولو نَقَصَ عادَ للإکمال وجوباً. ویَستَنِیبُ مع التعذُّر، ولا یَتَحَلَّلُ بدونه، وإیقاعُه یومَ الطواف، فإنْ أخَّرَه أثِمَ وأجْزَأ، والأحوطُ موالاتُه کالطوافِ.

وسُنَنُه: السَعْیُ ماشیاً مع القدرة والسَکینة والوَقار، وأنْ لا یَقْطَعَه لغیر ضرورة، والهَرْوَلَةُ للرجل بینَ المَنارة وزُقاقِ العطّارین، ولو نَسِیَها رَجَعَ القَهْقَری وتَدارَکَها ما لم یَشْرَعْ فی الشوط الثانی، والراکِبُ یُحَرِّکُ دابَّتَه ما لم یُؤذِ أحَداً، وأنْ یقولَ:

بِسم اللّه واللّه أکبرُ، وصلّی اللّه علی محمَّدٍ وآله، اللهُمَّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، وتجاوَزْ عمّا تَعْلَم، إنّک أنتَ الأعزُّ الأکْرَمُ (۳).

۱- ۱ الکافی ۴: ۴۳۱- ۴۳۲ باب الوقوف علی الصفا والدعاء ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۴۵- ۱۴۶ باب الخروج إلی الصفا ح ۶. ولیست فی المصدرین جملة «بیده الخیر».

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۳۱- ۴۳۲ باب الوقوف علی الصفا والدعاء ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۴۵- ۱۴۶ ح ۴۸۱ باب الخروج إلی الصفا ح ۶. وللدعاء تتمة وهی: «اللهمَّ استعملنی علی کتابک وسنّة نبیّک، وتَوَفَّنِی علی ملّته ثمّ أعِذنی من الفتنة».

۳- ۳ الکافی ۴: ۴۳۴- ۴۳۵ باب السعی بین الصفا والمروة وما یقال فیه ح ۶؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۴۸ ح ۴۸۷ باب الخروج إلی الصفا ح ۱۲.

ص: ۵۶

الرابع: التقصير، وهو إبانةُ مُسَمَّى الشَعرِ أو الظُفُرِ، وبه يُحِلُّ مِن إحرام العمرة المُتَمتَّع بها. أمّا المُفْرِدَةُ فلا يَتِمُّ الإحلالُ منها إلّابطوافِ النساء بعدَه وصلاةِ ركعتيهِ.

وفروضه: النيَّةُ مقارِنَةً للفعل: «أُقصِّرُ للإحلال مِن إحرام العمرة المتمتَّع بها إلى حَجّ الإسلام حجِّ التمتّع لوجوبه قربةً إلى اللّه» مستدامةَ الحكم إلى آخره، ولا يَتَعَيَّنُ له آلةٌ مخصوصةٌ، فيُجْزِئُ الحديدُ والنُورةُ والنَتْفُ والقَرْضُ بالسِنِّ وغيرُها، ولا فرقَ بينَ شَعْرِ الرأسِ وغيرِه، ولا يُجْزِئُ الحَلْقُ هنا، نَعَمْ يُجْزِئُ فى المفرَدة، ومكانُه مكَّةُ.

ويُسْتَحَبُّ كونُه على المروة، والبدأةُ بالناصيةِ، والأخذُ مِن جميعِ جوانبِ شَعْره على المُشْطِ، وتقليمُ الأظافر مع أخْذِ الشَعْر، والتَشَبُّهُ بالُمحْرِمين بعدَه فى ترك لُبْسِ المَخِيط إلى أنْ يَتَلَبَّسَ بالحجّ، وكذا لأهلِ مكَّةَ طُول المُوْسِمِ.

المقالةُ الثانيةُ فى أفعال الحجِّ وفيها فصول

الأوّلُ: الإحرامُ، وتحقيقه كما مرَّ فى الواجبات والمحرَّمات إلّاأنّه يَنْوِى هنا إحرامَ الحجِّ، وصفةُ النيّةِ: أُحْرِمُ بحجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع، وأُلَبِّى التلبيات الأربعَ لِعقد هذا الإحرام لوجوب الجميع قربةً إلى اللّه، لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ إلخ». وقد تَقَدَّمَ أنّ محلَّه مكَّةُ، وأفضلُها المسجدُ وخاصّةً المقامَ أو تحتَ المِيزابِ، وأفضلُ زمانه يومَ الثامنِ بعدَ الزَوال عقيبَ الظُهرينِ المُتَعَقِّبَيْنِ لِسُنّةِ الإحرامِ المتقدِّمة.

ويُسْتَحَبُّ رفعُ الصوتِ بالتلبيةِ فى موضع الإحرام إنْ كان ماشياً، وإنْ كان راكباً إذا نَهَضَ به بَعيُره، مُتَوَجِّهاً إلى عرفاتٍ خصوصاً إذا أشْرَفَ على الأبطحِ، وأنْ يقولَ عند توجّبه: «اللهُمَّ إيّاكَ أرجو وإيّاكَ أدعو، فبَلِّغْنى أمَلى وأصْلِحْ لى عملى» (۱). فإذا وَصَلَ إلى منىً قال:

۱- ۱ الكافى ۴: ۴۶۰ باب الخروج إلى مِنىً ح ۴؛ تهذيب الأحكام ۵: ۱۷۷ ح ۵۹۵ باب نزول مِنىً ح ۹.

ص: ۵۷

اللهُمَّ هـذه منی وهی مّما مَنَنْتَ به علینا مِن المناسِکِ، فأسْألُکَ أنْ تَمُنَّ علیَّ بما مَنَنْتَ به علی أنبیائک، فإنّما أنا عبدُک وفی قَبْضَتِکَ (۱).

ویُسْتَحَبُّ المَبِیتُ بها لیلةَ التاسع، وأنْ لا یَجُوزَها حتّی تَطْلُعَ الشمسُ، فإذا تَوَجَّهَ إلی عرفاتٍ قال:

اللهمَّ إلیک قَصَدْتُ، وإیّاک اعْتَمَدْتُ، ووَجْهَک أردتُ، أسألُک أنْ تُبارِکَ لی فی رِحْلتی، وأنْ تَقْضَی لی حاجتی، وأنْ تَجْعَلَنِی مّمن تُباهی به الیومَ مَنْ هو أفضلُ منّی (۲).

ولْیَسْتَمرَّ علی التلبیة استحباباً إلی أنْ یَصِلَ إلیٰ عَرَفَةَ.

الثانی: الوقوفُ بعرفَةَ، وهو الکَوْنُ بها مِن زَوال الشمس إلی غروبها مِن یَوْم التاسعِ مقارِناً أوّلَه بالنیّة- عندَ تحقُّقِ الزَوال مُسْتَدامةَ الحکم إلی آخره-:

«أقِفُ بعَرفَةَ فی حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه». والرکنُ منه مسمّی الکَوْنِ بعدَ النیَّة وإنْ کان عابرَ سبیلٍ، وباقیه موصوفٌ بالوجوب لا غیرُ. وحدُّ عَرَفَةَ ما بین ثَوِیَّةَ وعُرَنَةَ وذی المَجاز وذی الأراک.

وسُنَنُه: الغسلُ قبلَ الزوال، وجَمْعُ الرَحلِ، وقَطْعُ العلائقِ المانعةِ مِن الإقبال علی اللّه تعالی فی ذلک الوقت، والجمعُ بینَ الظهرینِ فی أوّل الوقت بأذانٍ وإقامتینِ، والوقوفُ بالسَفْحِ فی مَیْسَرَةِ الجبلِ والقُرْبُ منه، والقیامُ بعدَ الصلاة مع الاختیار، واستقبالُ القبلة، وإحضارُ القلب، والإکثارُ مِن التکبیر والتحمید والتهلیل والتمجید، والتسبیحُ والثناءُ علی اللّه تعالی بما هو أهلُه، والاستعاذةُ باللّه مِن الشیطان الرجیم- فإنّه حریصٌ علی أنْ یُذْهِلَ المؤمنَ فی ذلک المَوْطنِ الشریفِ- والاستغفارُ بالقلب واللسانِ، وتَعدادُ الذنوبِ، والبُکاءُ أو التباکی، والدعاءُ للإخوانِ وأقلُّهم أربعونَ، والبروزُ تحتَ السماء إلّالضرورةٍ، وصرفُ الزمانِ کلِّه فی الدعاء والاستغفار والذکرِ، بل قیل بوجوبه (۳)، والدعاء المأثور (۴) وهو

۱- ۱ الکافی ۴: ۴۶۱ باب نزول مِنیً وحدودها ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۷۷- ۱۷۸ ح ۵۹۶ باب نزول مِنیً ح ۱۰.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۶۱ باب الغُدُوّ إلی عرفاتٍ وحدودها، ح ۳؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۷۹ ح ۶۰۰ باب الغُدُوّ إلی عرفاتٍ ح ۴. قال السلطان فی حاشیة الوافی ۱۳: ۱۰۲۰: «قوله: «من هو أفضل منّی» لعلّ المراد بالأفضل الملائکة علی ما ورد فی بعض الروایات ...» وفی المصدرین «صَمَدْت» مکان «قصدت».

۳- ۳ کلام أبی الصلاح فی الکافی فی الفقه: ۱۹۷ یوهم الوجوب حیث قال: «ویلزم افتتاحه بالنیة وقطع زمانه بالدعاء، والتوبة والاستغفار»، وانظر: مختلف الشیعة ۴: ۲۴۹ المسألة ۲۰۲.

۴- ۴ الکافی ۴: ۴۶۳- ۴۶۴ باب الوقوف بعرفةَ وحدّ الموقفِ ح ۴؛ الفقیه ۲: ۵۴۱ ح ۳۱۳۴؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۸۲- ۱۸۳ ح ۶۱۱- ۶۱۲ باب الغُدُوِّ إلی عرفاتٍ ح ۱۵- ۱۶.

ص: ۵۸

کثیرٌ لا یَقْتَضِی الحالُ ذِکرَه هنا وأعظَمُهُ دعاءُ الحسینِ ووَلَدِه زینِ العابدینِ علیهما السلام، وقِراءةُ عَشْرٍ مِن أوَّل البقرةِ ثمّ التوحیدِ ثلاثاً وآیةِ الکرسیِّ والسُخْرةِ (۱) والمُعَوَّذَتَیْنِ ثمّ حمدُ اللَّهِ تعالی علی نِعَمِه مُفَصَّلةً، وفِعْلُ الخیرِ ما اسْتَطاعَ، وتَرْکُ الهَذَرِ.

الثالثُ: الوقوفُ بالمشعرِ الحَرام إذا غَربَتِ الشمسُ مِن یومِ عرفَةَ، فَلْیُفِضْ إلیه وجوباً بالسکینةِ والوَقار مُستغفِراً داعیاً بالمأثور وهو:

اللهمّ لا تَجْعَلْه آخِرَ العهدِ مِنْ هذا المَوْقِفِ، وارْزُقْنِیه أبَداً ما أبْقَیْتَنی، واقْلِبْنی الیومَ مُفْلِحاً مُنْجِحاً مُسْتجاباً لی مَرحوماً مَغفوراً لی بأفضلِ ما یَنْقَلِبُ به الیومَ أحدٌ مِن وَفدِک علیک، وأعْطِنی أفْضَلَ ما أعْطَیْتَ أحداً مِنهم مِن الخیرِ والبَرَکةِ والرِضوان والمغفرةِ، وبارِکْ لی فیما أرْجِعُ إلیه مِنْ أهلٍ أو مالٍ أو قلیلٍ أو کثیرٍ، وبارِکْ لَهم فیَّ (۲).

ولْیُکْثِرْ مِن قوله: «اللهمّ أعْتِقْ رَقَبَتی مِن النار» (۳)فإذابَلَغَ المَشْعَرَ- وحَدُّهُ ما بینَ المأْزِمَیْنِ إلی الحِیاض إلی وادی مُحَسِّرٍ- وجب علیه الکَوْنُ به إلی الفجر ناویاً: «أبیتُ هذه اللیلةَ بالمشعرِ فی حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّعِ لوجوبه قربةً إلی اللَّه».

ویُسْتَحَبُّ إحیاءُ تلک اللیلةِ بالعبادة فإنّ أبوابَ السماءِ لا تُغْلَقُ تلک اللیلة لأصوات المؤمنین (۴). فإذا أصْبَحَ وجبَ علیه الکَوْنُ به إلی طُلوع الشمسِ ناویاً- عندَ تحقُّقِ الفجر-: «أقِفُ بالمَشْعَرِ فی حجِّ الإسلام حَجِّ التمتُّعِ لوجوبه قربةً إلی اللَّه» مُسْتَدامَةَ الحکم إلی آخره.

هذا کُلُّه مع الاختیار، أمّا مع الاضطرار فیُجْزِئُ مُسَمّی الوقوفِ بعرفَةَ لیلةَ العاشر، وبالمشعرِ مُسمّاه أیضاً فی تلک اللیلةِ وفیما بینَ طلوع الشمسِ وزوالِها مِنْ یَوْم النَحْرِ. ویُدْرَکُ الحَجُّ بإدراکِ الاختیاریَّیْنِ وأحدِهما، والاضطراریَّیْن وأحدهما مع اختیاریِّ الآخَر لا مُنْفَرِداً، وفی اضطراریِّ المشعرِ وحدَه قولٌ قویٌ

۱- ۱ آیة السُخْرة هی الآیة ۵۴ من الأعراف ۷: «إنّ ربّکم اللَّه الذی خَلَقَ ... مُسَخَّراتٍ بأمره ألا له الخلقُوالأمرُ تبارک اللَّه ربُّ العالمین».

۲- ۲ الفقیه ۲: ۳۲۵ ح ۱۵۴۸ باب الإفاضة من عرفات ح ۴؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۸۷ ح ۶۲۲ باب الإفاضة من عرفات ح ۵.

۳- ۳ الکافی ۴: ۴۶۹ باب لیلة المزدلفة والوقوف بالمشعر والافاضة منه وحدوده ح ۴ وفیه: «ولیکن منقولک: «اللهم ربَّ المشعر الحرام فکَّ رقبتی من النار ...»؛ الفقیه ۲: ۱۸۷- ۱۸۸ ح ۶۲۳ باب الافاضة من عرفات ح ۶ «... معاویة بن عمّار: سمعت ابا عبد اللَّه علیه السلام یقول: اللهم أعتقنی زمن الذل یکررها حتی أفاض الناس ... الفقیه ۲: ۱۹۱ ح ۶۲۵ باب نزول المزدلفة ح ۱۶.

۴- ۴ الکافی ۴: ۴۶۸- ۴۶۹ باب لیلة المزدلفة والوقوف بالمشعر والافاضة منه وحدوده ح ۱؛ الفقیه ۲: ۵۴۴ ح ۳۱۳۷ باب الإفاضة من عرفات ح؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۸۸- ۱۸۹ ح ۶۲۶ باب نزول المزدلفة ح ۳.

ص: ۵۹

بالإجزاء (۱)؛ هذا إذا لم يَكنِ الفَواتُ عمداً كما مَرَّ.

ويُسْتَحَبُّ الدعاءُ فى المَشْعَرِ بقوله:

اللهمّ هـذه جمعٌ فاجْمَعْ فيها جوامِعَ الخير. اللهمّ لا تُؤْيِسْنى مِن الخير الـذى سألتُكَ أنْ تجمعَه لى فى قلبى، ثمّ أطلبُ إليكَ أنْ تُعَرِّفنى ما عَرَّفْتَ أولياءَكَ فى منزلى هذا، وأنْ تَقِيَنى جوامِعَ الشَرِّ (۲).

- ويَقول أيضاً:-

اللهمّ ربَّ المشـعرِ الحرام فُكَّ رَقَبَتى مِن النـار، وأوْسِعْ علىَّ مِن رزقـكَ الحلالِ، وادْرأْ عنّى شَـرَّ فَسَـقَةِ الجنِّ والإنسِ. اللهمّ أنت خيرُ مطلوبٍ إليه وخيرُ مدعوٍّ وخيرُ مسؤولٍ، ولكُلِّ وافِدٍ جائزةٌ، فاجْعَلْ جائزتى فى مَوطِنى هذا أنْ تُقِيلَنى عَثْرَتى وتَقْبَلَ مَعْذِرتى، وأنْ تُجاوِزَ عَنْ خَطيئتى، ثمَّ اجْعَلِ التقوى مِن الدنيا زادى (۳).

فإذا طَلَعَتِ الشمسُ أفاضَ إلى مِنى بالسكينة والوَقارِ والذكرِ للَّه‌تعالى والاستغفارِ والدعاءِ (۴).

والهَرْوَلَـةُ بوادى مُحَسِّرٍ للماشـى والراكِب، ولو نَسِـيَها رَجَعَ لِتَداركِها ولو مِن مكَّةَ، كما ورد فى الخبر (۵). ويقول فيها (۶): «اللهمَّ سَلِّمْ عَهْدى، واقْبَلْ تَوْبَتى، وأجِبْ دَعوتى، واخْلُفْنِى فيمَنْ تَرَكْتُ بَعدى» (۷).

ويُسْـتَحَبُّ التقاطُ الحَصى للرَمْى مِنَ المشعر وهى سبعونَ حَصاةً، ولو احتاط بالزائد فلا بأسَ. ويُسْتَحَبُّ كونُها بُرْشاً كُحْلِيَةً مُلْتَقَطةً مُنَقَّطَةً رِخْوَةً بِقَدْرِ الأنمُلَةِ طاهرةً مغسولةً.

الرابع: نزولُ مِنى يومَ النَحْرِ لرَمْى جَمْرةِ العَقَبـةِ والذَبـحِ والحَلْقِ مُرَتَّباً كما ذُكِرَ، ولو عَكَسَ أثِمَ وأجْزأ، فإذا وَصَلَ مِنى فليَبْـدأ أوّلًا برَمْى جَمْرةِ العَقَبَةِ- وهى على حدِّ مِنى إلى جِهةِ مكّةَ كما أنّ حدَّها الآخَرَ وادى مُحَسِّرٍ- بِسَبْعِ حَصَياتٍ حَرَميةٍ غيرِ مسجديةٍ أبكارٍ بما يُسَمّى رَمْياً مُصِيبةً بفعله مباشِرةً بيده. وتجب فيه

---

۱ - ۱ الإجزاءصـريح الصـدوق فى علل الشـرائع: ۴۵۱ وظـاهره فى الفقيـه ۲: ۲۴۳ وهو ظـاهر ابن الجنيـد- كمـا حكاه عنه العلامـة فى مختلف الشيعة ۴: ۲۶۴- ۲۶۵ المسألة ۲۱۸ وولده فى إيضاح الفوائد ۱: ۳۰۹- والمرتضى رضى اللَّه عنهم فى الانتصار: ۹۰. وانظر غاية المراد ۱: ۴۴۲- ۴۴۳.

۲- ۲ الكافى ۴: ۴۶۸- ۴۶۹ باب ليلـة المزدلفة والوقوف بالمشـعر والإفاضة منه وحدوده ح ۱؛ تهذيبالأحكام ۵: ۱۸۸- ۱۸۹ ح ۶۲۶ باب نزول المزدلفة ح ۳.

۳- ۳ الكافى ۴: ۴۶۹ باب ليلـة المزدلفـة والوقوف بالمشـعر والإضافة منه وحدوده ح ۴؛ تهـذيب الأحكام ۵: ۱۹۱ ح ۶۳۵ باب نزول المزدلفة ح ۱۲.

۴- ۴ عطف على «الدعاء» فى قوله: «يستحبّ الدعاء».

۵- ۵ الكافى ۴: ۴۷۰ باب السعى فى وادى محسِّر ح ۱، ۲؛ تهذيب الأحكام ۵: ۱۹۵ ح ۶۴۹ باب نزولالمزدلفة ح ۲۶.

۶- ۶ يعنى فى حال الهرولة.

۷- ۷ الكافى ۴: ۴۷۰- ۴۷۱ بـاب السـعى فى وادى محسِّر ح ۳؛ الفقيه ۲: ۲۸۲ ح ۱۳۸۴ بـاب السـعى فى وادى محسِّر ح ۱؛ تهذيب الأحكام ۵: ۱۹۲ ح ۶۳۷ باب نزول المزدلفة ح ۱۴ وفى الفقيه: «واخلفنى بخيرٍ فيمن ...».

ص: ۶۰

النيَّةُ- مقارِناً بها لأوّله-: «أرْمی هذه الجَمْرةَ بِسَبْعِ حَصَياتٍ فی حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع أداءً لوجوبه قربةً إلی اللّه». مُسْتَدامةً الحكم إلی آخره. والظاهر أنّ الأداء والتَعَرُّضَ للعددِ مِنْ كَمال النيَّة لا واجبٌ فيها. ووَقْتُهُ ما بينَ طلوعِ الشمْسِ إلی غروبها، ويُقْضی لو فات مقدَّماً علی الحاضر، ويَخْرُجُ وقتهُ بخروج الثالثَ عَشَرَ إلی القابل.

ويُسْتَحَبُّ الطهارةُ، والمَشْی إليه، ورَمْیُ جَمْرةِ العقبةِ مُسْتَدبِراً للقبلة مُقابلًا لها، والتباعدُ عنها بِعَشْرِ أذْرُعٍ إلی خَمْسَ عَشْرَةَ، والرَمْیُ خَذْفاً بأنْ يَضَعَ الحَصاة علی إبهامِ يدِه اليُمْنی ويَدْفَعها بظُفُر السبّابة، ولو تَعارَضَ الخَذْفُ والتباعُدُ قُدِّمَ الخَذْفُ تَخَلُّصاً مِنْ خلافِ مَنْ أوْجَبَه (۱). ويَدْعو مع رَمْیِ كُلِّ حَصاةٍ بالمنقول وهو:

اللهمّ اذْحَرْ عنّی الشيطانَ. اللهمّ تصديقاً بكتابِك وعلی سُنَّةِ نبيِّكصلی الله عليه و آله و سلم.

اللهُمّ اجْعَلْه حَجّاً مَبْروراً، وعملًا مقبولًا وسَعْياً مشكوراً وذَنْباً مغفوراً (۲).

والهَدْیُ بعدَ الرَمیِ واجبٌ علی المُتَمَتِّع وإنْ كان مَكيّاً. ويَجِبُ كونُه مِنَ النَعَم، وأفضلُه البُدْنُ ثمّ البَقَرُ ثمّ الغَنَمُ، أقلُّه الثَنيُّ وهو مِنَ الإبل ما دَخَلَ فی السَنَةِ السادسةِ ومِن الأخيرَيْنِ ما دَخَلَ فی الثانية. ويَكفی فی الضَأْن إكمالُ الشهرِ السابعِ؛ وكونُه تامّاً، فلا يُجْزِئُ الأعْوَرُ والمريضُ والأعرجُ والأجربُ ومَكسورُ القَرْنِ الداخلِ ومقطوعُ الأُذُنِ أو بعضِها والخَصِيُّ، ويُجزِئ فاقدُ القَرْنِ والأذُنِ خِلْقَةً؛ وكونُه سَميناً بأنْ يكونَ علی كُلْيَتَيْه شَحْمٌ. ويَكْفِی الظَنُّ الْمُسْتَنِدُ إلی التجربة أو إخبار عارفٍ، وإنْ أخْطَأَ بعدَ الذَبْحِ لا قَبلَه.

ولو تَبَيَّنَ النُقْصانُ لم يُجْزِئ مطلقاً، وكذا لو ظَهَرَ السِمَنَ مع عدمِ الظنِّ به ابتداءً.

۱- ۱ أوجبه السيد المرتضی فی الانتصار، ۲۶۰ وانظر: مختلف الشيعة ۴: ۲۷۱- ۲۷۲ المسألة ۲۲۳.

۲- ۲ الكافی ۴: ۴۷۸- ۴۷۹ باب يوم النحر ومبتدإ الرمی وفضله ح ۱؛ تهذيب الأحكام ۵: ۱۹۸ ح ۶۶۱ باب نزول المزدلفة ح ۳۸.

ص: ۶۱

ولو لم يُوجَدْ إلّافاقِدُ الشرائط أجْزأ، فإنْ فُقِدَ خَلَّفَ ثَمَنَه عندَ ثقةٍ ليَذْبَحَ عنه فى ذى الحجّة، فإنْ تَعَذَّرَ فمِنَ القابِلِ. ولو عَجَزَ عن التَمَتُّعِ صامَ بدلَه ثلاثةَ أيّامٍ فى الحجِّ- أى فى ذى الحِجّة- متواليةً وسبعةً إذا رَجَعَ إلى أهله، أو مَضى للمجاور مقدارُ وصوله أو شَهْرٌ.

ويُسْتَحَبُّ كونهُ أُنثى مِنَ الإبل والبقرِ ذكراً مِن غيرهما قد حَضَرَ عَرَفَةَ- ويَكفى قولُ المالك سميناً زيادةً على ما شُرِطَ، والمباشَرَةُ إنْ أحْسَنَ وإلّا جَعَلَ يدَه مع يدِ الفاعل، والدعاءُ عندَ ذَبْحِه أو نَحْرِه، بقوله:

وَجَّهْتُ وَجْهى لِلذى فَطَرَ السَمواتِ والأرضَ حَنيفاً (۱) وما أنا مِنَ

المُشْركين (۲) إنّصَلاتى ونُسُكى ومَحْياىَ ومَماتى للّهربِّ العالمين.

لا شريكَ له وبذلك أُمِرتُ وأنا مِن المسلمين (۳). اللهمَّ مِنكَ ولَكَ، بسم

اللّه واللّهُ أكبرُ، اللهمّ تَقَبَّلْ مِنّى (۴).

وتجب النيَّةُ- مُقارِنَةً للفعل مُسْتدامةَ الحكم-: «أذْبَحُ أو أنْحَرُ هذا الهَدْىَ فى حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّعِ لوجوبه قربةً إلى اللّه»؛ وقسمتُه ثلاثةَ أقسام: ثُلْثاً يأكُلُه أو بعضَه، وثُلْثاً يُهْدِيه لإخوانه مِن المؤمنين، وثُلْثاً يَتَصَدَّقُ به على فُقَرائهم، ولا ترتيبَ بينها؛ والنيَّةُ مقارنةً لها: «آكُلُ مِنْ هَدْيِ حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلى اللّه، وأُهْدِى ثُلْثَ هَدْيِ حَجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلى اللّه، أتَصَدَّقُ بثُلْثِ هَدْى حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلى اللّه».

ثمّ يَحْلِقُ رأسه أو يُقصِّرُ مِنْ شَعْره أو ظُفرِه كما مَرَّ. ويتعيَّن على المرأة والخنثى التقصيرُ، والنيَّةُ- مقارنةً مُسْتَدامةَ الحكم-: «أحْلِقُ- أو أُقصِّرُ- للإحلال مِن إحرام حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلى اللّه».

ويُسْتَحَبُّ استقبالُ القبلة، والبدأةُ بالقَرْن الأيمنِ مِنْ ناصيته، وتسميةُ المَحلوقِ والدعاءُ بقوله: «اللهمّ أعْطِنى بكُلِّ شَعْرةٍ نوراً يومَ القيامة» (۵).

۱- ۱ فى جميع النسخ: «حنيفاً مسلماً». وأسقطنا لفظة «مسلماً» لعدم وجودها فى المصحف الشريف والمصادر.

۲- ۲ اقتباس من الآية ۷۹ من الأنعام ۶.

۳- ۳ اقتباس من الآيتين ۱۶۲- ۱۶۳ من الأنعام ۶.

۴- ۴ الكافى ۴: ۴۹۸ باب الذبح ح ۶؛ الفقيه ۲: ۵۰۴ ح ۳۰۸۴ باب الذبح والنحر وما يقال عند الذبيحة ح؛ تهذيب الأحكام ۵: ۲۲۱ ح ۷۴۶ باب الذبح ح ۸۵؛ بحار الأنوار ۹۹: ۲۷۹- ۲۸۰ باب الهدى ووجوبه على المتمتع وسائر الدماء وحكمها ح ۹.

۵- ۵ تهذيب الأحكام ۵: ۲۴۴ ح ۸۲۶ باب الحلق ح ۱۹؛ بحار الأنوار ۹۹: ۳۰۴ باب الحلق والتقصير وأحكامهما ح ۹.

ص: ۶۲

ولا يَخْرُج مِن مِنىً حتّى يأتىَ بالثلاثـة فى ذى الحِجّـة، ويَرْجِعُ للذَبحِ والحَلْقِ لو خَرَجَ بدونه طولَه. فإنْ تَعَذَّرَ خَلَّفَ ثَمَنَ الهَدْى كما مرَّ، وحَلَقَ مكانهَ وجوباً، وبَعَثَ بالشَعْر لِيُدْفَنَ بها ندباً. أمّا الرمىُ فيَخْرُجُ وقتهُ بخروج الثالثَ عَشَرَ، فيُقْضى فى القابل.

وبالحَلْقِ أو التقصير يَتَحلَّلُ مِنْ جميع المحرَّمات المتقدِّمـة إلّاالطيبَ والنِساء والصَيْدَ، ثمّ يَتَحَلَّلُ مِن الطِيب بالسَعْى بعـدَ الطواف، ومِن النساء بطوافِهنَّ بعدَهما، والأولى تَوَقُّفُ حِلِّ الصَيْدِ الإحرامى على طوافِ النساء.

الخامسُ: العَوْدُ إلى مكّةَ للطوافَيْنِ والسعى، ومقدِّماتُها وكيفيتُها وواجباتُها مندوباتها كما مَرَّ.

والنيَّةُ: «أطوفُ بالبيتِ سبعةَ أشواطٍ طوافَ حجِّ الإسلام حجِّ التَمَتُّعِ لوجوبه قربةً إلى اللّه، أُصَلِّى ركعتى طوافِ حجِّ الإسلام حَجِّ التمتّع أداءً لوجوبها [كـذا، والصواب: «لوجوبهما»] قربـةً إلى اللّهِ، أسْعى سبعةَ أشْواطٍ سَعْىَ حَجِّ الإسـلام حَجِّ التمتُّعِ لوجوبه قربةً إلى اللّه، أطُوفُ طوافَ النساءِ فى حـجِّ الإسـلام حَجِّ التَمَتُّعِ لوجوبه قربةً إلى اللّه، أُصَلِّى ركعتى طوافِ النساء فى حجِّ الإسـلام حجِّ التَمَتُّعِ أداءً لوجوبه [كذا] قربةً إلى اللّه».

ويُسْتَحَبُّ كونُ ذلـكَ يومَ النَحْر، فإنْ أخَّرَه فمِنْ غَـدِه، وفى جواز تأخيره عن غَـدِهِ اختياراً قولانِ أقربُهما الجواز (۱). وتَظْهَرُ الفائدةُ فى الإثم وعدمه لا فى الصحّة والبُطلان.

ويَخْرُجُ وقتُها بخروج ذى الحِجَّة إجماعاً، وهى مرتِّبة كما ذكرناه، وليس طوافُ النساء مخصوصاً بمَنْ يَغْشاهنَّ، بل يجب على الخَصىِّ والهِمِّ والمرأةِ وغيرِهم، ويَسْتَمرُّ بتركه ما كان قد حَرَّمَه الإحرامُ مِنهنَّ.

السادسُ: العَوْدُ إلى مِنىً للمَبيتِ بها لَيالِىَ التشريق والرَمْيِ أيّامَها.

۱- ۱ ذهب إلى عـدم الجواز المفيـد فى المقنعة: ۴۲۰ والمرتضـى فى جُمَل العلم والعمل: ۱۱۶ وسلار فىالمراسم: ۱۱۴ والمحقِّقُ فى شرائع الإسلام ۱: ۲۴۰ وإلى الجـواز ابنُ إدريسَ فى السـرائر ۱: ۶۰۲ والعلامـةُ فى مختلف الشـيعة ۴: ۳۰۹- ۳۱۱ المسألة ۲۶۱. وانظر مدارک الأحکام ۸: ۱۱۰.

ص: ۶۳

ویجوزُ لِمَنْ اتَّقَی الصَیْدَ والنساءَ فی إحرامه ترکُ مَبیتِ الثالثهِ، إلّاأنْ تَغْرُبَ الشمسُ وهو بمِنیً فَیَتَعَیَّنُ، والأفضلُ مَبیتُ الثالثهِ لغیرهما، والواجبُ الکَوْنُ بها لَیلًا إلی نِصف اللیلِ. ولو باتَ بغیرها فعَنْ کُلِّ لیلهٍ شاهٌ، إلّاأنْ یَبیتَ بمکَّهَ مُشْتغِلًا بالعبادهِ الواجبهِ أو المُسْتَحَبّهِ طولَ اللیلِ إلّاما یَضْطَرُّ إلیه مِنْ غِذاءٍ أو شَرابٍ أو نومٍ یَغْلِبُ علیه.

وتجبُ فی المَبیتِ النیَّهُ- عندَ تحقُّق الغروب مُسْتَدامهَ الحکمِ إلی آخره:- «أبیتُ هذه اللیلهَ بمِنیً فی حَجِّ الإسلامِ حَجِّ التَمَتُّعِ لوجوبه قربهً إلی اللّه».

ویجبُ أنْ یَرْمی الجَمَراتِ الثلاثَ فی کُلِّ یومٍ بَحَسبِ مَبیت لیلتِهِ کُلَّ واحدٍ بِسَبْعِ حَصَیاتٍ مُرَتِّباً، یَبْدأ بالأُولی ثمّ الْوُسْطی ثمّ جَمْرهِ العَقَبهِ، فلو نَکَسَ أعاد علی ما یَحْصُلُ معه الترتیبُ، وهو یَحْصُلُ بأربعِ حَصَیاتٍ مع النِسیان أو الجَهل لا مع التعمُّدِ، فیُعیدُ الأخیرتینِ ویَبْنی علی الأربعِ فی الأُولی، وکذا لو رَمَی الثانیهَ بأربعٍ ورَمَی الثالثهَ بعدها، ولو نَقَصَ عن الأربعِ بَطَلَ ما بعدَه مطلقاً وهو أیضاً علی الأقوی.

وکَیْفِیهُ الرَمْی وواجباتُه وسُنَنُه کما مرَّ، إلّاأنّه یُسْتَحَبُّ استقبالُ القبلهِ فی الأُولَیْینِ؛ ورَمْیُهما عن یَسارِهما ویَمینِه، وقد تَقَدَّمَ أنّه یَسْتَدْبِرُ القبلهَ فی جَمْرهِ العَقَبهِ. وأفْضَلُ أوقاتِ الرَمْی عندَ الزَوالِ. ویُسْتَحَبُّ الإقامهُ بمِنیً بقیّهَ أیّام التشریقِ بل قد رُوی: أنّ المُقامَ بها أفْضلُ مِن الطوافِ تَطَوُّعاً (۱).

ووقتُ النَفْر الأوّلِ بعدَ الزَوال إلّالضرورهٍ، أمّا النَفْرُ الثانی فیجوز قبلَه إذا رَمَی الجِمارَ، والأفضلُ فیه التأخیرُ إلیه لِیوقِعَ الرمیَ عندَه.

ویُسْتَحَبُّ للمُقِیم أنْ یَجْعَلَصلاتَه فَرْضاً ونفلًا فی مسجِد الخَیْفِ، وأفضلُه مَسْجِدُ رسولِ اللّهصلی الله علیه و آله و سلم، وهو مِن المَنارهِ إلی نحوٍ مِن ثلاثین ذِراعاً إلی جِههِ القبلهِ وعن یَمینها ویَسارِها (۲) کذلک، فقدصَلّی فیه ألفُ نَبیٍّ (۳)، ورُوی:

۱- ۱ الکافی ۴: ۵۱۵ باب إتیان مکّهَ بعدَ الزیارهِ للطواف ح ۱؛ الفقیه ۲: ۲۸۷ ح ۱۴۱۳ باب إتیان مکّهَ بعد الزیارهِ للطواف ح ۲؛ تهذیب الأحکام ۵: ۲۶۰- ۲۶۱ ح ۸۸۷ باب زیارهِ البیت ح ۴۷،: ۴۹۰ ح ۱۷۵۵ باب الزیادات فی فقه الحجِّ ح ۴۰۱؛ الاستبصار ۲: ۲۹۵ ح ۱۰۵۳ باب إتیان مکّهَ أیّام التشریق لطواف الفاصلهِ ۴۸۸.

۲- ۲ أضاف المصنِّف فی الروضهِ البهیّهِ ۲: ۳۳۲: «وخلفّها» وکذلک المروی فی الکافی ۴: ۵۱۹ باب الصلاهِ فی مِنیً ح ۴. ۰ وانظر هذا الکلام ۲: ۷۵.

۳- ۳ الکافی ۴: ۵۱۹ باب الصلاهِ فی مسجد مِنیً و .... ح ۴.

ص: ۶۴

أنّ مَنْصَلّی فی مسجدِ مِنیً مائةَ رَکْعةٍ عَدَلَتْ عِبادةَ سبعینَ عاماً، ومَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فیه مائةَ تَسبیحةٍ کَتَبَ اللَّهُ له أجرَ عِتْقِ رَقَبةٍ، ومَنْ هَلَّلَ اللَّهَ فیه مائةً عَدَلَتْ احیاءَ نَسَمةٍ، ومَنْ حَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ فیه مائةً عَدَلَتْ خَراجَ العِراقیْنِ یُنْفَقُ فی سبیلِ اللَّه (۱).

ویُسْتَحَبُّصلاةُ ستِّ رَکَعاتٍ به فی أصل الصَوْمَعةِ إذا نَفَرَ.

فإذا قَضی مَناسِکَه بمِنیً استُحِبَّ العودُ إلی مکّةَ لطوَافِ الوَداع ودخولِ البیتِ خصوصاً الصَرورةَ بعدَ الغُسْل والتحفّی مُصاحِباً للسَکینة والوَقار آخِذاً بحَلْقَتَی البابِ عندَ الدخول، ثمّ یَقْصِدُ الرُخامةَ الحَمْراءَ بینَ الأُسْطُوانتَیْنِ اللتینِ تَلیانِ البابَ ویُصَلِّی علیها رکعتینِ، وفی کُلِّ واحدةٍ مِن الزَوایا الأربعِ رکعتینِ، ثمّ یَعودُ إلی الرخامةِ الحمراءِ فیَقِفُ علیها، ویَرْفَعُ رأسَه إلی السماء، ویُطیلُ الدعاءَ مُبالِغاً فی حضور القلب والخُشوعِ والخُضوعِ وقَصْرِ النظر عمّا یَشْغَلُ القَلب، فإذا خَرَجَ منهصلّی رَکعتینِ عنْ یَمینِ البابِ، وهو مَوْضِعُ المَقام فی عَهْدِ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم وهو الآنَ مُنْخَفِضٌ عن المَطافِ.

ویُسْتَحَبّ إتیانُ المساجِدِ والمواضِعِ المشرَّفَةِ بمکَّةَ، وزیارةُ النبیِّصلی الله علیه و آله و سلم والأئَمةِ وفاطمةَ علیهم السلام بالمدینة، وإتیانُ قبورِ الشهداء والصحابةِ والصالحین.

قالصلی الله علیه و آله و سلم:

مَنْ حجَّ ولم یَزُرْنی فقد جَفانی، ومَنْ جَفانی جَفَوْتُهُ یومَ القیامة (۲). ومَنْ

أتانی زائراً کنتُ شفیعَهُ یومَ القیامة (۳) وعن فاطمة علیها السلامُ أنّها قالت:

أخْبَرَنی أبی أنّه مَنْ سَلَّمَ علیه وعلیَّ ثلاثةَ أیّامٍ أوْجَبَ اللَّهُ له الجنَّةَ، فقیل لها: فی حیاتکما؟ قالت: نعم وبعدَ موتنا (۴).

وَلْتُزَرْ ببیتِها والروضةِ والبقیعِ. وقال الباقر علیه السلام: «ابدؤوا بمکّة واخْتِموا

۱- ۱ الفقیه ۱: ۱۴۹ ح ۶۹۰ باب فضل المساجد «حقها وثواب مَنصلّی فیها ح ۱۲.

۲- ۲ الکافی ۴: ۵۴۸ باب زیارة النبیصلی الله علیه و آله و سلم ح ۵؛ الفقیه ۲: ۳۳۸ ح ۱۵۷۱ باب ما جاء فیمن حج ولم یزرالنبیصلی الله علیه و آله و سلم وفیمن مات بمکّة أو المدینة ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۶: ۴ ح ۵ فضل زیارتهصلی الله علیه و آله و سلم ح ۵. باب فضل زیارتهصلی الله علیه و آله و سلم ح ۵. ولیست فی المصادر جملة «فقد جَفانی ومَنْ جفانی».

۳- ۳ الکافی ۴: ۵۴۸ باب زیارة النبیصلی الله علیه و آله و سلم ح ۳؛ تهذیب الأحکام ۶: ۴ ح ۴ باب فضل زیارتهصلی الله علیه و آله و سلم ح ۴.

۴- ۴ تهذیب الأحکام ۶: ۹ ح ۱۸ باب زیارة سیّدنا رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم ح ۱۱.

ص: ۶۵

بنا» (۱).

وعن الصادق علیه السلام: «مَنْ زار إماماً مفترضَ الطاعة له ثوابُ حّجةٍ مبرورةٍ» (۲). وعن الرضا علیه السلام:

إنّ لکلِّ إمام عهداً فی أعناق أولیائه وشیعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحُسْنِ الأداء زیارةَ قبورهم، فَمنْ زَراهم رغبةً فی زیارتهم وتصدیقاً بما رَغِبوا فیه کانتْ أئمّتهم شُفَعاءَهم یومَ القیامة (۳).

والأخبار فی ذلک خارجة عن حدِّ الحصر (۴).

وسُنَنُ الزیارة الغسلُ قبلَ دخول المشهدِ، والکونُ حالتها علی طهارةٍ، وإتیانُه بالخضوع والخشوع فی ثیابٍ طاهرةٍ جُدَدٍ، والوقوفُ علی بابه والدعاء والاستیذان بالمأثور. فإنْ وَجَدَ خشوعاً ورِقّةً دخل وإلّا تَحَرّی زمانَ الرقّة، فإذا دخل قَدَّمَ رجلَه الیمنی، ووقف علی الضریحِ مُلاصِقاً له أو غیرَ ملاصِقٍ، وقَبَّل الضریحَ الشریفَ، واستقبل وجهَ المَزور واسْتَدْبَرَ القبلةَ، ویَزُوره بالمأثور، وأقلُّها الحضور والسلام. ثمّ یَضَعُ خدَّه الأیمنَ علیه عند الفَراغ، ویَدْعو متضرِّعاً، ثم خدَّه الأیسَر سائلًا مِن اللّه تعالی بحقِّه وحقِّصاحب القبر أنْ یَجْعَلَه من أهل شفاعته ثمّ یُصلِّی رکعتَی الزیارة عند الفَراغ، فإنْ کان زائراً للنبیّصلی الله علیه و آله و سلم ففی الروضة، وإنْ کان لأحد الأئمّة علیهم السلام فعند رأسه، ورُوِیتْ رخصةٌ فیصلاتهما إلی القبر (۵) بمعنی جعل القبر فی قبلة المصلِّی، ویجوز استدبارُه وإنْ کان غیرَ مستحسنٍ، ویُهْدی الصلاة للمَزور، ویدعو بعدَها بالمأثور، وإلّا فیما سَنَحَ، وَلْیُعَمِّم الدعاءَ؛ فإنّه أقربُ إلی الإجابة، ویَتْلوا بعد ذلک شیئاً من القرآن ویُهْدِیه للمَزورِ تعظیماً له، والمنتفِعُ بذلک کلِّه الزائرُ. ویَخْتِم ذلک کَلَّه بالصدقة علی السَدَنَةِ (۶) والمَحاویجِ بتلک البُقْعة. ولَیَکُنْ بعدَ الحجِّ والزیارة خیراً منه قبلَهما؛ فإنّ ذلک علامةُ القبول وبلوغُ المأمول.

۱- ۱ الکافی ۴: ۵۵۰ باب فضل الرجوع إلی المدینة ح ۱؛ الفقیه ۲: ۳۳۴ ح ۱۵۵۲ باب الابتداء بمکّة والختم بالمدینة ح ۱.

۲- ۲ المقنعة: ۴۷۴ مع اختلاف.

۳- ۳ الکافی ۴: ۵۶۷ باب بدون العنوان من کتاب الحجّ ح ۲؛ الفقیه ۲: ۳۴۵ ح ۱۵۷۷ باب زیارة النبی والائمةصلوات اللّه علیهم ح ۲؛ تهذیب الأحکام ۶: ۷۸- ۷۹ ح ۱۵۵ باب فضل زیارة علی بن الحسین و ... ح ۳.

۴- ۴ راجع وسائل الشیعة ۱۴: ۳۲۰- ۳۳۲ ابواب المزار وما یناسبه الباب ۲ ح ۱- ۲۵.

۵- ۵ تهذیب الأحکام ۲: ۲۲۸ ح ۸۹۸ باب ما یجوز الصلاة فیه من اللباس والمکان و .... ح ۱۰۶.

۶- ۶ السدن: خادم کلّ مرقد أو مشهد وفی المعجم الوسیط ۱: ۴۲۴ سدن. «سَدَنَ یَسْدُنُ سَدْناً و ...: خَدَمَالکعبة. السادِن: خادم الکعبة ... الجمع سَدَنَة».

ص: ۶۶

وأما الخاتمة:

فتشتمل على جملةٍ موجزَةٍ فى وظائف الحجِّ القلبيَّةِ يَحْسُنُ فَهْمُها وتَذكرُها لمَنْ أرادَ الحجَّ مِن العالَمين قد أخرجها الحقُّ سبحانَه على لسان بعضِ الكاملين (۱):

اعلم أنّ أوّل الحجِّ فهمُ موقع الحجِّ فى الدين، ثمّ العزمُ عليه، ثمّ قطعُ العلائق المانعة عنه، ثمّ تهيئةُ أسباب الوصول إليه من الزاد والراحلة، ثمّ السيرُ، ثمّ الإحرامُ من الميقات بالتلبية، ثمّ دخولُ مكّةَ، ثمّ استتمامُ الأفعال المشهورة. وفى كلِّ حالةٍ من هذه الحالات تذكرةٌ للمتذكِّر، وعِبرةٌ للمعتبرِ، وتنبيهٌ للمريد الصادق، وإشارةٌ للفَطِن الحاذِقِ إلى أسرارٍ يَقِفُ عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه إنْ ساعَدَه التوفيق.

فاعلم أنّه لا وصولَ إلى اللَّه سبحانه وتعالى إلّابتنحية ما عداه عن القصد مِن المشتَهياتِ البدنيةِ واللَذّات الدنيويةِ، والتجريدِ فى جميع الحالات والاقتصارِ على الضرورات. ولهذا انْفَرَد الرُهبانُ فى الأعصار السالفة عن الخلق فى قُلَل الجبال؛ توحُّشاً مِن الخلق وطلباً للانُس بالخالق، وأعرضوا عن جميع ما سِواه، ولذلك مَدَحَهم اللَّه تعالى بقوله: «بأنّ مِنْهُم قِسّيسينَ ورُهباناً وَأنَّهُمْ لا يَسْتَكبِرون» (۲)

. فلمّا انْدَرَس ذلك وأقبل الخلقُ على اتّباع الشَهَوات والإقبال على الدنيا والالتفات عن اللَّه تعالى بَعَثَ اللَّه نبيّاً محمداًصلى الله عليه و آله و سلم لإحياء طريق الآخرة وتجديدِ سُنَّةِ المرسلين فى سلوكها، فسَأَلَه أهلُ الملل عن الرُهبانيّة والسِياحة فى دينه فقال:

أبْدَلَنا [اللَّه] (۳) بها الجهادَ والتكبيرَ على كلِّ شَرَفٍ» يعنى الحجَّ.

۱- ۱ لاحظ إحياء علوم الدين ۱: ۳۱۴- ۳۱۹. لاحظ أيضاً أسرار الحج وأعماله الباطنة لابن ميثم البحرانيص ۱۸ من هذا العدد التحرير

۲- ۲ المائدة ۵: ۸۲.

۳- ۳ ما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

ص: ۶۷

وسُئل علیه السلام عن السائحین، فقال: «هم الصائمون» فجعلصلی الله علیه و آله و سلم الحجَّ رهبانیةً لهذه الأُمّة، فشَرَّفَ البیتَ العتیقَ باضافته إلی نفسه، ونَصَبه مَقْصداً لعبادة، وجَعَلَ ما حولَه حرماً لبیته؛ تفخیماً وتعظیماً لشأنه، وجَعَلَ عرفاتٍ کالمیدان علی باب حَرَمه، وأکَّدَ حرمةَ الموضعِ بتحریمصَیْده وشَجَره، ووَضَعه علی مثال حَضرة الملوک یَقْصِدُه الزُوَّار مِن کلِّ فَجٍ عمیق (۱) شُعْثاً غُبْراً متواضِعینَ لربِّ البیت، مُسْتَکینینَ له؛ لجلاله واسْتِکانةً لعزَّته- مع الاعتراف بتنزیهه سبحانه عن أنْ یَحْوِیه مکانٌ- لیکون ذلک أبلغَ فی رَقّهم وعُبودیّتهم.

ولذلک وَظَّفَ علیهم فیها أعمالًا لا تَأنَسُ بها النفوسُ ولا تَهْتَدی لمعانیها العقولُ، کرَمْی الجِمار بالأحجار، والتردُّدِ بینَ الصفا والمروة علی سبیل التَکرار، وبمثل هذه الأعمالِ یَظْهر کمالُ الرَقّ والعبودیَّةِ بخلاف سائر العبادات کالزکاة التی هی إرفاقٌ من وجه معلوم، وللعقل إلیه میل، والصَوْمِ الذی هو کَسْرٌ للشهوة- التی هی [آلة] (۲) عدوّ اللَّه وتفرّغٌ للعبادة بالکفِّ عن الشواغلِ، وکالرکوع والسجود فی الصلاة التی هی تواضعٌ للَّهسبحانَه.

وأمّا أمثال هذه الأعمال فإنّه لا اهتداءَ للعقل إلی أسرارها، فلا یکون فی الإقدام علیها إلّاالأمرُ المجرَّدُ وقصدُ امتثاله مِن حیث هو واجب الاتّباع فقط، وفیه عَزْلٌ للعقل عن تصرُّفه وصرفُ النفسِ والطبعِ عن مَحلِّ انسه المعینِ علی الفعل. وإذا اقْتَضَتْ حکمةُ اللَّه سبحانه وتعالی ربطَ نَجاةِ الخلق بکون أعمالهم علی خلاف أهْویةِ طِباعهم، وأنْ تکون أزمّتُها بید الشارع فیَتَردَّدون فی أعمالهم علی

۱- ۱ اقتباس من الآیة ۲۷ من الحج ۲۲.

۲- ۲ أضفناه من المصدر.

ص: ۶۸

سُنَنِ الانقياد ومتقضى الاستعباد، كان مالا يُهْتَدى إلى معانيه أبلغَ أنواع التعبّدات فى تزكيهٔ النفوس، وصرفها عنَ ميل الطبع إلى مقتضى الاسترقاق.

وأمّا العَزْمُ: فَلْيَسْتَحْضِرْ فى ذهنه أنّه بِعَزْمِه مُفارقٌ للأهل والولد، هاجِرٌ للشهواتِ واللّذّات، مُهاجِرٌ إلى ربِّه، متوجِّهٌ إلى زيارهٔ بيته، ولْيُعْظِمْ قدرَ البيتِ لِقدرِ ربِّ البيت، ولْيُخْلِصْ عَزْمَه للّه تعالى، ولْيَتَحَقَّقْ أنّه لا يُقْبَل مِن عملِه إلّاالخالصَ.

وأمّا قطعُ العلائقِ: فحذفُ جميعِ الخواطرِ عن قلبه غيرِ قصد عبادهٔ اللّه، والتوبهُ الخالصهُ عن المعاصى، فكلُّ علاقهٍ مِن المعاصى خصمٌ حاضرٌ متعلِّقٌ به يُنادى عليه ويَقولُ: أتَقْصِدُ بيتَ مَلِكِ الملوك، وهو مطَّلِعٌ منك على تضييع أوامرِه، واسْتِهانتِك به وعدمِ التفاتك إلى نَواهيه وزَواجِره، أما تَسْتَحِى أنْ تَقْدُمَ عليه قدومَ العبد العاصى، فيُغْلِقَ دونك أبوابَ رحمته، ويُلْقِيك فى مَهاوى نَقمَتِه، فإنْ كنت راغباً فى قبول زيارتك فَابْرُزْ إليه مِن جميع مَعاصيك، واقْطَعْ علاقهَ قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك، لِتَتَوجَّه إليه بوجه قلبِك كما أنت متوجِّهٌ إلى بيته بوجهِ ظاهرك. وليَذْكُرْ عندَ قطعه العلائِقَ لسفر الحجِّ قطعَ العلائِقِ لِسفر الآخرهِ؛ فإنّ كلَّ هذه أمثلهٌ قريبهٌ يَترقّى منها إلى أسرارها.

وأمّا الزادُ: فليَطْلُبْه مِن موضعِ حلال، فإذا أحسَّ منْ نفسه الحِرْص على استكثارِه وطِيبِهِ وطَلَبِ ما يَبْقى منه على طولِ السفر، وأنْ لا يَنْفَدَ قبل بلوغِ المَقْصد فليذْكُرْ أنّ سفرَ الآخرهِ أطولُ مِن هذا السفر، وأنّ زاده التقوى، وما عداه لا يصلُحُ زاداً. ولْيَحْذَرْ أنْ يُفْسِدَ

ص: ۶۹

أعمالَه- التی هی زاد الآخرة- بشوائب الریاء وکدورات التقصیر، فیَدْخُلَ فی قوله تعالی: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بالأخْسَرینَ أعمالًا الذینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فی الحیوة الدُنْیا وَهُمْ یَحْسَبُونَ أنّهُمْ یُحِسنون،صُنعاً» (۱)

. ویلاحظُ عندَ سفره نَقْلَتَه إلی منازِلِ الآخرة التی لاـ شکَّ فیها، ولعلَّه أقربُ من سفره هذا، فَیحتاط فی أمره، ولیَعْلَمْ أنّ هذه أمثلةٌ محسوسةٌ یَترقّی منها إلی مراکِب النَجاة مِنْ عذاب اللَّه تعالی.

وأمّا الخروجُ من البلد: فلْیَسْتَحْضِرْ عندَه أنّه یُفارِقُ الأهلَ والولدَ متوجِّهاً إلی اللَّه سبحانه فی سفرٍ غیرِ أسفار الدنیا، وأنّه متوجِّه إلی مَلِک الملوک وجبّارِ الجبابرةِ فی جملة الزائرین الذین نُودوا فأجابوا، وشُوِّقوا فاشتاقوا، وقَطَعوا العلائقَ، وفارَقوا الخلائقَ، وأقبلوا علی بیت اللَّه تعالی طلباً لرضا اللَّه تعالی وطمعاً فی النظر إلی وجهه الکریم. ولْیَحْضُرْ أیضاً قلبَه لِلوصولِ إلی المَلِک والقبول له بِسعَةِ فضله، ولْیَعْتَقِدْ أنّه إن مات قبلَ الوصول إلیه لَقِی اللَّه تعالی وافِداً علیه لقوله تعالی: «وَمنْ یَخْرُجْ مِن بَیْتِه مهاجِراً إلی اللَّه ورسوله ثُمَّ یُدْرِکُهُ الموتُ فَقَدْ وَقَعَ أجْرُهُ عَلی اللَّه» (۲)

. ثمّ لْیَتَذَکَّرْ فی أثناء طریقه مِنْ مشاهَدةِ عَقَبات الطریقِ عقبات طریق الآخرة الآخرة، ومِن السِباع والحیَّاتِ حَشَراتِ القبر، ومِنْ وحشةِ البَراری ووحشةِ القبر وانفرادَه عن الانس؛ فإنّ کُلَّ هذه الامور جاذبةٌ إلی اللَّه سبحانه، ومُذکِّرةٌ له أمرَ مَعاده.

وأمّا ثَوْبُ الإحرامِ: ولُبْسُه فلْیَتَذَکَّرْ معه الکفنَ ودَرْجَه فیه، ولعلَّه أقربُ إلیه، ولْیَتَذَکَّرْ معها (۳) التَسَرْبُلَ بأنوارِ اللَّه تعالی التی

۱- ۱ الکهف ۱۸: ۱۰۳- ۱۰۴.

۲- ۲ النساء ۴: ۱۰۰.

۳- ۳ هکذا فی بعض النسخ، وفی بعضها: «منها». ولعلّ الصواب: «معهما» أو «منهما» أی مع من ثوب الإحرامولُبسه.

ص: ۷۰

لا مَخْلَصَ مِن عقابه إلّابها، فيَجْتَهِد فی تحصيلها بقدر إمكانه.

وأمّا الإحرام والتلبيةُ: فليَسْتَحْضِر أنّه إجابةُ نِداء اللَّه سبحانه وتعالی (۱). وليَكُنْ فی قبول إجابته بينَ خوفٍ ورجاء، مُفَوِّضاً أمرَه إلی اللَّه، مُتَوكِّلًا علی فضله.

قال سفيانُ بنُ عُيَينَةَ: حَجَّ زينُ العابدين علیُ بنُ الحسينِ عليهما السلام، فلمّا أحْرَمَ واسْتَوَتْ به راحلتُه اصْفَرَّ لونُه، ووقَعَتْ عليه الرَعْدَةُ ولم يَسْتَطِعْ أنْ يُلَبِّی، فقيل له: لِمَ لا تُلَبِّی؟ فقال: «أخشی أنْ يَقولَ لی:

لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْك» فلمّا لَبَّی غُشِیَ عليه وسَقَطَ عن راحته، فلم يَزَلْ يَعْتَريه ذلك حتی قُضی عليه (۲).

ولْيَذْكُرْ عند إجابته نداءَ اللَّه سبحانه إجابةَ ندائهِ بالنفخ فی الصور، وحَشْر الخلقِ من القبور، وازدحامهم فی عَرَصاتِ القيامةِ مُجيبينَ لندائه، مُنْقَسِمينَ إلی مقرَّبين ومَمْقُوتين، [مقبولين و] (۳) ومتردِّدين بينَ الخوفِ والرَجاء.

وأمّا دخولُ مكّةَ: فَلْيَستَحْضِرْ عندَه أنّه قد انتهی إلی حرم اللَّه الأمينِ، ولْيَرْجُ عندَه أنْ يَأمنَ بدخوله مِن عقاب اللَّه، وَلْيَخْشَ أنْ لا يكونَ مِن أهل القُرب، ولْيَكُنْ رجاؤه أغلبَ؛ فإنّ الكرمَ عميمٌ وشرفَ البيت عظيمٌ، وحقَّ الزائر مَرْعیٌّ، وذِمامَ المستجيرِ محفوظٌ خصوصاً عند أكرم الأكرمين. ولْيَسْتَحْضِر أنّ هذا الحرم مِثال للحرمِ الحقيقی، لِيَترقّیَ- مِن الشوق إلی دخول هذا الحرم والأمنِ بدخوله من العقاب- إلی الشوقِ إلی دخولِ ذلك الحرم والمقام الأمين.

وإذا وَقَعَ بصرُه علی البيت فلْيَستحضِرْ عظمتَه فی قلبه، ولْيَترقَ

۱- ۱ كما تقدَّم فی أوائل هذه الرسالة.

۲- ۲ هكذا فی النسخ، وفی المصدر: «حتی قضی حجّة».

۳- ۳ أضفناه من المصدر.

ص: ۷۱

بفکره إلی مشاهَدَة حضرةِ ربِّ البیت فی جِوار الملائکة المقرَّبینَ، ولْیَتَشَوّقْ أنْ یَرْزُقَه النظرَ إلی وجهه الکریم، کما رَزَقه الوصولَ إلی بیته العظیم.

ولْیُکْثِرْ مِن الذکر والشکرِ علی تبلیغ اللَّهِ إیّاه هذه المرتبةَ. وبالجملة فلا یَغْفُلْ عن تَذُّکر أحوالِ الآخرة.

وأمّا الطوافُ بالبیت: فَلْیَسْتَحْضِرْ فی قلبه التعظیمَ والخوْفَ والخَشْیَةَ والمحبّةَ، ولْیَعْلَمْ أنّه بذلک مُتَشَبِّهٌ بالملائکة المقرَّبینَ، الحافِّینَ حولَ العرش، الطائفینَ حولَه. ولا تَظُنَّنَّ أنّ المقصودَ طوافُ جسمِک بالبَیت بل طوافُ قلبک بذکرِ ربِّ البَیْت، حتّی لا تَبْتَدئ بالذکر إلّامنه، ولا تَخْتِمَ إلّابه. کما تبتدئُ بالبیت، وتَخْتِمُ به. ومن هنا قال أهلُ الحقیقة: «طوافُ أهل العبارة بالقالب، وطواف أهل الإشارة بالقلب»؛ فإنّ الطوافَ المطلوب هو طوافُ القلب بحضرة الربوبیَّة، وأنّ البیتَ مِثالٌ ظاهرٌ فی عالم الشهادة لتلک الحضرة التی هی عالَمُ الغیب، کما أنّ الإنسان الظاهرَ مثالٌ ظاهرٌ فی عالم الشهادة للإنسان الباطن لا یُشاهَد بالبصر، وهو فی عالَم الغیب، وإنّ عالَمَ المُلکِ والشهادة مرْقاةٌ ومَدْرجٌ إلی عالم الغیب والملکوت لمَنْ فُتِحَ له بابُ الرحمة، وأخَذَتِ العنایةُ الإلهیةُ بیده لسلوک الصراط المستقیم.

وأمّا اسْتِلام الحَجَر: فَلْیَسْتَحْضِرْ عندَه أنّه مُبایعٌ للّه‌علی طاعته، مُصَمِّمٌ عزیمتَه علی الوفاء ببیعته، «فَمَنْ نَکَثَ فَإنّما یَنْکُثُ عَلی نَفْسِهِ وَمَنْ أوفی بما عاهَدَ عَلَیْهُ اللَّهَ فَسَیُؤْتیه أجراً عظیماً» (۱)

. ولذلک قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم: «الحَجَرُ الأسودُ یَمین اللَّهِ فی الأرض، یُصافِحُ بها خَلْقَه کما یُصافِحُ الرجلَ أخاه» ولمّا قَبَّلَه عُمَرُ: «إنِّی لأعلَمُ أنّک

۱- ۱ الفتح ۴۸: ۱۰.

ص: ۷۲

حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، ولولا أنّی رأیتُ رسولَ اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم یُقَبِّلُک لَما قَبَّلْتُک». فقال له علیّ علیه السلام: «مَهْ یا عُمرُ، بَل یَضُرُّ ویَنْفَعُ؛ فإنّ اللَّه سبحانه لَمّا أخَذَ المِیثاق علی بنی آدم- حیث یقول: «وإذْ أخَذَ ربُّکَ مِنْ بنی آدم مِن ظُهورِهم ذُرِّیَّتَهمْ وَأشْهَدُهم علی أنفسهم» (۱)

الآیة. ألقمه هذا الحجَر لیکونَ شاهداً علیهم بأداء أمانتهم. وذلک معنی قول الإنسانِ- فی الدعاء المتقدِّم- عند استلامِه:

أمانتی أدَّیْتُها، وَمیثاقی تعاهْدتُه، لِتَشْهَدَ لی عندَ ربِّک بالموافاة» (۲).

وأمّا التعلُّقُ بأسْتار الکعبة: والالتصاق بالملتزَم فَلْیستحضِرْ فیه طلبَ القربِ؛ حُبّاً للَّهوشوقاً إلی لقائه، تَبَرُّکاً بالمماسّة ورجاءً للتحصُّن من النار. ولتَکُن النیَّةُ فی التعلُّقِ بالِستْر الإلحاحَ فی طلب الرحمة، وتوجیهَ الذهن إلی الواحد الحقّ، وسؤالَ الأمان من عذابه، کالمُذْنِبِ المتعلِّق بأذیالِ مَن عَصاه، المُتَضَرِّعِ إلیه فی عفوه عنه، المعترِفِ له بأنّه لا ملجأ منه إلّاإلیه، ولا مَفْزَعَ له إلّاعفوه وکرمُه، وأنّه لا یُفارِقُ ذَیلَه إلّابالعفو، وبذل الطاعة (۳) فی المستقبَلِ.

وأمّا السعیُ: بینَ الصفا والمروة فی فِناء البَیت فمثالٌ لتردُّد العبد بفِناء دار المَلِک جائیاً وذاهباً مرّةً بعدَ اخری؛ إظهاراً للخُلوص فی الخدمة، ورجاءً لملاحَظَته بَعینَ الرحمة، کالذی دَخَلَ علی المَلِک وهو لا یَدْری ما الذی یَقْضی المَلِکُ فی حقِّه مِن قبولٍ أو ردٍّ، فیکون تردُّدُه رجاءَ أنْ یَرْحَمَه فی الثانیة إنْ لم یکنْ رِحمَه فی الأولی.

ولیَتَذَکَّرْ عندَ تردُّدِه بینَ الصفا والمروة تردُّدَه بینَ کفّتی المیزانِ فی عرصة القیامة، ولیُمَثِّلِ الصفا بکفّة الحَسَناتِ والمروةَ بکفّة السیِّئاتِ، ولیَتَذَکَّرْ تردُّدَه بینَ الکفّتینِ، ملاحِظاً للرُجحانِ

۱- ۱ الأعراف ۷: ۱۷۲.

۲- ۲ علل الشرائع: ۶۲۴- ۶۲۶ باب علّة استلام الحجر الأسود و ...، ح ۲، ۶، ۸ مع الاختلاف، وانظر وسائل الشیعة ۱۳: ۳۱۶- ۳۲۲ أبواب الطواف الباب ۱۳.

۳- ۳ هکذا فی النسخ، وفی المصدر: «وبذل الأمن».

ص: ۷۳

والنُقصانِ، متردِّداً بينَ العذاب والغُفْران.

وأمّا الوقوف بعرفَةَ: فَلْيَتَذَكَّرْ بما يَرى- مِن ازدحام الناسِ وارتفاع الأصواتِ واختلافِ اللغات واتّباعِ الفِرَقِ أئمّتَهم فى التردُّداتِ على المشاعِرِ؛ اقتفاءًبهم وسَيْراً بسيرتهم- عَرَصاتِ القيامةِ، واجتماعَ الامم مع الأنبياء والأئمّة، واقتفاءَ كلِّ أُمَّةٍ أثرَ نبيِّها وإمامِها، هادياً كان أم مُضِلًّا، وتحيُّرَهم فى ذلك الصعيدِ الواحدِ بينَ الردِّ والقبولِ.

وإذا تَذَكَّرَ ذلك فَلْيُلْزِمْ قلبَه الضَراعةَ والابتهالَ إلى اللَّه تعالى فى أنْ يَحْشُرَه فى زُمْرة الفائزينَ المرحومينَ.

ولْيَكُنْ رجاؤه أغلبَ، فإنّ الموقِفَ شريفٌ، والرحمة إنّما تَصِلُ مِن ذى الجلال إلى كافَّةِ الخلق بواسطة النفوس الكاملة مِنْ أوتاد الأرض ونحوِهم، ولا يَخْلو الموقِفُ مِنْ طائفةٍ مِن الأبدال والأوتاد وطوائفَ مِن الصالحينَ وأربابِ القلوب، فإذا اجْتَمَعَتْ هِمَمُهُمْ، وتَجَرَّدتْ لِلضَراعة نفوسُهم، وارْتَفَعَتْ إلى اللَّه تعالى أيدِيهِم، وامْتَدَّتْ إليه أعْناقُهم، يرمقون بأبصارهم جِهةَ الرحمة، طالبين لها، فلا تَظُنَّنَّ أنّه يَخِيبُ سَعْيُهمْ مِن رحمةٍ تَغْمُرُهُمْ. ومِن هنا جاء ما تقدَّم (۱)مِن الحديث: «إنّ الشيطانَ مارُئِىَ أدْحَرَ ولا أحْقَرَ ولا أصْغَرَ منه يومَ عَرَفَةَ، وذلك لِما يَرى نزول الرحمة على الخلق».

وربما كان اجتماعُ الامَم بعرفاتٍ والاستظهارُ بمجاوَرَةِ الأبدال والأوْتادِ المجتمِعينَ مِن أقطار الأرض هو السِتْرُ الأعظمُ مِن الحجّ ومقاصِدِه، فلا طريقَ إلى اسْتِنْزالِ رحمة اللَّه أعظمُ مِن اجتماع الهِمَمَ وتعاوُنِ القلوبِ فى وقتٍ واحدٍ عليصعيدٍ واحدٍ.

وأمّا الوقوفُ بالمشْعَر: فَلْيَسْتَحْضِرْ أنّه قد أقبلَ عليه مولاه بعدَ أنْ

۱- ۱ تقدّم فى أوائل الرسالة.

ص: ۷۴

کان مُدْبِراً عنه، طارداً له عن بابه، فأذِنَ له فی دخول حرمه؛ فإنّ المَشْعَرَ مِن جملة الحرم وعَرَفَةَ خارجةٌ، فقد أشْرَقَتْ علیه أنوارُ الرحمة، وهَبَّتْ علیه نَسَماتُ الرأفة، وکُسِیَ خِلَعَ القبول بالإذنِ فی دخول حرم المَلِک.

وأمّا رمیُ الجِمار: فَلْیَقْصِد به الانقیاد، لأمره وإظهارَ الرَقِّ والعبودیةِ، ثمّ لیقصِدْ به التَشَبّهَ بإبراهیمَ علیه السلام حیث عَرَضَ له إبلیسُ لعنه اللّه فی ذلک الموضِع لِیُدْخِلَ علیه شبهةً أو یَفْتِنَه بمعصیةٍ، فأمَره اللّهُ تعالی برَمْیه بالحِجارة؛ طَرْداً وقطعاً لأمله. فإنْ خَطَرَ له أنّ الشیطانَ عَرَضَ لإبراهیم علیه السلام ولم یَعْرِضْ له، فَلیعْلَمْ أنّ هذا الخاطرَ مِن الشیطانِ، وهو الذی ألْقاه علی قلبه لِیُخَیِّل إلیه أنّه لا فائدةَ فی الرمی، وأنّه یُشْبِهُ اللَعْبَ، فَلْیَطْرُدْه عن نفسه بالجِدِّ والتشمیر (۱) فی الرمی فیه برغْم أنْف الشیطان؛ فإنّه وإنْ کان رَمْیاً للجَمْرة بالحَصی فهو فی الحقیقة رَمْیٌ لوجهِ إبلیسَ وقَصْمٌ لظهره إذ لایَحْصُلُ إرغام أنفه إلّابامتثال أمر اللّه تعالی؛ تعظیماً لمجرَّد الأمر.

وأمّا ذَبْحُ الهَدْی: فَلْیَعْلَمْ أنّه تَقَرُّبٌ إلی اللّه تعالی بحکم الامتثال فَلْیُکْمِلِ الهَدْیَ أجزاءه. وهو یُشْبهُ القربَ إلی المَلِک بالذَبْحِ له وإتمامِ الضیافة والقِری، والغایةُ منه تذکُّر المعبود الأوّل سبحانَه عندَ النیَّة فی الذَبْح واعتقادُ أنّه مُتَقَرِّبٌ به إلی اللّه تعالی (۲).

فهذه هی الإشارة إلی أسْرار الحجِّ الباطنةِ فراعِها بفکرٍ صحیحٍ تُطْلِعُکَ علی ما فوقَها مِن المَدارجِ، وتَعْرُج بک علی أشرفِ المَعارج.

وفَّقنا اللّهُ وإیّاک لِتلقّی الأسرار، وجَعَلَنا مِن المخْلَصینَ الأبرار؛ إنّه جوادٌ کریمٌ.

تتمیم: یُسْتَحَبُّ لِقاءُ الحاجِّ ومصافَحَتُه وتقبیلُه والتِماسُ بَرَکته وما

۱- ۱ «التشمیر فی الأمر: السُرعَةُ فیه ... ومنه قیل: شَمَّر فی العبادة إذا اجْتَهَد وبالغ».

۲- ۲ إحیاء علوم الدین ۱: ۳۱۴- ۳۱۹. اعلم أنّ الشهید رحمه الله نَقَلَ بعض العبارات بالمعنی، ولا یوجد بعض الجمل والتعبیرات فی المطبوع من إحیاء علوم الدین، ویحتمل أنّها کانت موجودة فی نسخة الشهید، أو فی کتابٍ نَقَلَ عن الغَزّالی ونَقَلَ الشهیدُ عن ذلک الکتاب.

ص: ۷۵

عَلِقَ (۱) به مِنْ آثار رحمة اللّه تعالى. قال الصادق عليه السلام:

كان علىّ بنُ الحسينِ عليهما السلام يقول: «يا مَعْشَرَ مَنْ لم يَحُجّ اسْتَبْشِرُوا بالحاجّ، وصافِحوهم، وعَظِّموهم؛ فإنّ ذلك عليكم، تُشارِكوهم فى الأجر» (۲).

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ عانَقَ حاجّاً بغُباره كان كأنّما اسْتَلَمَ الحجَر الأسوَد»، رواه الصدوق فى الفقيه (۳).

وَلْنَقْتَصِرْ على ما أفْرَدَناه، سائلينَ مِمّن انْتَفَعَ به أنْ يُشارِكَنا فى دعائه وتوجُّهاتِه. جَمَعَنا اللّهُ وإيّاكم على طاعاته، وتَقَبَّلَ مِنّا ومنكم بفضله وكرمه.

واتَّفقَ الفَراغُ مِنْ تأليفه ضُحى يوم الجمعة (۴) سابعَ عَشَر شهرِ رمضانَ المبارك سنةَ خمسينَ وتسعمائة مِن الهجرة النبويّة المصطفوية (۵). [وكتب] العبد (۶) المذنب المفتقر إلى عفو اللّه تعالى وكرمه زينُ الدين بن على بن أحمد الشامى العاملى، عامله اللّه بفضله، وعفا عنه بمنّه وكرمه.

۱- ۱ «عَلِقَ الشىءُ الشىءَ، وبه: نَشِبَ فيه واستمسك به، يقال: عَلِقَ الشوكُ الثوبَ وبه» المعجم الوسيط ۲: ۶۲۲ علق.

۲- ۲ الكافى ۴: ۲۶۴ باب فضل الحجّ والعمرة وثوابهما ح ۴۸؛ الفقيه ۲: ۱۴۷ ح ۶۴۷ باب فضائل الحجِّ ح ۹۷ وفيها: «يجب عليكم» بدل «عليكم».

۳- ۳ الفقيه ۲: ۱۹۶ ح ۸۹۲ باب ثواب معانَقَة الحاجِّ ح ۱.

۴- ۴ وفى بعض النسخ: «يوم الخميس».

۵- ۵ هكذا فى أكثر النسخ، وفى النسخه: «واتفق الفراغُ مِن تأليفه فى عصر يوم السَبْتِ ثالث عشر شهر ذىالقعدة الحرام سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة» قال الطهرانى رحمه الله فى الذريعة ۲۲: ۲۶۳: «فَرَغَ منه نهار الأربعاء ۲۰ شوّال ۹۵۳ ... وفى بعض النسخ ذكر فراغ المصِّنف فى ضحى الجمعة ۱۷ رمضان ۹۵۰ وفى بعضها: ۱۴ رمضان».

۶- ۶ من هنا إلى آخر العبارة إنّما وردتْ فى نسخة من النسخ الثمان التى قابلنا بها هذه الرسالة.

ص:۷۶

ص: ۷۷

الهوامش:

قرن المنازل

ص:۷۸

ص:۷۹

ص:۸۰

ص:۸۱

ص:۸۲

ص:۸۳

ص: ۸۴

قرن المنازل

عبد الهادی الفضلی

قرن- بفتح القاف وسکون الراء-، وضبطه الجوهری فی (الصحاح) بفتح القاف والراء معاً، وغلطه الفیروزآبادی فی (القاموس) فی تحریکه الراء، قال ابن حجر فی (فتح الباری): «وضبطهصاحب الصحاح بفتح الراء، وغلطوه، وبالغ النووی فحکی الاتفاق علی تخطئته فی ذلک، لکن حکی عیاض تعلیقَ القابسی:

أن من قاله بالإسکان أراد الجبل، ومن قاله بالفتح أراد الطریق».

ولأن کلمة (قرن) تطلق فی بعض معانیها- علی (الجبل الصغیر المنفرد) کانت تطلق علی جبلصغیر منفرد فی موضع المیقات المعروف ب (قرن المنازل)، وبه سمیت القریة التی هو فیها، وکذلک سمی الوادی الذی هو فیه، من باب تسمیة الکل باسم الجزء، فقیل لکل واحد منهما قرن المنازل.

ومن هنا قال الفیروزآبادی فی (القاموس): «وهی قریة عند الطائف أو اسم الوادی کلّه».

ص: ۸۵

ولعل إضافة (قرن) إلى (المنازل) لأنه القرن الوحيد الواقع فى مراحل ومنازل طريق الطائف إلى مكة المار بنخلة اليمانية.

وكثيراً ما تختصر العبارة فيقال (قرن) من غير إضافة، خاصة فى كتب البلدان كما فى أمثال (المناسك) للحربى، و (صفة جزيرة العرب) للهمدانى وغيرهما، وربما كان هذا لشهرته، أو لأنه لا يوجد قرن- بالمعنى الذى ذكرناه- فى مراحل ومنازل الطريق المذكور غيره.

ويقع قرن المنازل مرحلة أو منزلًا من منازل طريق الحاج من الطائف على نخلة اليمانية، قال الحربى فى (المناسك): «طريق الطائف: تخرج من عرفة على جبل يقال له (كَرَا) يظهر على حرّة كثيرة المنابت يقال لها (الهَدَة) ومن الهَدَة إلى الطائف.

وله طريق أخرى على موضع يقال له (زَيْمَة) ينفرد من (مُشاش) ثم (قرن المنازل)، وهو الموضع الذى وقته رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم لأهل نجد حين قال: (ويهلّ أهل نجد من قرن)، ثم من قرن المنازل إلى الطائف .. وهذه الطريق ثلاثة أيام، والطريق الأول يومان».

والطريق القديمة التى كانت تمر بقرن المنازل هى:

١- طريق الطائف:

يمرّ بالمليح (ويسمى الآن السيل‌الصغير) فقرن‌المنازل (ويسمى الآن السيل الكبير) فالبوباة (وتسمى الآن البهيتاء) فوادى نخلةاليمانية، فقرية الزيمة فوادى سبوحة فوادى يَدَعان (جَدَعان) فالشرائع (حنين) فالجعرانة فمكة المكرمة.

ويعرف هذا الطريق بطريق نخلة اليمانية.

أما الآن فقد اختصر هذا الطريق وكالتالى: الطائف- الحوية- السيل

ص: ۸۶

الصغیر- السیل الکبیر (قرن المنازل)- الزیمة- الشرائع- الجعرانة- مکة.

۲- طریق الیمن:

وطرق الیمن التی تمرّ علی قرن المنازل هی:

أ- طریقصنعاء-صعدة:

یمرّ ببیشة فوادی تُرَبَة فقرن المنازل (السیل الکبیر).

ب- طریق حضرموت- نجران:

یلتقی مع الطریق السابق بقرن تثلیث، فوادی تُرَبَة، فقرن المنازل (السیل الکبیر).

۳- طریق الیمامة (نجد):

أ- طریق جنوبی الیمامة:

یمرّ بوادی الدواسر، فالافلاج، ثم یجتمع مع طریق الیمامة بقرن المنازل (السیل الکبیر).

ب- طریق وسط الیمامة:

یمرّ بالُمویه فعُشیرة، ثم یلتقی مع طریق الطائف ماراً بالحویة، فالسیل الصغیر، فالسیل الکبیر (قرن المنازل).

والطریقان الرئیسان اللذان ینطلقان من الطائف والریاض (نجد) ویمران بقرن المنازل- فی أیامنا هذه- هما:

الطائف

الحویة- السیل الصغیر- السیل الکبیر (قرن المنازل).

الریاض

ص: ۸۷

وقرن المنازل- الآن- هو قريةصغيرة تعرف باسم (السيل) و (السيل الكبير) تمييزاً لها من قرية (السيل الصغير) التى تقع قبلها للقادم من الطائف أو الرياض.

فيها مسجدان قديمان، ومسجد ثالث حديث أنشأته الحكومة السعودية للإحرام منه.

وتبعد عن مكة بحوالى ثمانين كيلومتراً على طريق الرياض- مكة، المتّجه إلى الطائف بمنعطف على اليمين عند الحوية ماراً بالسيل الصغير فقرية السيل الكبير.

ويمتد وادى السيل أو القرن إلى حدود وادى الغديرين قريباً من مرتفع الهَدَا، حيث يقع (وادى محرم) الذى هو منتهى قرن المنازل على رأى البعض، أو محاذٍ لقرن المنازل كما هو المشهور.

ومن المفيد أن أشير- هنا- إلى مفارقة خلط بين قرن المنازل الميقات الأصلى ومحاذيه وادى محرم، بسبب خطإ لغوى وقع فيه المطرزى وتابعه عليه جملة من الفقهاء، وخلاصتها هى:

إنّ كلمة (قرن) فى لغتنا العربية هى من المشترك اللفظى الذى يستعمل فى أكثر من معنى.

وقاربت معانى كلمة (قرن) فى معجماتنا اللغوية الثلاثين معنى أو جاوزتها.

ومن معانيها التى ذكرت أنها اسم لعدة مواضع، بعضها فى منطقة الحج، وبعضها خارجها.

والمفارقة وقعت فى الخلط والاشتباه عند تحديد المواضع الواقعة فى منطقة الحج.

فلنتعرفالمواضع التى هى فى منطقة الحج حسبما ذكرت فى المعاجم العربية،

ص: ۸۸

ثم نوضح المفارقة بعد ذلک من خلال درسنا لعبارات اللغويين فی معاجمهم.

والمواضع التی فی منطقة الحج هی:

۱- جبل مطل أو مشرف علی عرفات.

۲- قرية عند الطائف أو اسم الوادی کله.

۳- القرن الثعالب.

وإذا حاولنا أن نعين ونحدد موقع الموضع الأول الذی هو الجبل المطل أو المشرف علی عرفات علينا أن نتعرف أولًا معنی (مطل) أو (مشرف)، فانهم يقولون (أشرف علی المکان): اطّلع عليه من فوق، وکذلک (أطل علی المکان) بمعنی أشرف أی اطلع عليه من فوق، ف (مطل) و (مشرف) إذا عُدّيا بحرف الجر (علی) يترادفان علی معنی واحد، وهو الاطلاع علی الشیء أو المکان من فوق، أو قل: رؤيتهما من علی مرتفع.

ومعنی هذا أن من يصعد الجبل المذکور يطل علی عرفات ويراه، وهذا يعنی أن الجبل المذکور إما هو واقع فی جانب من جوانب عرفات، أو فی مکان قريب منها يساعد علی رؤيتها من فوقه.

وهناک حديث يُحدِّد فيه موقف رسول اللَّهصلی الله عليه و آله و سلم يوم الموقف فی عرفة يستفاد منه أن الجبل المشرف علی عرفات هو (جبل الرحمة) فی عرفات فإنه قرن (أی جبلصغير منفرد)، وأسود اللون کما وصف فی الحديث، فقد جاء فی (التاج) للزبيدی: «... (و) قرن (جبل مطل علی عرفات) عن الأصمعی، وقال ابن الأثير: هو جبلصغير، وبه فسر الحديث: أنه وقف علی طرف القرن الأسود».

وقال البلادی فی (معجم معالم الحجاز): «قوله- يعنی الأصمعی- (ومقصُ قرنٍ مطل علی عرفات): «ذلک ما يعرف اليوم باسم القرين، وجبل الرحمة وجبل

ص: ۸۹

عرفات، وذكر قديماً باسم إلال، وليس هو قرن المنازل ميقات أهل اليمن».

أما القريـة عنـد الطائف أو الوادى فقد جاءت معنى لمعانى قرن فى قائمة (القاموس المحيط)، قال مؤلفه- وهو يعدد معانى الكلمة- ما نصه: «وجبل مطل على عرفات، والحجر الأملس النقى، وميقات أهل نجد، وهى قرية عند الطائف أو اسم الوادى كله».

وعيّن الزبيـدى المعنى الأخير- وهو يشـرح قولصاحب القاموس- بقرن المنازل، قال: «... (و) قرن المنازل (ميقات أهل نجد، وهى قرية عند الطائف».

وبالنسبة إلى قرن الثعالب فقد ذكر أنه اسم لموضعين، هما:

- قرن المنازل.

أى أنه اسم ثان لما يعرف بقرن المنازل، قال ابن الأثير فى (النهايـة): «وفى حـديث المواقيت: أنه وقّت لأهل نجد قَرْناً، وفى رواية: قرن المنازل، هو اسم موضع يحرم منه أهل نجد، وكثير ممن لا يعرف يفتح راءه، وإنما هو بالسكون، ويسمى أيضاً قرن الثعالب».

وقال الطريحى فى (المجمع): «والقرن: موضع، وهو ميقات أهل نجد، ويسمى أيضاً قرن المنازل وقرن الثعالب».

- والموضع الثانى المسمى بقرن الثعالب: جبل مشرف على أسفل منى، بينه وبين مسجدها (مسجد الخيف) ألف وخمسمائة ذراع.

ممن ذكر هذا الفاضل الهندى فى (كشف اللثام) كما حكاه عنه النجفى فى (الجواهر) والحكيم فى (المستمسك).

وقال البلادى فى (المعجم): «وقرن الثعالب كان بمنى، اكيمةصغيرة، ثم أزيلت».

وبعد أن تعرفنا واستوضحنا تعيين وتحديد المواضع المذكورة ننتقل إلى

ص: ۹۰

نقل بعض عبائر المعجميين التى ترتبط بالاشتباه الذى أشرت إليه، وكالتالى:

قال الجوهرى (ت ۳۹۳ ه) فى (الصحاح): «والقرن: موضع، وهو ميقات أهل نجد».

وقال ابن الأثير (ت ۶۰۶ ه) فى (النهاية): «وفى حديث المواقيت: أنه وقّت لأهل نجد قرناً، وفى رواية: قرن المنازل، هو اسم موضع يحرم منه أهل نجد».

وهذان التعريفان- كما تراهما- ليس فيهما تعيين وتحديد للموضع.

ثم قال المطرزى- ت ۶۱۶ ه)- وهو معاصر لابن الأثير- فى (المُغرَّب):

«والقرن: ميقات أهل نجد، جبل مشرف على عرفات، قال:

لم تسأل الربع أن ينطقا قرن المنازل قد أخلقا وفى (الصحاح) بالتحريك، وفيه نظر».

وعبارته المذكورة واضحة فى أنه يعيّن قرن المنازل بالجبل المشرف على عرفات.

ثم يأتى من بعده الفيومى (ت ۷۷۰ ه) فيقول فى (المصباح): «وقرن- بالسكون أيضاً- ميقات أهل نجد وهو جبل مشرف على عرفات، ويقال: قرن المنازل وقرن الثعالب».

وعبارته- هى الأخرى- واضحة فى تعيين قرن المنازل بالجبل المشرف على عرفات.

وبعد الشيخين المطرزى والفيومى يأتى الفيروزآبادى (ت ۸۱۶ ه)، فيذكر فى (القاموس)- وهو فى معرض تعداد معانى كلمة قرن- المعانى الثلاثة التالية حيث يقول: «وجبل مطل على عرفات، والحجر الأملس النقى، وميقات أهل نجد وهى قرية عند الطائف أو اسم الوادى كله».

وعبارته واضحة فى أن الجبل المطل على عرفات غير ميقات أهل نجد،

ص: ۹۱

وذلک بقرینة العطف والفصل بینهما بالمعنی الآخر وهو (الحجر الأملس النقی).

کما أنها واضحة فی أن المیقات قریة أو واد ولیس جبلًا.

وهنا نقول: إن المفارقة جاءت من سقوط الواو العاطفة من عبارة المطرزی، فبدل أن یقول (والقرن میقات أهل نجد جبل مشرف علی عرفات) کان ینبغی أن یقول: (والقرن میقات أهل نجد وجبل مشرف علی عرفات) بإضافة أداة العطف.

وقد یرجع هذا إلی خطإ النسخ، أو خطإ فی الطبع أو إلی سهو من المطرزی لأنه لم یکن من اللغویین المحققین.

ویبدو أن الفیومی فی (المصباح) أراد أن یصحح عبارة المطرزی فی المغرب المذکورة فی أعلاه استظهاراً منه بأن الذی أراد ذکره المطرزی هو معنی واحد لا معنیان، فقال: القرن: میقات أهل نجد وهو جبل مشرف علی عرفات فأوهم بإضافته عبارة (وهو) علی نصّ المطرزی أن عبارة (جبل مشرف علی عرفات) وصف لمیقات أهل نجد فأوقع فی هذا الوهم بعض من رجع إلیهما من مؤلفی وشراح المناسک، أمثال: حسین بن محمد سعید بن عبدالغنی المکی الحنفی فی حاشیته الموسومة ب (إرشاد الساری إلی مناسک الملا علی القاری) فقد جاء فی الصفحة ۵۵ منها ما نصّه: «قوله: وهی قریة عند الطائف: قال فی المغرب: وقرن:

میقات أهل نجد جبل مشرف علی عرفات ۱ ه. ومثله فی المصباح. وفی شرح المصابیح: قرن: جبل أملس کأنه بیضة فی تدوره وهو مطل علی عرفات، وعلیه جری فی (البحر الرائق)، فقال: هو جبل مطل علی عرفة. ومثله فی شرح الشیخ عبداللّه العفیف والشیخ عبد الرحمن المرشدی فی شرح مناسک الکنز، وشرح ابنه، وشرح الشیخ حنیف الدین المرشدی».

ونقرأ مثل هذا فی (الریاض) للسید الطباطبائی، ففیه: «یقال له قرن

ص: ۹۲

الثعالب، وقرن بلا إضافة، وهو جبل مشرف على عرفات على مرحلتين من مكة»، وفى (كشف اللثام) للفاضل الهندى، ففى (الجواهر): «وفى كشف اللثام:

فانه جبل مشرف على عرفات، على مرحلتين من مكة»، وفى (المناهج) للمامقانى، قال: «قرن المنازل: وهو جبل مشرف على عرفات، على مرحلتين من مكة، وهو ميقات أهل الطائف»، وفى (الموجز) لأستاذنا الشهيد الصدر، قال:

«الثالث: قرن المنازل، ويقع فى جبل مشرف على عرفات».

ويبدو أن تعريف الميقات بالجبل المشرف على عرفات، أوقع البعض فى الحيرة حيث لا يوجد قريب من عرفات جبل يصدق عليه معنى الإشراف والإطلال، ففسر هذا ب (جبل كَرَا).

قال القاضى عيد فى شرح المناسك: «وهذا الجبل يسمى عند أهل مكة، وأهل تلك النواحى (كَرَا) بفتح الكاف والراء المهملة، ويوافق ما ذكره الشارح رحمه الله ما فى القاموس حيث قال فى تعداده معنى (قرن): جبل مطل على عرفة والحجر الأملس النقى ميقات أهل نجد وهو قرية عند الطائف واسم الوادى كله ا ه ..

وعبارة الشيخ القطبى فى منسكه: وهو جبل فيه بعض القرى بقرب الطائف وبه مزارع وبساتين ويجلب منها الفواكه إلى مكة ا ه ..

أقول: واسم القرية المذكورة (الهدا) ا ه ..

ويلاحظ عليه:

١- أنه توهم من عبارتى المطرزى والفيومى أن قولهما (جبل مشرف على عرفات)صفة للميقات، ثم أراد أن يوفق بين عبارتهما المذكورة وعبارة الفيروزآبادى ليتم له بأن الميقات هو الجبل المشرف أو المطل على عرفات، وذلك لأن الواو لو ذكرت لوقفت عائقاً أمام تمامية الاستدلال، ولأن الواو أيضاً تفيد بأن الميقات معنى آخر من معانى كلمة (قرن) .. وفاته أن كلمة (ميقات) فى

ص: ۹۳

عبارة القاموس مسبوقة بمعنيين لكلمة (قرن) هما: الجبل المطلّ على عرفات والحجر الأملس، وهذا يعنى أن كلمة (ميقات) لو أخذت مرتبطة بما قبلها تفيد أن الميقات هو الحجر الأملس لا الجبل المشرف، فلا يتم له بها الاحتجاج.

وكان عليه أن يتنبه لما فى عبارتى المطرزى والفيومى من خطإ ويصححهما بما ورد فى النهاية والقاموس والتاج وغيرها من المعاجم الأخرى.

۲- أن القرية (الهدا) الواقعة على جبل (كرا) لم يقل أحد بجواز الإحرام من أى موضع منها، بل أوجبوا الإحرام من الموضع المعروف ب (وادى مَحْرَم)- وهو فى طرفها مما يلى الطائف- وذلك إما لأن وادى محرم نهاية قرن المنازل أو لأنه محاذ لقرن المنازل، بينما جوزوا الإحرام فى قرية السيل من أى موضع فيها.

۳- أن جبل كرا بينه وبين وادى عرفات: وادى كرا الكبير ووادى نعمان فلا يصدق عليه أنه مطل أو مشرف على عرفات، وهو فى واقعه، وكما يشاهده الرائى يطلّ على وادى كرا الكبير الذى يتصل بعد مسافة طويلة تعد بعشرات الكيلومترات بوادى نعمان المتصل بوادى عرفات.

۴- أن الذى يفهم وبوضوح من عبارة أرباب المعاجم (القرن: جبل مطل أو مشرف على عرفات) هو أن الجبل المطل أو المشرف على عرفات اسمه (قرن)، وهو من دون إضافة إلى (المنازل) أو (الثعالب) أو غيرهما، فتفسيره بقرن المنازل يحتاج إلى دليل، مضافاً إلى ما بيناه من أنه هو جبل الرحمة.

وأخيراً: ينبغى أن نشير هنا أيضاً إلى شيئين هما:

۱- أن قرن المنازل قد يسمى قرن الثعالب، كما نصّ على هذا غير واحد من المعاجم.

۲- أن هناك موضعاً آخر يقع أسفل منى بالقرب من مسجد الخيف يسمى بقرن الثعالب أيضاً.

الحجر الاسود بين الإمام العابد والسلطان الزائف

ص: ۹۴

الحجر الأسود بين الإمام العابد والسلطان الزائف

عبد المطلب محمد

عندما ينتصر المضمون على الشكل. ويتفوق المعنى على اللفظ وتسود الحقيقة، ويتضاءل الخيال والسراب، عند ذلك ماذا يعنى؟

لا ـ شك يعنى أن الواقع والمعقولية لا زالا بين أيدينا، يجريان بيننا، نعيشهما، وإن لم يتوافرا بانتظام. فتارة حاضران واضحان، وتارة أخرى غائبان بعيدان، بعيدان هناك بيد الهوى والجهل. لكنهما فى كلّ الحالات موجودان. بالفعل أو بالقوة.

وهاهناصورة تاريخية أدبية فريدة من نوعها، عرفها التاريخ الإسلامى على نطاق واسع، عرفها من خلالها رجالها الثلاثة: الإمام العابد الساجد زين العابدين عليه السلام، والشاعر العربى المسلم الفرزدق، و (السلطان) الخليفة الأُموى هشام بن عبد الملك، ولكلّ واحد من هؤلاء الثلاثة دور معين ومحدد ومعروف فى هذه الصورة الأدبية التاريخية الفريدة. فالإمام العابد زين العابدين عليه السلام الطرف

ص: ۹۵

الأول (الدور السامى). وهشام بن عبد الملك الطرف الثانى المقابل (الدور الدانى). وبينهما (الواسطة) الشاعر العربى المسلم الفرزدق. كاشف الصورة ومجليها أو مظهرها إنصح التعبير.

ولكن أين حدثتْ تلك الصورة الفريدة الرائعة؟ أين تحركت، فرسمت تاريخاً لقضية تاريخية نادرة سجلتها الأجيال جيلًا بعد جيل، وصارت موضع فخر واعتزاز لكلّ المؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام وكلّ محبى الحقّ والحقيقة؟

لقد وقعت الحادثة الفريدة فى أقدس بقعة على الكرة الأرضية، وقعت فى مكّة التى كرمها اللّه، وفى البيت الحرام بالذات، وكان الشاهد أقدس شاهد، كان الشاهد هو الحجر الأسود أو الحجر الأسعد، ذلك الحجر المقدس الذى وضعَهُ النبى إبراهيم عليه السلام فى الركن الشرقى من الكعبة عندما رفع قواعدها، وأعاد وضعه محمد بن عبد اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، وعمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين، حين أعادت قريش بناء الكعبة الشريفة. ذلك الحجر الذى يتجه نحوه كلّ المسلمين فى الكرة الأرضية.

عند تلك النقطة المقدسة حدثت الحادثة، وتلونت الصورة، وخلدت فى ذاكرة الزمن. ولا- زالت حية إلى اليوم لقوتها وحيويتها وصدقها.

موقف تاريخى مثير:

التاريخ الإسلامى المجيد حافل بالمواقف والبطولات، مواقف مختلفة ومتنوعة، مواقف طيبة، مواقف سامية مواقف فريدة، مواقف بالسيف، وأخرى بالقلم وثالثة بالسيف والقلم معاً، ورابعة، بموقف آنى أملاه طرف معين وحالة خاصة.

وقد سجل لنا التاريخ عدداً كبيراً من المواقف والبطولات المختلفة. نُسى

ص: ۹۶

بعضـها. وبقى البعض الآخر فى ذاكرة الكتب والرسائل. بقى على الزمن رغم كلّ ملابسات التاريـخ ومنعطفاته وحالاته المتذبذبة. بقى لقوة فى الموقف نفسه.

ومن تلك المواقف الطيبة والخالدة. ذلك الموقف الثلاثى المذكور آنفاً.

الموقف الـذى دار بين الإمام زين العابـدين عليه السـلام والشاعر العربى المسـلم الفرزدق، والخليفـة الأموى هشام بن عبد الملك. فى حضرة قصيدة عربية إيمانية رائعة.

خلّدت الموقف. خُلدت لأنها ذكرت حقيقة جريئة لا يقولها إلّاجرىء، يتوقع كلّ شـىء من الحاكم. الحبس والقتل والتعذيب، وما إلى ذلك.

لقد خُلدت تلك القصيدة الرائعة، التى حملت ذلك الموقف الجرىء وانتشرت وامتدت مدة طولها ثلاثة عشر قرناً من الزمان ووصلت إلينا، لنعرف من خلالها أن الحق والمعقوليـة والقوة الذاتيـة الحقيقية تعيش فى كلّ زمان ومكان، تعيش حتى فى ظل السـلطان الجائر، بل وتتحدى كلّ السلاطين القساة العتاة فى التاريخ الطويل. ولنقرأ ذلك الموقف العظيم. تلك القصيدة الرائعة.

لما حجّ هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه عبد الملك. طاف بالبيت الحرام.

وجهـد أن يصـل إلى الحجر الأسود ليسـتلمه، فلم يقـدر على ذلك لكثرة الزحام، فَنُصب له كرسـى وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان الشام.

فبينمـا هو كـذلك إذ أقبل الإمام الكريم زين العابـدين على بن الحسـين بن على بن أبى طالب عليه السـلام، فطاف بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحّى له الناس حتى اسـتلم الحجر. فقال رجل من أهل الشام لهشام بن عبـد الملك: مَن هـذا الذى هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا اعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الشاعر العربى المسلم المعروف الفرزدق حاضراً فى ذلك الموقف، فقال بقوة واعتداد أنا أعرفه، ثم اندفع بقصيدته المشهورة هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... (۱) التى سنأتى على ذكرها.

۱- ۱ ديوان الفرزدق ۲: ۱۷۸.

ص: ۹۷

الشاعر والقصيدة:

وأبو فراس همام بن غالب بنصعصعة من دارم ثم من تميم، لقب بالفرزدق لغلظ وجهه وشبهه بالرغيف (۱).

ولد فى الكاظمة (وهى اليوم تقع شرق مدينة الكويت). ولد نحو سنة ۲۰ هجرية فى خلافة عمر بن الخطاب، ونشأ هناك نشأة بدوية.

نشأ الفرزدق على حبّ آل البيت وعلى الاعتقاد بحقهم فى الخلافة، ولكنه كان أحياناً يتظاهر بغير ما يتعقد، يقول المقرم فى تشيعه «وهو الشيعى الصميم المتفانى فى ولاء آل الرسولصلى الله عليه و آله و سلم» (۲).

وبعد استشهاد الإمام الحسين بن على عليه السلام ومقتل عبد اللّه بن الزبير سنة ۷۳ هجرية- كان العلويون قد خسروا جاههم السياسى وخسروا معه أموالهم التى كانوا يجيزون فيها الشعراء- انضم الفرزدق إلى الأمويين تكسباً لا اعتقاداً (۳). توفى الفرزدق سنة ۱۱۰ هجرية حسب ما ذكر أحمد حسن الزيات (۴).

والفرزدق، بعد ذلك، شاعر مشهور، مقتدر، ألفاظه جزلة كثيرة الغريب، له ديوان مطبوع فى جزأين. نشر أكثر من مرّة.

«عدّه ابن سلام فى الطبقة الأولى من الإسلاميين. وقدمه فى الذكر على جرير والأخطل. وقال: «كان يونس يُقدّم الفرزدق بغير إفراط، وكان المفضّل يقدّمه تقدمة شديدة» وقال جرير: «الفرزدق نَبعة الشعر» وقال أبو عبيدة: «كان الفرزدق يشبّه من شعراء الجاهلية بزهير» وقال أيضاً: «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب» وقال أبو الفرج الأصفهانى: «والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، ومحله فى الشعر أكبر من أن يتبّه عليه بقول، أو يدلّ على مكانه بوصف. أما من كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته

۱- ۱ تاريخ الادب العربى/ عمرو فروخ ۱: ۶۴۹.

۲- ۲ الامام زين العابدين عليه السلام/ عبد الرزاق المقرمص ۳۸۳.

۳- ۳ تاريخ الادب العربى/ فروخ ۱: ۶۵۰.

۴- ۴ تاريخ الادب العربى/ أحمد حسن الزياتص ۱۵۸.

ص: ۹۸

وشدة أسره فيقدم الفرزدق، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً». وقال الفرزدق نفسه: «قد علم الناس أنى أفحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون عليَّ من قول بيت». وقال مالك بن الأخطل:

«جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت فيصخر» ...» (۱).

وبعد أن عرفنا شيئاً من حياة الشاعر الفرزدق ومنزلته الأدبية والشعرية لنقرأ قصيدته الشهيرة «هذا الذى تعرف البطحاء ...» القصيدة (الموقف) كما ذكرنا، لنرى كم هى جريئة ومثيرة فى حضرة (السلطان) هشام بن عبد الملك.

وكم تتضمن من المعانى القيمة فى حقّ الإمام زين العابدين عليه السلام يقول شاعرنا الفرزدق فى ديوانه:

هذا الذى تعرف البطحاءُ وطأته والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرم

هذا ابن فاطمة إنْ كنتَ جاهله بجدّه أنبياء اللَّه قد ختموا

وليس قولك مَن هذا بضائره العُرْبُ تعرف من أنكرت والعجم

كلتا يديه غياث عَمّ نفعهما يُسْتَوْكفان لا يعروهما عدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان: حسن الخلق والشِيمُ

حمّال أثقال أقوام، إذا افتُدحوا حلو الشمائل تحلو عندِه نَعَمُ

ما قال لا قط إلّافى تشهده لولا التشهدُ كانت لاؤه نَعَمُ

عمّ البريةَ بالإحسان، فانقشعت عنها الغياهب والاملاق والعدم

إذا رأتهُ قريش قال قائلها: إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يغضى حياءً ويُعضى من مهابته فما يكلم إلّاحين يبْتسمُ

بكفه خيزران ريحه عبق من كف أروع، فى عرنينه شَهَمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

۱- ۱ ادباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام: بطرس البستانى ۱: ۳۵۹.

ص: ۹۹

اللَّه شرفه قدماً وعظّمه جرى بذلك له فى لوحة القلم

أىّ الخلائق ليست فى رقابهم لأولية هذا أو له نِعَمُ

من يشكر اللَّه يشكر أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأُممُ

ينمى إلى ذروة الدين التى قصرت عنها الاكف وعن ادراكها القدم

مَنْ جده دانَ فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت لها الأُمَمُ

مشتقة من رسول اللَّه نبعته طابت مغارسه والخيم والشيم

ينشق ثوب الدجى عن نور عزته كالشمس تنجاب عن اشراقها الظُلم من معشرٍ حبّهم دين وبغضُهُمُ كفرٌ وقربُهُمُ منجىً ومعتصمُ

مقدم بعد ذكر اللَّه ذِكرُهُمُ فى كل بدء ومختوم به الكَلِمُ

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل: «من خيرأهل‌الأرض» قيل‌هُمُ

لا يستطيع جواد بعد جودهم ولا يدانيهم قوم، وإن كرموا

هم الغيوث، إذا ما أزمة ازمت والأسدُ اسد الشرى والباس مختدم

لا ينقص العسر بسطاً من اكفهم، سيان ذلك: إنْ أثروْا وان عدِموا

يستدفع الشر والبلوى بحبهم ويُستربّ به الإحسان والنعمُ (۱) لقد قالها الفرزدقصراحة فى حقّ الإمام، أعلنها علناً على الملإ دون خوف ولا- وجل، يقول السيد عبد الرزاق المقرم: «فقد حداه إيمانه الخاص المتغلغل فيصدره، وولاؤه المتوغل فى لبة قلبه إلى أداء أجر الرسالة المأخوذ على الأسود والأبيض والحر والعبد، فأقام أكبر برهان على تشيعه الذى لا يختلف فيه اثنان، وشكل أجلى قياس انتج اقتصاص أثر عترة الوحى، فباح بما أوحته إليه سريرته المحمودة وخصاله المستحسنة وطينته الطاهرة ونفسه الزاكية غير مبال بغضب (المروانى) ومما يلمّ به بعد ذلك من سجن وقطعصلة وغيرها، فاستسهل كلّصعب دون الإشادة بذكر الحق والهتاف به خشية أن تتحكم الأغراض

۱- ۱ ديوان الفرزدق ۲: ۱۸۳- ۱۸۱.

ص: ۱۰۰

المستهدفة فی النفوس الضعیفة فیروج الضلال» (۱).

لقد وقعت هذه القصیدة کالصاعقة علی راس الخلیفة (السلطان!!!) هشام بن عبد الملک، ابن السلطان، ابن الملک، وابن تلک (الهیبة) التی ظن أن الدنیا کلّها تحت یدیه، تحت طوع بنانه.

لقد غضب هشام غضباً شدیداً. ومنع جائزته إلی الفرزدق، وقال: الّا قلت فینا مثلها؟ وکان الرد ذکیاً خارجاً من قلب الحقیقة، وقال لهشام متحدیاً: هات جدّاً کجد الإمام زین العابدین وهات أباً کأبیه وأماً کأمه حتی أقول فیکم مثلها.

فحبسوه بعسفان بین مکة والمدینة. فبلغ ذلک الإمام علی بن الحسین علیه السلام فبعث الیه باثنی عشر ألف درهم، وقال: اعذرنا یا أبا فراس. فلو کان عندنا أکثر لوصلناک به، فردّها وقال: یابن رسول اللّه ما قلت الذی قلته إلّاغضباً للّه ولرسوله، وما کنت لا رزأ علیه شیئاً، فردها إلیه وقال: بحقی علیک لمّا قبلتها فقد رأی اللّه مکانک وعلم نیتک قبلها، فجعل الفرزدق یهجو هشاماً وهو فی الحبس.

فکان مما هجاه به قوله:

أیحبسنی بین المدینة والتی إلیها قلوب الناس یهوی مُنیبها

یقلب رأساً لم یکن رأس سید وعیناً له حولاء باد عیوبها (۲) والقصیدة الفرزدقیة (هذا الذی ...)- کما تری- رائعة جمیلة لفظاً ومضموناً، تقرأها مرة فترغب فی قرأتها مرات ومرات ولا تملّ، تری الشاعر المسلم فیهاصادقاً، مستخدماً عقله وعاطفته معاً، منبثقة من عقله وقلبه، مندفعاً اندفاعاً حقیقیاً باتجاه من یحب، وهو الإمام زین العابدین والساجدین، وأهل بیته وآبائه الکرام البررة. فلا تکلّف فی القصیدة ولا استجداء، ولا طلب لمنصب ولا لجاه، ولا ولا .... إنه الحبّ لإنسان أهل للحب والتقدیر والثناء. یقول بطرس البستانی: «وأنّی یکون التکلّف فی قصیدة جاشَ بهاصدر الشاعر فقذفها بیتاً إثر

۱- ۱ الامام زین العابدین/ عبد الرزاق المقرمص ۳۸۳- ۳۸۴.

۲- ۲ بحار الأنوار: محمد باقر المجلسی ۴۶: ۱۲۷.

ص: ۱۰۱

بيت، والتأثر النفسى يملك عليه» (۱) ثم يقول البستانى أيضاً: «فهو لا يسأل زين العابدين ولا يستجديه، ولكنه يبثُ عاطفة متقدة بحب آل البيت، عاطفة نفس تؤمن بكرامتهم وترجو بهم الثواب فى الآخرة» (۲).

ولم يكن الشعر بهذه المتانة والجمال لو لم يكن الممدوح ذلك الإمام التقى الورع زين العابدين عليه السلام. ولم يكن الشعر بهذه القوة لو لم يكن الممدوح أهلًا للمدح والثناء.

ونحن لا نشك- لحظة واحدة- فى أن الفرزدق الشاعر المسلم المؤمن كان قد تأثر بشخصية الإمام سيد العابدين على بن الحسين عليه السلام، ولم لا- يتأثر بتلك الشخصية وهو الإمام ابن الإمام ابن الإمام الشهيد الحسين بن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وجدَّته الزهراء سيدة نساء العالمين، وجدّه النبى الأعظم محمد بن عبد اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم لمَ لم يتأثر به وهو (أى الإمام) ابن هذه السلالة الطاهرة المتصلة بالوحى وباللَّه وبالسماء؟

وهو من هو، وألقابه- وحدها- كافية للدلالة عليه وعلى عبادته الربانية وسلوكه الإلهى. فقد لقبَ بزين العابدين وسيد الساجدين، وسيد العابدين، والزكى، والأمين. وذى الثفنات وغيرها. أىّ ألقاب هذه التى اتصف بها الإمام الكريم؟! ومَنْ هو أفضل ممن همّه الأول والأخير، الاتصال باللَّه والوقوف بخضوع بين يديه وتحت رحمته وعدله؟!

لقد كان إماماًصامداًصابراً شهد مأساة كربلاء وواكب مسيرة العائلة الكريمة بعد الفاجعة المؤلمة إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، شاهد كلّ ذلك بكلّ تفاصيله وكلّ مفرداته. وكان فوق كلّ ذلك، وكان المثل الأعلى فى القيادة بعد استشهاد والده الإمام الحسين عليه السلام، وكان خير من وظّف الفاجعة لمصلحة الإسلام والمسلمين وتاريخ الإسلام.

۱- ۱ أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام: بطرس البستانى ۱: ۳۵۹.

۲- ۲ المرجع نفسه ۱: ۳۵۲.

ص: ۱۰۲

لقد كان عالماً زاهداً خلّف آثاراً وإرشادات رائعة وأدعية سامية معروفة جمعت فى كتاب باسم الصحيفة السجادية، وكان وكان، ويطول الحديث عن هذا الإمام الصابر (۱).

إنه الموقع الطبيعى للمدح والثناء، والمناسبة الرائعة لقول الحقّ، خاصة فى حضور سلطان زمنى يملك القتل والتعذيب وأنواع الشرور.

وإنه المكان المناسب والمؤثر، فى حضرة البيت الحرام، وقرب الحجر الأسود، ذلك الحجر المقدس، وذلك الجو الإلهى.

لقد قال الفرزدق قوله (قصيدته) متحدياً القوة الزمنية، متوقعاً النتائج المترتبة عليها، مهما كانت، وكان الحبس كما ذكرنا.

وبذلك سجل بموقفه هذا، بتحديه الخليفةصاحب السلطة الزمنية المؤقتة، وباهتمامه وثنائه على الإمام الخالى من السلطة الزمنية، سجل نقطة مضيئة فى سجل التاريخ الإسلامى.

المراجع والمصادر:

۱- ديوان الفرزدق: دار بيروت للطباعة والنشر/ بيروت- لبنان.

۲- بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسى/ نشر موسسة الوفاء/ بيروت.

۳- تاريخ الأدب العربى/ دكتور عمر فروخ/ دار العلم للملايين/ بيروت.

۴- الإمام زين العابدين: السيد عبد الرزاق المقرم/ مؤسسة الوفاء/ بيروت.

۵- تاريخ الأدب العربى/ أحمد حسن الزيات/ دار الحكمة/ دمشق- بيروت.

۱- ۱ راجع حول حياة الامام زين العابدين كتاب الامام زين العابدين لمؤلفه المرحوم عبد الرزاق الموسوى المقرم مطبعة مؤسسة الوفاء- بيروت.

ص: ۱۰۳

الهوامش:

حِجْر إسماعيل فى مسيرته التأريخية والفقهية

ص: ۱۰۴

حِجْر إسماعيل فى مسيرته التأريخية والفقهية

محسن الأسدى

«ربّنا إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غيرِ ذى زرعٍ عندَ بيتكَ المحرم ...» (۱).

ظلّ نبىُّ اللَّه إبراهيم الخليل- وقد ركب دابته، وحمل معه زوجته هاجر وطفله إسماعيل، ومتاعه- ظلّ يُغِذُّ السيرَ على هدىً من اللَّه تعالى، ويقطع الصحارى والوديان والفلوات، حتى وصل إلى وادٍ مجدبٍ مقفرٍ تحيطه الجبال، وتحفُّ به التلال. وفى رواية أن جبريل عليه السلام كان معه يُدلّه على موضع البيت الحرام ومعالمه، فكان إبراهيم عليه السلام لا يمرُّ بقرية أو مكان إلّاقال لجبريل: أبهذا أمرتُ يا جبريل؟ فيقول جبريل: امضه. حتى قدم به مكة وهى إذ ذاك عضاه (سلم وسمر) (۲) وبها أناس يقال لهم العماليق (۳) خارج مكة وما حولها، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة. فقال إبراهيم لجبريل: أهنا أمرتُ أن أضعهما، قال: نعم. فعمد بهما إلى موضع الحِجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أمَّ إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً (۴)، وبعد أن أمّن لهما المقام، استودعهما اللَّه تعالى، وإذ هو يودعهما، تشبثت

۱- ۱ سورة إبراهيم/ ۳۷.

۲- ۲ السلم: شجر من العضاة يدبغ به، ومنه سمى «ذو السلم» السمر: شجر من العضاة، وليس فى العضاة أجودخشباً منه، والعضاة: شجر أم غيلان، وكل شجر يعظم وله شوك، انظر البحار ۱۲: ۱۱۶، الهامش.

۳- ۳ العماليق: قوم من ولد عمليق، ويقال: عملاق بن لاوز بن ارم بن سام بن نوح. البحار ۱۲: ۱۱۶. الهامش.

۴- ۴ البحار ۱۲: ۱۱۵- ۱۱۶، أخبار مكة للأزرقى ۱: ۵۴.

ص: ۱۰۵

به زوجته هـاجر، وهى تبكى وتشـتكى من أن يكون هـذا الوادى عقوبـة لهـا من دون أن تقترف جرمـاً أو ذنبـاً تسـتحق عليه مثل هـذا العذاب فى أرض جرداء، لا ماء فيها ولا طعام .. ثمّ إن كان لها ذنب، فما ذنبصغيرهما إسماعيل أن يعذب ..

فلم يسـتطع إبراهيم حبس دموعه فشاركهـا بكاءهـا، وبادلهـا دموعهـا. حتى تأوه أخيراً لحالهما، ثم أخبرها: بأن هـذا هو أمر اللّه تعالى، ابتلاء به، وليس له إلّاأن يلبى دعوة اللّه، ويـذعن لهـا .. ثم رفع يـديه بالـدعاء و «.... فاجعل أفئـدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون» (۱)

فكانت هذهِ آخر كلمات إبراهيم فى وداعه لزوجته وابنه .. قصة هاجر وإسماعيل.

«إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ ..».

جعلتُ لهم مأوى يأوون إليه، ومقرّاً يقرون فيه، وسكناً يسكنون إليه ..

والمراد بالذرية هاجر وإسماعيل، وبالوادى وادى مكة وهو الأبطح (۲).

«عند بيتك المحرم».

مكان هذا السكن والمأوى أو العريش يتوضح ب عِند التى هى اسم مكان الحضور حقيقة كما تقول جلستُ عند زيد ومجازاً نحو عند زيد علم ... (۳).

ففى الآيـة وردت عند وتعنى المكان أو الموضع الذى يكون مجاوراً للبيت أو ملاصـقاً له بين ركنى البيت (الكعبة) الشاميين من جهته الشـمالية. وكان هذا المكان عريشاً بَنتهُ هاجر إلى جانب البيت الذى كان ربوة فسـكنته مع ابنها إسماعيل. وهذهِ الملاصقة أو المجاورة للكعبة، كانت سبباً لتعرضه إلى كل ما تعرض له البيت من حوادث طبيعية كالسيول والحرائق، وتجاوزات الظالمين، كما أنه كلما أعيد أو جـدّد بناء الكعبة أعيد بناءُ الحجر وجدّد. وبالتاليصار هذا البناء والتجديد سـبباً لأقوال وآراء حول نقصان الكعبة أذرعاً ودخولها فى الحجر أو

۱- ۱ سورة إبراهيم/ ۳۷.

۲- ۲ التبيان للطوسى ۶: ۳۰۰.

۳- ۳ أقرب الموارد ۲: ۸۳۶ «عند».

ص: ۱۰۶

عدم نقصانها. وترتبت على ذلك أراء وفتاوى ذكرها الفقهاء عند تعرضهم إلى أحكام الطواف حول الكعبة وشروطه كما سنرى.

الكعبة فى مسيرتها التأريخية، من عهد إبراهيم عليه السلام وحتى بناء قريش لها، حافظت على مساحتها مع أنها بنيت مرّات فى عهود سابقة لكن بناء قريش لها لتصدعها وطول الزمن، كان سبباً للخلاف عند المؤرخين والعلماء .. فذهب فريق منهم إلى أنها أُنقصت منها أذرعاً (۵- ۷) من الجهة الشمالية وأدخلت فى الحِجر، بينما ذهب فريق من هؤلاء القائلين بالنقص إلى أن الحِجر كلّه من الكعبة، وقال غيرهم: إن الكعبة لم يُنقص منها شيءٌ، وأن مساحتها- اليوم- كما كانت على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ...

وبعد أن نبين ما آل إليه هذا السكن المبارك، وبدء تسميته بالحِجر ..

نستعرض تلك الآراء والأقوال وأدلتها، وما توفرنا عليه من روايات حتى نصل إلى الآراء الفقهية وأدلتها على وجوب إدخال حجر إسماعيل فى الطواف، للأدلة الخاصة، أو للسيرة الثابتة عن الرسولصلى الله عليه و آله و سلم حيث كان يُدخله فى الطواف، أو لأنه جزء من الكعبة وبالتالى يصدق عليه أنه جزء من البيت العتيق «وليطوفوا بالبيت العتيق» (۱)

أو لأن إسماعيل حَجّر على قبر أمّه وكره أن يوطأ ...، لهذا كان الطواف خارج الحجر.

لقد آل هذا المأوى المبارك، بعد أن كان عريشاً، إلى مقبرة بعد وفاة هاجر، ودفنَها إسماعيل فيه، وحجّر على قبرها بحائط أو جدار ليمنع الناس من أن يطأوا قبرها. وكانت هذه هى بداية تسميته بالحِجر، لأن الحِجر لغةً بالكسر ثم السكون هو ما حجّرتَ عليه أى منعته من أن يوصل إليه، وكلّ ما منعت عنه فقد حجّرت عليه .. وكذلك سمى ما تركت قريش فى بنائها من أساس الكعبة على عهد إبراهيم وحجرته ليعلم أنه من الكعبة سمى حِجراً لذلك، وهو الذى يسمى الشاذروان.

۱- ۱ سورة الحج/ ۲۹.

ص: ۱۰۷

وفى الصحاح: الحجر هو ما حواه الحطيم المدار بالكعبة شرّفها اللّه تعالى من جانب الشمال. وقال الأزهرى: هو حطيم مكة، كأنه حجرة ما يلى المثعب من البيت. (۱) إذن، فهذهِ التسمية (الحِجر) ظهرت بعد وفاة هاجر ودفنها. وسمّى أيضاً ب (الحطيم) لأنه حُطِّم من الكعبة وفصل منها، وفيه ميزاب الكعبة، كما أن هناك مَن أطلق كلمة الحطيم الآن على الجدار المطيف بالحِجر، وبذلك قال ابن عباس، وقيل: إن الحطيم ما بين الحَجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحِجر إسماعيل، أى البقعة المحصورة بين الكعبة والحِجر غرباً والمقام وزمزم شرقاً، وهذا ما حكاه الأزرقى عن ابن جريج، وفى كتب الحنفية أن الحطيم المكان الذى فيه الميزاب، وذلك بالاشتقاق، لأن ذلك المكان حطم من الكعبة، وفصل منها، والأكثرون على القول الثانى (۲).

والحِجر ما أطاف به الحطيم- الجدار- وقد ذكر الأزرقى: أن إبراهيم عليه السلام جعل الحِجر إلى جنب البيت عريشاً من أراك يقتحمه العنز وكان زرباً لغنم إسماعيل (۳).

فعن الحلبى: عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: سألته عن الحجر؟ فقال: إنكم تسمّونه الحطيم، وإنما كان لغنم إسماعيل، وإنما دفن أمّه وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه (۴)، ...

ثم تحولّ بعد ذلك إلى مقبرة، فبعد وفاة إسماعيل وهو ابن ثلاثين ومائة سنة دفن فيه مع أمّه (۵)، وقد ذكر المحبُّ الطبرى: أن البلاطة الخضراء التى بالحجر قبر إسماعيل (۶).

كما دفنت فيه عذارى بنات إسماعيل، ودفن فيه جميع الأنبياء الذين جاءُوا حُجّاجاً فقبروا فيه.

۱- ۱ انظر تاج العروس للزبيدى ۳/ ۱۲۴، معجم البلدان ۲/ ۲۲۱ لياقوت الحموى وغيره ...

۲- ۲ مرآة الحرمين ۱: ۳۰۵.

۳- ۳ مرآة الحرمين ۱: ۳۰۵.

۴- ۴ وسائل الشيعة ۱۳: ۳۵۵، ۱۷۹۳۷/ ۱۰.

۵- ۵ وسائل الشيعة ۱۳: ۳۵۵.

۶- ۶ السيرة الحلبية ۱: ۱۵۴.

ص: ۱۰۸

فعن أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام قال: الحجر بيت إسماعيل، وفيه قبر هاجر، وقبر إسماعيل. ولما سأله الحلبى قال: ... وفيه قبور أنبياء (۱).

وعن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: دفن فى الحجر مما يلى الركن الثالث عذارى بنات إسماعيل (۲).

وعن ابن عباس: فى المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما [ويبدو أنه يقصد من الأنبياء] ... قبر إسماعيل فى الحجر، وقبر شعيب مقابل الحجر الأسود.

بينما روى محمد بن سابط عن النبيصلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: كان النبىُّ من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق مكة فتعبّد بها هو ومَن آمن معه حتى يموتوا، فمات فيها نوح وهود وصالح وقبورهم بين زمزم والحِجر (۳).

وصف حجر إسماعيل وعمارته وذرعه وما كتب عليه:

ما وصفه السيد الطباطبائى (۴):

وقبالة الميزاب حائط قوسى يسمى بالحطيم، وهو قوس من البناء طرفاه إلى زاويتى البيت الشمالية والغربية، ويبعدان عنهما مقدار مترين وثلاثة سانتيمترات، ويبلغ ارتفاعه متراً، وسمكه متراً ونصف متر؛ وهو مبطن بالرخام المنقوش، والمسافة بين منتصف هذا القوس من داخله إلى منتصف ضلع الكعبة ثمانية أمتار وأربعة وأربعون سانتيمتراً.

والفضاء الواقع بين الحطيم وحائط البيت هو المسمى بحجر إسماعيل، وقد كان يدخل منه ثلاثة أمتار تقريباً فى الكعبة فى بناء إبراهيم، والباقى كان زريبة لغنم هاجر وولدها، ويقال: إن هاجر وإسماعيل مدفونان فى الحجر.

ومما ذكره الأزرقى فى وصف الحجر وذرعه (۵):

قال أبو الوليد: الحجر مدور وهو ما بين الركن الشامى والركن الغربى،

۱- ۱ وسائل الشيعة ۱۳: ۱۵۴، ۱۷۹۳۷/ ۱۰، البحار ۱۲: ۱۱۳- ۱۱۷.

۲- ۲ وسائل الشيعة ۱۳: ۳۵۴، ۱۷۹۳۱/ ۴.

۳- ۳ أحكام القران ۲: ۱۳۰ للقرطبى.

۴- ۴ تفسير الميزان ۴: ۳۶۰.

۵- ۵ أخبار مكة ۱: ۳۲۰- ۳۲۱.

ص: ۱۰۹

وأرضه مفروشة برخام، وهو مستو بالشاذروان الذى تحت إزار الكعبة، وعرضه من جدر الكعبة من تحت الميزاب إلى جدر الحجر سبعة عشر ذراعاً وثمانى أصابع، وذرع ما بين بابى الحجر عشرون ذراعاً وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً، وذرع من داخله فى السماء ذراع وأربعة عشر اصبعاً، وذرعه مما يلى الباب الذى يلى المقام ذراع وعشر أصابع، وذرع جدر الحجر الغربى فى السماء ذراع وعشرون اصبعاً، وذرع طول جدر الحجر من خارج مما يلى الركن الشامى ذراع وستة عشر اصبعاً، وطوله من وسطه فى السماء ذراعان وثلاث أصابع الرخام من ذلك ذراع وأربع عشرة اصبعاً، وعرض الجدار ذراعان إلّااصبعين، والجدر ملبس رخاماً، وفى أعلاه فى وسط الجدار رخامة خضراء طولها ذراعان إلّا أصبعين وعرضها ذراع وثلاث أصابع قال أبو محمد الخزاعى: وقد حولت هذه الرخامة فجعلت تحت الميزاب مما يلى الكعبة. قال أبو الوليد: وذرع باب الحجر الذى يلى المشرق مما يلى المقام خمسة أذرع وثلاث أصابع، وفى عتبة هذا الباب حجران ارتفاعهما من بطن الحجر أربع أصابع، وذرع باب الحجر الذى يلى المغرب سبعة أذرع وفى عتبة بابه أربعة أحجار وارتفاعها من بطن الحجر أربع أصابع، ومخرج سيل ماء الحجر من وسطه من تحت الحجارة فى ثقب بين حجرين .....

قال أبو الوليد: وذرع تدوير الحجر من خارج أربعون ذراعاً وست أصابع، وذرع ما بين حدات الحجر من الشق الشرقى إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود تسعة وعشرون ذراعاً وأربع عشرة اصبعاً، وذرع ما بين حدات الحجر من شقّ المغرب إلى حدّ الركن اليمانى اثنان وثلاثون ذراعاً، وذرع طوف واحد حول الكعبة مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً وثنتا عشرة اصبعاً. وذرع طواف سبع حول الكعبة ثمانمائة وست وستون ذراعاً وعشرون اصبعاً.

ص: ۱۱۰

أما ما ذكرهصاحب كتاب مرآة الحرمين فی وصف الحِجر وما كتب عليه (۱):

وهو ما حطم من الكعبة وكسر- وهو بناء مستدير على شكل نصف دائرة ارتفاعه ۳۱/ ۱ متر، وعرض جداره من الأعلى ۵۲/ ۱ متر، ومن أسفل ۴۴/ ۱ متر؛ وهذا البناء مغلف بالرخام وأحد طرفيه محاذ للركن الشامی والآخر محاذ للركن الغربی، وسعة الفتحة التی بين طرفه الشرقی وآخر الشاذروان ۳۰/ ۲ متر، وسعة الفتحة الأخرى التی بين طرفه الغربی ونهاية الشاذروان ۲۳/ ۲ متر، والمسافة التی بين طرفی نصف الدائرة ثمانية أمتار، ووراء الحطيم بمسافة اثنی عشر متراً المطاف. والأرض التی بين جدار الكعبة الشمالی وبين الحطيم هی المعروفة بالحجر، ويدخل اليها من الفتحتين السالفتين وهی مفروشة بالرخام والمسافة من منتصف جدار الكعبة الشمالی ووسط تجويف الحطيم من الداخل ۴۴/ ۸ أمتار.

أما عمارته فبعد بناء الحجاج بزمن أجرى عليه تجديدٌ وتحسين ....

لما حج المنصور العباسی سنة ۱۴۰ ه، دعا زياد بن عبيد اللّه الحارثی أمير مكة وقال له: إنی رأيت الحِجر باديةً حجارته فلا أصبحن حتی يستر جداره بالرخام فدعا زياد بالعمال فرخموه ليلا علی ضوء المصابيح، ثم جدّد المهدی رخامه سنة ۱۶۱ ه. ولم يزل به حتی رث فقلع وألبس رخاماً جميلًا فی عهد المتوكل العباسی سنة ۲۴۱ ه. وعمر الحِجر المعتضد العباسی سنة ۲۸۳ ه.

والوزير جمال الدين المعروف بالجواد فی العقد الخامس بعد ۵۰۰ ه. وعمر قبله ايضاً وفی زمن الناصر العباسی سنة ۵۷۶ ه. وعمره المستنصر العباسی والملك المظفرصاحب اليمن، والملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ۷۲۰ ه. والأشرف شعبان سنة ۷۸۱ ه. وذلك بأمر الأميرين بركة وبرقوق مدبری دولته، وعمره

۱- ۱ مرآة الحرمين ۱: ۲۶۶- ۳۰۶- ۳۰۷- ۳۰۸.

ص: ۱۱۱

أيضا الظاهر برقوق سنة ۸۰۱ ه- المكتوب على الحجر من الجهة الغربية تاريخ ۷۸۰- وثبت كثير من رخام الحجر بالجبس فى سنة ۸۲۲ ه. وأصلح قسم كبير من رخام الجدار وأرض الحجر سنة ۸۲۶ ه وذلك بأمر الأمير زين الدين مقبل القديرى، وعمره السلطان چقمق سنة ۸۴۳ ه. وقايتباى سنة ۸۸۰ ه.

والسلطان سليمان سنة ۹۴۰ ه. والسلطان محمد خان سنة ۱۰۷۳ ه.

كما فيه رخامة خضراء تحت الميزاب يقال: إنها موضع قبر إسماعيل عليه السلام والناس يتحرون هذه الرخامة للصلاة عندها، وأكثر المؤرخين على أنه مدفون بالحجر ويؤيد ذلك قول ضِرار بن الخطاب:

لم يحظ بالحجر فيما قد مضى أحد من البرية لا عرب ولا عجم

بعد ابن هاجر إن اللّه فضله إلّا زهير له التفضيل والكرم يعنى زهير بن الحارث بن أسد.

ما كتب على الحجر

ومما رأيته مكتوباً على حائط الحجر من الجهة الغربية تواريخ لمحمد بن قلاوون ولبرقوق ولچقمق ولقايتباى. ومكتوب على الحجر قبالة الميزاب من الأعلى:

نعم المطاف ترابه فى عين أرمد إثمد

ويطوفه بالليل والأ سحار قوم هجد

اللّه بارك فرشه مع من بناه يخلد

زان المطاف بمرمر ملك الأنام محمد ثم تاريخ للسلطان سليمان سنة ۹۴۰ ه. وبعده

لا سيما من نسلهم سلطانناالمستمجد

ص: ۱۱۲

بزلالصارم سيفه للظى الصلال محمد الجلوس فى الحِجر والدعاء والصلاة فيه

اتخذت قريش من الحجر مكاناً يجلس فيه زعماؤها وأشرافها دون غيرهم. كما أنه مكان لاستجابة الدعاء واستحبابه، والصلاة فيه. قال عطاء:

سمعتُ ابن عباس يقول: سمعتُ أبى يقول: كان عبد المطلب أطولَ الناس قامة، وأحسنَ الناس وجهاً، ما رآه قط شىء إلّاأحبه، وكان له مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره ولا يجلس معه عليه أحد، وكان الندى من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وهو غلام يدرج؛ ليجلس على المفرش فجذبوه فبكى، فقال عبد المطلب، وذلك بعد ما حجب بصره: ما لابنى يبكى؟ قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه، فقال عبد المطلب: دعوا ابنى فإنه يحسّ بشرف، أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط.

وقد جعل منه رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم مجلساً له فى المسجد. وروى أن النبيصلى الله عليه و آله و سلم كان إذا حاذى ميزاب الكعبة وهو فى الطواف يقول: «اللهم إنى أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب».

وعن عطاء بن أبى رباح قال: من قام تحت مثعب (ميزاب) الكعبة فدعا استجيب له، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه. ومثله عن ابن جريج عن عطاء.

عن ابن عباس قال:صلوا فى مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار، فقيل له: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، وقيل ما شراب الأبرار قال: ماء زمزم.

... عن أيمن بن نايل، قال: رقدت فى الحجر، فركضنى سعيد بن جبير، وقال: مثلك يرقد فى هذا المكان (۱).

۱- ۱ أخبار مكة ۱: ۳۱۴- ۳۱۷.

ص: ۱۱۳

أما الصلاة فيه فقد ورد عن سعيد بن جبير أن عائشة سألت النبيصلى الله عليه و آله و سلم أن يفتح لها الباب ليلًا [باب الكعبة]، فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح إلى رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، فقال: يا رسول اللّه؛ إنها لم تفتح بليل قط، قال: فلا تفتحها، ثم قال لعائشة: ... فادخلى الحجر فصلى فيه (۱).

فى هذه الروايةصحة الصلاة فى الكعبة والحجر فرضاً أو نفلًا إلى أى جهة فيها، وعليه الجمهور سلفاً وخلفاً. وقال مالك: يصح فيها النفل المطلق دون الفرض والوتر وركعتى الفجر وركعتى الطواف؛ لأن النبيصلى الله عليه و آله و سلم حينما دخلهاصلى ركعتين نافلةً، وقال الظاهرية: لا تصح فيها الصلاة مطلقاً. وعند الشافعية والحنفية استحبابصلاة الطواف فى الحجر.

وما عليه الإمامية رواية وفتوى أن الحِجر يعدُّ أفضل موضع أو مكان فى المسجد الحرام- بعد مقام إبراهيم- تؤدى فيه الصلاة واجبة كانت أو مستحبة (۲).

بناء الحجر وما ورد فيه وما قيل:

لما قررت قريش إعادة بناء الكعبة، وقف ابن وهب بن عمرو بن عائذ- وهو خالُ والد النبىّ، وكان شريفاً ممدوحاً- وقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلّاطيباً، لا يدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس. وقال غيره مثل قوله .. فلما قصرت عندهم الأموال الطيبة والهدايا والنذور، ولأنهم تجنبوا المال الخبيث، تركوا من جانب الحجر بعض البيت، وخلفوا الركنين الشاميين من قواعد إبراهيم عليه السلام ... فأدخلت فى الحِجر أذرعاً من الكعبة المشرّفة، أعادها عبد اللّه بن الزبير حينما كان أميراً للحجاز بعد أن هدم الكعبة وبناها سنة ۶۴ ه (۳)، وكانت أعادته لتلك الأذرع استناداً

۱- ۱ أخبار مكة ۱: ۳۱۵.

۲- ۲ انظر الوسائل ۵: ۲۷۳- ۲۷۶.

۳- ۳ تاريخ الطبرى أحداث سنة ۶۴ ه/ مجلدص ۴۰۶- ۴۰۷.

ص: ۱۱۴

لروايـة نقلهـا عن خـالته أم المؤمنين عائشـة، قـال: أشـهد لسـمعتُ عائشـة تقول: قال رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم: إن قومك استقصـروا فى بنـاء البيت، وعجزت بهم النفقـة، فتركوا فى الحجر منها أذرعاً، ولولا حداثـة قومك بالكفر لهـدمتُ الكعبـة وأعـدتُ ما تركوا منها .. فإن بـدا لقومك هدمها، فهلمى لأريك ما تركوا فى الحجر منها، فأراها قريباً من سـبعة أذرع. وقال ابن الزبير وأنا أجد ما أنفق ولستُ أخاف الناس. فلما هـدم الكعبـة وسوّاها بالأرض، كشف عن أساس إبراهيم فوجـدوه داخلًا فى الحجر نحواً من سـتة أذرع وشبر ... فـدعا ابن الزبير خمسـين رجلًا من وجوه الناس وأشـرافهم، وفى قول العـدول من أهل مكة، وأشـهدهم على ذلك الأساس ... فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا، ثم وضع البناء على ذلك الأساس ...

وجعـل ميزابهـا يسـكب فى الحجر .... فلما طاف بالكعبـة اسـتلم الأركان الأربعـة جميعاً، وقال: إنما كان ترك اسـتلام هـذين الركنين الشامى والغربى؛ لأن البيت لم يكن تاماً. فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير إذا طاف به الطائف استلم الأركان جميعاً.

ولمـا قتـل الحجاج ابن الزبير ودخل مكـة، كتب إلى عبـد الملك بن مروان: أن ابن الزبير زاد فى البيت ما ليس منه .. ويسـتأذنه فى ردِّ البيت على مـا كـان عليه فى الجاهليـة. فكتب إليه عبـد الملك بن مروان ... واهـدم ما كان زاد فيها من الحِجر أو ما زاد فيه من الحِجر فرده إلى بنائه، واكبسها به على ما كانت عليه.

فهـدم الحجاج منها سـتة أذرع وشبراً مما يلى الحجر، وبناها على أساس قريش الـذى كانت استقصـرت عليه، وكبسـها بما هـدم منها .. فكلّ شىء فيها اليوم بناء ابن الزبير إلّاالجدر الذى فى الحجر فإنه بناء الحجاج.

وبعـد أن أتمَّ الحجاج بناء الكعبـة، وفـد الحارث بن عبد اللَّه بن أبى ربيعة المخزومى على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما أظن أبا خبيب- يعنى

ص: ۱۱۵

ابن الزبير- سمع عن عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها فى أمر الكعبة. فقال الحارث: أنا سمعته من عائشة. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: سمعتها تقول: قال لى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم: إن قومك استقصروا فى بناء البيت. ولولا حداثة عهد قومك بالكفر، أعدتُ فيه ما تركوا منه، فإن بدا لقومك أن يبنوه فهلمّى لأريك ما تركوا منه، فأرها قريباً من سبعة أذرع ...

قال عبد الملك: أنت سمعتها تقول هذا، قال: نعم يا أمير المؤمنين أنا سمعت هذا منها، قال فجعل ينكث منكساً بقضيب فى يده ساعة طويلة، ثم قال: وددت واللَّه أنى تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك (۱)، فإذن رواية ابن الزبير ورواية الحارث رواية واحد ومتفقة على الأذرع السبعة تقريباً. والحارث هذا كان والياً على البصرة من قبل ابن الزبير، توفى فى الكوفة (۲) سنة ۷۲ ه.

ولما تولى هارون الرشيد الخلافة سأل مالك بن أنس عن هدمها وردّها إلى بناء ابن الزبير للأحاديث المذكورة فى الباب. فقال مالك: ناشدتُك اللَّهَ يا أمير المؤمنين أن تجعل هذا البيت لعبةً للملوك لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه، فتذهب هيبته منصدور الناس.

إذن: إن هذا التغيير فى بناء الكعبة (بناء قريش، بناء ابن الزبير، بناء الحجاج) كان سبباً لانقسام المؤرخين والفقهاء حول حجر إسماعيل، وأنه دخل فيه شيءٌ من الكعبة ۵- ۷ أذرع على اختلاف الروايات فى ذلك ونأتى الآن إلى ذكر أدلة القائلين بالنقص فى مساحة الكعبة وانضمام قسم منها إلى الحِجر.

۱- رواية عائشة تعدُّ أقوى أدلتهم، وقد اختلفت واضطربت ألفاظها، ففى رواية أن النقص كان ستّ أذرع وشيئاً، وفى رواية أخرى أن النقص كان ستّ أذرع، وفى رواية ثالثة أن النقص كان ستّ أذرع وشبراً، وفى رواية رابعة أنه قريب من سبع أذرع، وفى خامسة سبع أذرع، وهناك رواية بأنه خمس أذرع كما

۱- ۱صحيح مسلم ۹: ۹۳- ۹۴، تفسير القرآن العظيم لابن كثير فى تفسير الآية ۱۲۸ من سورة البقرة.

۲- ۲ مختصر تاريخ دمشق فى ترجمة الحارث بن عبد اللَّه بن أبى ربيعة المخزومى. الكامل لابن الاثير، أحداث سنة ۷۲ ه.

ص: ۱۱۶

أن بعضها مطلق وآخر مقيد، ويمكن علاجه بحمل المطلق على المقيد .. وفى رواية أن ابن الزبير سمع عن الأسود ولم يسمع مباشرة عن عائشة كما هى رواية البخارى (۱).

حدثنا عبيدُ اللَّه بن موسى، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن الأسود قال: قال لى ابن الزبير: كانت عائشة تُسِرُّ إليك كثيراً، فما حدثتك فى الكعبة؟

قلتُ: قالت لى: قال النبيُّصلى الله عليه و آله و سلم: (يا عائشةُ لولا قومُكِ حديثٌ عهدهم- قال ابن الزبير- بكفرٍ، لنقضتُ الكعبة، فجعلتُ لها بابين: باب يدخل الناس وبابٌ يخرجون).

رواية مسلم (۲):

حدّثنا هنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى زَائِدَةَ أَخْبَرَنى ابْنُ أَبِى سُلَيمانَ عَنْ عَطَاء قَالَ لَمَّا احْتَرَقَ الْبَيْتُ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ حِينَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّام فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ تَرَكُه ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّئَهُمْ أَوْ يُحَرِّبَهُمْ عَلَى أَهْلِ الشَّام فَلَمَّاصَدَرَالنَّاسُ قَالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ أَشِيرُوا عَلَىَّ فِى الْكَعْبَةِ أَنْقُضُهَا ثُمَّ أَبْنى بِنَاءَهَا أَوْ أُصلِحُ مَا وَهَى مِنْهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاس فَانِّى قَدْ فُرِقَ لِى رَأْىٌ فِيهَا أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا وَهَى مِنْهَا وتَدَعَ بَيْتاً أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَأَحْجاراً أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَبُعِثَ عَلَيْهَا و النَّبِيُّصلى الله عليه و آله و سلم فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَوْ كَانَ أَحَدُكُمُ احْتَرَقَ بَيْتُهُ مَا رَضِىَ حَتَّى يُجِدَّهُ فَكَيْفَ بَيْتُ رَبِّكُمْ إِنِّى مُسْتَخِيرٌ رَبِّى ثَلَاثاً ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِى فَلَّما مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيُهُ عَلَى أَنْ يَنْقضَهَا فَتَحَامَاهُ النَّاسُ أَنْ يَنْزِلَ بأَوَّلِ النَّاسِ يَصْعَدُ فِيهِ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّيصَعِدَهُ رَجُلٌ فَأَلْقَى مِنْهُ حِجَارَةً فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ أَصابَهُ شَىْءٌ تَتَابَعُوا فَنَقَضُوهُ حَتَّى بَلَغوُا بِهِ الْأَرْضَ فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَعْمدَةً فَسَتَّرَ عَلَيْهَاالسُّتُورَ حَتَّى ارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِنِّى سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّصلى الله عليه و آله و سلم قَالَ

لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ وَلَيْسَ عِنْدِى مِنَ النُفَقَةِ

۱- ۱ البخارى ۲: ۵۷۳- ۵۷۴.

۲- ۲ رواية مسلم ۹: ۸۸- ۹۷، ذكرت عدّة روايات بهذا الخصوص.

ص: ۱۱۷

مَايُقَوِّی عَلَی بِنَائِهِ لَکُنْتُ أَدْخَلْتُ فِیهِ مِنَ الْحِجْرِ خَمْسَ أَذْرُعٍ وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَاً یَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ وَبَابَاً یَخْرُجُونَ مِنْهُ قَالَ فَأَنَا الْیَوْمَ أَجِدُ مَا أُنْفِقُ وَلَسْتُ أَخَافُ النَّاسَ قَالَ فَزَادَ فِیهِ خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ حَتَّی أَبْدَی أُسّاً نَظَرَ النَّاسُ الَیْه فَبَنَی عَلَیْه الْبِنَاءَ وَکَانَ طُولُ الکعبهٔ ثمانی عشرهَ ذراعاً فلمّا زاد فیه استقصَره فزادَ فی طوله عشرَ أذرُع وجعل له بابین أحدُهما یُدخَلُ منه والآخر یُخرجُ منه، فلما قُتل ابنُ الزبیر کتب الحجّاجُ إلی عبد الملک بن مروان یُخبِرهُ بذلک ویُخبِره أنّ ابن الزبیر قد وَضع البناءَ علی أسٍّ نظر إلیه العُدول من أهل مکهٔ، فکتب إلیه عبد الملک إنا لسنا من تلطیخ ابن الزبیر فی شیء، أما ما زاد فی طوله فأقرَه وأما ما زاد فیه من الحِجَر فردّه إلی بنائه وسدّ الباب الذی فتحه. فنقضهُ وأعاده إلی بنائه.

أقوال العلماء فی بناء الحِجر:

لقد رأیتُ بعض العلماء قد عبر عن رأیه فیما أستطیع تسمیته بقصهٔ الحِجر أو مشکلهٔ الحِجر- حتی إن بعضهم قد أعرب عن أسفه للذی فعله الحجاج بن یوسف الثقفی فهذا ابن کثیر یقول (۱):

وقد کانت السنهٔ إقراراً لما فعله عبد اللّه بن الزبیر، لأنه هو الذی ودّه رسولُ اللّهصلی الله علیه و آله و سلم، ولکن خشی أن تنکره قلوب بعض الناس لحداثهٔ عهدهم بالإسلام، وقرب عهدهم من الکفر، ولکن خفیت هذهِ السنهٔ علی عبد الملک بن مروان ولهذا لما تحقّق ذلک عن عائشهٔ أنها روت ذلک عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم، قال:

وددنا أنا ترکناه وما تولی. مستدلًا ابن کثیر بروایهٔ مسلم التی رواها الحارث بن عبد اللّه.

وقد روی مسلم روایتین عن الحارث، فی الأولی أن الحارث وفد علی الملک بن مروان ونقل الروایهٔ عن عائشهٔ، وفی الثانیهٔ أنه رواها حینما التقاه فی

۱- ۱ فی تفسیر الآیهٔ ۱۲۸ من سورهٔ البقرهٔ.

ص: ۱۱۸

الطواف.

ثم قال ابن كثير: فهـذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة؛ لأنه قد روى عنها من طرقصـحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد، والحارث بن عبد اللَّه بن أبى ربيعة، وعبد اللَّه بن الزبير، وعبد اللَّه بن محمد بن أبى بكر، وعروة بن الزبير. فدلّ هذا عليصواب ما فعله ابن الزبير، فلو ترك لكان جيـداً، ولكن بعـد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشـيد أو أبيه المهـدى، أنه سـأل الإمام مالكاً عن هـدم الكعبـة وردّها إلى ما فعله ابن الزبير، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبـة اللَّه ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلّاهدمها، فترك ذلك الرشـيد، نقله عياض والنووى، ولا تزال- واللَّه أعلم- إلى آخر الزمان. انتهى ما قاله ابن كثير.

ص ۱۸۷- ۱۸۸ ج ۱ تفسير ابن كثير.

أما ما قاله الشيخ منصور على ناصفصاحب التاج الجامع للأصول (۱):

... وقـد تمنى النبيصـلى الله عليه و آله و سـلم لو تمكن من هـدمها لبناهـا على قواعـد إبراهيم، وأدخـل فيها الحِجر ...، وفعل ذلك بن الزبير، ولكن بالأسف لم يبقه الحجاج لما وقع بينهما.

وقد استدل أيضاً بروايۀ مسلم: أن النبيَّصلى الله عليه و آله و سلم قال لعائشة: إن بدا لقومك ...

وبما ذكر عن عائشة، قالت سمعت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم يقول: لولا أن قومك ...

ولأدخلت فيها من الحجر.

انتهى ما قاله ونقله الشيخ ناصف.

والذى يراه الشيخ ناصف أن الحجر كلّه من البيت فقال: الجّدر- كالبدر- هو حجر إسماعيل عليه السلام.

وأما قولهصلى الله عليه و آله و سلم خمس أذرع وهذا تقريبى فإنه لم يكن عليه جدار فى زمن

۱- ۱ التاج الجامع للاصول .. كتاب الحج.

ص: ۱۱۹

النبيصلى الله عليه و آله و سلم وأبى بكر، ولكن أحاطه عمر، وهو من البيت لتصريح أحاديث الباب ولحديث الشيخين: الحجر من البيت فلابدّ للطائف من المرور حوله، وعليه جميع المحدثين والفقهاء. كما أنه يعبر عن أسفه لأن الحجاج هدّم ما بناه ابن الزبير الذى أدخل الحجر فى الكعبة.

وأما قوله: إن الجدار بناه عمر فهذا مردود، لعدم وجود دليل على ذلك، ولأنه يتعارض مع ماصرحت به أكثر المصادر إن لم يكن جميعها على أن الجدار بناه إسماعيل بعد دفن أمّه هاجر، وسمّى من ذلك الوقت بالحجر وعليه العمل والسيرة، حيث أدخله رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم بالطواف، ثم هل غاب عنصاحب التاج ما ذكره فى تاجه من رواية عائشة وما جاء فيها حول الحجر؟! اللهم إلّاما قد توهمه مما نقله المهلب عن أبى زيد أن حائط الحجر لم يكن مبنياً فى زمن النبيصلى الله عليه و آله و سلم وأبى بكر حتى كان عمر فبناه ووسعه قطعاً للشك وأن الصلاة قبل ذلك كانت حول البيت، وتعقيباً على هذا قال الزرقانى فى شرحه على الموطإ بعد ذكره لما نقله المهلب، قال: ففيه نظر. وقد أشار المهلب إلى أن عهدته فى ذلك ما فى البخارى لم يكن حول البيت حائط، كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر فبنى حوله حائطاً جدره قصير فبناه ابن الزبير انتهى. وهذا إنما هو فى حائط المسجد لا فى الحجر، فدخل الوهم على قائله من هنا، ولم يزل الحجر موجوداً فى زمن النبيصلى الله عليه و آله و سلم كما يصرح به كثير من الأحاديث الصحيحة (۱).

أما ما قاله الزرقانى من شرحه على الموطإ، فقد نقل عن ابن أبى حاتم عن ابن عمر يظهر فيها أن إبراهيم أدخل الحجر فى البيت وهذا أمر يثير الاستغراب، فالحجر لم يكن على عهدهصلوات اللَّه عليه وإنما أوجده إسماعيل بعده، وكل ما كان كما قلنا عريش لهاجر. فقد قال:

ولابن حاتم عن ابن عمر أن البيت رفع فى الطوفان فكان الأنبياء بعد ذلك

۱- ۱ الزرقانى فى شرحه على الموطإ.

ص: ۱۲۰

يحجونه، ولا يعلمون مكانه حتى بوّأه اللّه لإبراهيم فبناه على أساس آدم ....

وأدخل الحجر فى البيت ثم راح فى شرحه يذكر بناء قريش فيقول ..... ونقصوا من طولها ومن عرضها أذرعاً أدخلوها فى الحجر لضيق النفقة بهم، ...

وأما عن بناء ابن الزبير ... وبناها على قواعد إبراهيم وأعاد طولها على ما هو عليه الآن، وأدخل من الحجر تلك الأذرع .. حتى كتب عبد الملك إلى الحجاج «أما ما زاده فى طولها فأقره وأما ما زاد فى الحجر فرّده إلى بنائه. ثم ندم على إذنه للحجاج فى هدمها ولعن الحجاج. وبقى بناء الحجاج إلى الآن (۱).

وقد ذكر النووى شارحصحيح مسلم (۲) شرحاً وافياً مفيداً بدأه بالروايۀ العاميۀ عن عائشۀ التى تكاد أن تكون الوحيدۀ فى موضوع نقصان الكعبۀ، ودخول شىء من مساحتها يقدره بنحو ۵- ۷ أذرع فى الحِجر .. ورأيت أن أنقل نصّ هذا الشرح أو بعضه الذى يخصّ الموضوع لما فيه من فوائد تأريخيۀ ونكات فقهيۀ ولغويۀ. ولأنه يبين وجهۀ نظر هذا الفريق. قولهصلى الله عليه و آله و سلم (لولا حداثۀ عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبۀ ولجعلتها على أساس إبراهيم فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت ولجعلت لها خلفاً) وفى الروايۀ الأخرى اقتصروا عن قواعد إبراهيم وفى الأخرى فإن قريشاً اقتصرتها وفى الأخرى استقصروا من بنيان البيت وفى الأخرى قصروا فى البناء وفى الأخرى قصرت بهم النفقۀ. قال العلماء هذه الروايات كلها بمعنى واحد ومعنى استقصرت قصرت عن تمام بنائها، واقتصرت على هذا القدر لقصور النفقۀ بهم عن تمامها وفى هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحۀ ومفسدۀ وتعذر الجمع بين فعل المصلحۀ وترك المفسدۀ بدىء بالأهم لأن النبيصلى الله عليه و آله و سلم أخبر أن نقض الكعبۀ وردها إلى ما كانت عليه من قواعد ابراهيم عليه السلام ولكن تعارضه مفسدۀ أعظم منه وهى خوف فتنۀ بعض من أسلم قريباً وذلك لما كانوا يعتقدونه

۱- ۱ الزرقانى فى شرحه على الموطإ ۲: ۲۹۷- ۳۰۱.

۲- ۲صحيح مسلم ۹: ۹۵ ...

ص: ۱۲۱

من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً فتركهاصلى الله عليه و آله و سلم ومنها فكر ولى الأمر فى مصالح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم فى دين أو دنيا إلّاالأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك ومنها تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه مالم يكن فيه ترك أمر شرعى كما سبق. قولهصلى الله عليه و آله و سلم (لولا حدثان قومك) هو بكسر الحاء وإسكان الدال أى قرب عهدهم بالكفر واللَّه أعلم. قوله (فقال عبد اللَّه بن عمر لئن كانت عائشة سمعت هذا) قال القاضى ليس هذا اللفظ من ابن عمر على سبيل التضعيف لروايتها والتشكيك فيصدقها وحفظها فقد كانت من الحفظ والضبط بحيث لا يستراب فى حديثها ولا فيما تنقله ولكن كثيراً ما يقع فى كلام العربصورة التشكيك والتقرير المراد به اليقين كقوله تعالى «وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين» وقوله تعالى «قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت» الآية. قولهصلى الله عليه و آله و سلم (لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية أو قال بكفر لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل اللَّه) فيه دليل لتقديم أهم المصالح عند تعذر جميعها كما سبق إيضاحه فى أول الحديث وفيه دليل لجواز انفاق كنز الكعبة ونذورها الفاضلة عن مصالحها فى سبيل اللَّه لكن جاء فى رواية لأنفقت كنز الكعبة فى بنائها وبناؤها من سبيل اللَّه فلعله المراد بقوله فى الرواية الأولى فى سبيل اللَّه واللَّه أعلم. ومذهبنا أن الفاضل من وقف مسجد أو غيره لا يصرف فى مصالح مسجد آخر ولا غيره بل يحفظ دائماً للمكان الموقوف عليه الذى فضل منه فربما احتاج اليه واللَّه أعلم.

قولهصلى الله عليه و آله و سلم (ولأدخلت فيها من الحجر) وفى رواية وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشاً اقتصرتها حين بنت الكعبة وفى رواية خمس اذرع وفى رواية قريباً من سبع أذرع وفى رواية قالت عائشة سألت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم عن الجدار أمن البيت هو قال نعم وفى رواية لولا أن قومك حديث عهدهم فى الجاهلية

ص: ۱۲۲

فأخاف أن تنكره قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر فى البيت.

ووقع فى روايهٔ ستهٔ أذرع بالهاء وفى روايهٔ خمس وفى روايهٔ قريباً من سبع بحذف الهاء وكلاهماصحيح ففى الذراع لغتان مشهورتان التذكير والتأنيث أفصح.

أما ما قاله عبد الملك بن مروان بعد سماعه قول الحارث فقد ذكر النووى:

قوله (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شىء) يريد بذلك سبه وعيب فعله.

يقال لطخته أى رميته بأمر قبيح. قوله (وفد الحرث بن عبد اللَّه على عبد الملك بن مروان فى خلافته) هكذا هو فى جميع النسخ الحرث بن عبد اللَّه وليس فى شىء منها خلاف ونسخ بلادنا هى روايهٔ عبد الغفار بن الفارسى وادعى القاضى عياض أنه وقع هكذا لجميع الرواهٔ سوى الفارسى فإن فى روايته الحرث بن عبد الأعلى قال وهو خطأ بل الصواب الحرث بن عبد اللَّه وهذا الذى نقله عن روايهٔ الفارسى غير مقبول بل الصواب أنها كروايهٔ غيره الحرث بن عبد اللَّه ولعله وقع للقاضى نسخهٔ عن الفارسى فيها هذه اللفظهٔ مصحفهٔ على الفارسى لا من الفارسى واللَّه أعلم. قوله (ما أظن أبا خبيب) هو بضم الخاء المعجمهٔ وسبق بيانه مرات. (فقال الحرث بن عبد اللَّه بن أبى ربيعهٔ لا- تقل هذا يا أمير المؤمنين فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث) هذا فيه الانتصار للمظلوم ورد الغيبهٔ وتصديق الصادق إذا كذبه إنسان والحرث هذا تابعى وهو الحرث بن عبد اللَّه بن عياش بن أبى ربيعهٔ. قولها (سألت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم عن الجدر) وفى آخر الحديث (لنظرت أن أدخل الجدر فى البيت) هو بفتح الجيم واسكان الدال المهملهٔ وهو الحجر وسبق بيان حكمه. قولهصلى الله عليه و آله و سلم فى حديث سعيد بن منصور (ولولا أن قومك حديث عهدهم فى الجاهليهٔ) هكذا هو فى جميع النسخ فى الجاهليهٔ وهو بمعنى الجاهليهٔ كما فى سائر الروايات واللَّه أعلم.

ص: ۱۲۳

ثم راح النووى يواصل حديثه: قولهصلى الله عليه و آله و سلم (لولا حداثة عهدهم) هو بفتح الحاء أى قربه. قولهصلى الله عليه و آله و سلم (فإن بدا لقومك) هو بغير همزة يقال بدا له فى الأمر بداء بالمد أى حدث له فيه رأى لم يكن وهو ذو بدوات أى يتغير رأيه والبداء محال على اللَّه تعالى بخلاف النسخ. قوله (فهلمى لأريك) هذا جار على إحدى اللغتين فى هلم قال الجوهرى تقول هلم يا رجل بفتح الميم بمعنى تعال قال الخليلى أصله لم من قولهم لم اللَّه شعثه أى جمعه كأنه أراد لم نفسك الينا أقرب أقرب وها للتنبيه وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسماً واحداً يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيقال فى الجماعة هلم هذه لغة أهل الحجاز قال اللَّه تعالى «والقائلين لأخوانهم هلم إلينا» وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين هلما» وللجمع هلموا وللمرأة هلمى وللنساء هلممن والأول أفصح هذا كلام الجوهرى. قولهصلى الله عليه و آله و سلم (حتى إذا كاد أن يدخل) هكذا هو فى النسخ كلها كاد أن يدخل وفيه حجة لجواز دخول أن بعد كاد وقد كثر ذلك وهى لغة فصيحة ولكن الأشهر عدمه قوله (فنكت ساعة بعصاه) أى بحث بطرفها فى الأرض وهذه عادة من تفكر فى أمرمهم. قوله.

وأما ما ذكرهصاحب التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول، الشيخ ناصف (۱) فعن عائشة أيضاً: كنتُ أُحب أن أدخل البيت، وأُصلى فيه، فأخذ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم بيدى فأدخلنى فى الحجر فقال:صلى فى الحجر إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت. فإن قومك اقتصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت. رواه أصحاب السنن وصحّحه الترمذى.

وذكر الشيخ ناصف فى هامش هذا الحديث ما نصه «الحِجر الجزء المتصل بالكعبة من الجهة الشمالية المحيط به جدار قصير وهو من الكعبة، وتركته قريش لقلة النفقة التى أعدوها لبنائها من كسبهم الطيب، فإن أبا وهب المخزومى قال

۱- ۱ التاج الجامع ۲: ۱۷۸.

ص: ۱۲۴

لقريش: لا تدخلوا فيه من كسبكم إلّاطيباً ولا تدخلوا فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس.

وعنها: قالت: سألت رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم عن الجَدْر أمِنَ البيت هو؟ قال: نعم.

قلت فلم لم يدخلوه فى البيت؟ قال: إن قومكِ قصّرت بهم النفقة. قلتُ: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: فعل ذلك قومُكِ ليُدخلوا من شاءُوا ويمنعوا من شاءُوا، ولولا أنّ قومك حديث عهدُهم فى الجاهلية فأخافُ أن تنكر قلوبُهم لنظرتُ أن أُدخل الجَدْرَ فى البيت وأن أُلزِقَ بابَه بالأرض .. وفى رواية: لولا أن قومك حديثو عهدٍ بشركٍ لهدَمتُ الكعبة فألزَقتُها بالأرض، وجعلتُ لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، بابٌ يَدخلون منه وبابٌ يخرجون منه، وزدتُ فيها ستة أذرُع من الحِجر فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة.

رواه الشيخان والترمذى.

أما ما ذكره السيد الطباطبائى فى تفسير الميزان (۱):

ما زالت الكعبة على بناء إبراهيم .... وقبل البعثة بخمس سنين هدم السيل الكعبة فاقتسمت الطوائف العمل لبنائها ... وكانت النفقة قد بهظتهم فقصروا بناءَها على ما هى عليه الآن، وقد بقى بعض ساحته خارج البناء من طرف الحجر حجر إسماعيل لاستصغارهم البناء.

وكان البناء على هذا الحال حتى تسلط عبد اللّه بن الزبير على الحجاز فى عهد يزيد بن معاوية فحاربه الحصين قائد يزيد بمكة، وأصاب الكعبة بالمنجنيق فانهدمت واحترقت كسوتها وبعض أخشابها، ثم انكشف عنها لموت يزيد، فرأى ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويعيد بناءَها فأتى لها بالجص النقى من اليمين، وبناها به، وأدخل الحجر فى البيت، ... وكان فراغه من بنائها ۱۷ رجب سنة ۶۴ هجرية.

۱- ۱ تفسير الميزان ۴: ۳۵۹.

ص: ۱۲۵

ولما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعث الحجاج بن يوسف قائده فحارب ابن الزبير حتى غلبه فقتله، ودخل البيت فأخبر عبد الملك بما أحدثه ابن الزبير فى الكعبة، فأمره بإرجاعها إلى شكلها الأول، فهدم الحجاج من جانبها الشمالى ستة أذرع وشبراً، وبنى ذلك الجدار على أساس قريش، ...

أقول- وبعد ما ذكرت كلّ ما توفرتُ عليه مما قيل عن الحِجر- لابدّ لى من تسجيل بعض الملاحظات حول النقص وبعض مضمون الرواية العامية الرئيسية التى روتها أُمُّ المؤمنين عائشة وتفردت بها عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم دون زوجاته الأخريات ودون أهل بيته وأصحابه. والملاحظات هى:

أن النقص أمر اتفقت عليه أغلب المصادر التأريخية التى تيسرت لى، واتفقت كلمتها- أيضاً- على أنه كان بسبب نفاد النفقة الطيبة لقريش، ولكنها- أى المصادر- اختلفت فى قدر هذا النقص بين ۵- ۷ أذرع. كما أن هذا النقص لم يكن أمراً يعلم به الخاصة من زعماء قريش أو أفراد منها كما يتّضح من كتب التأريخ، بل كان على مسمع ومرءى من جميع المشاركين فى إعادة بناء الكعبة، حيث شارك الجميع ومن كل القبائل العربية فى بناء الكعبة والتشرف به، وهو أمر ثابت لا يمكن الاختلاف فيه، وقد تداولت قريش أمر النقص هذا وتدارسته وتشاورت فيه طويلًا فأقرت أخيراً بعجزها أمام نفاد النفقة، وأجمعت أمرها أخيراً على أن يقصروا عن القواعد ويحجروا ما يقدرون عليه من بناء البيت، وهو ما يسمى بالشاذروان، ويتركوا بقية البيت فى الحِجر وبنوا فى بطن الكعبة أساساً يبنون عليه من شقّ الحجر، وتركوا من ورائه فناء (بناء) البيت فى الحجر وبنوا على ذلك. وهنا، بعضهم قال: إن قريشاً اكتفت بالحائط الذى بناه إسماعيل فيطوف الناس من ورائه. وبعضهم قال: إن قريشاً حجرت على هذهِ الأذرع كما حجرت على بقية ما بقى من القواعد حوالى الكعبة (الشاذروان) لتعلم الناس أن

ص: ۱۲۶

هذا من البيت. وهذا مضـمون ما نقلته السيرة الحلبية والأزرقى فى أخبار مكة (۱) وهو أمر لو كان لما وقع الخلاف لا فى عـدد الأذرع ولا فى كونها من البيت أو لا.

لأن حالها حال الشاذروان الـذى بعـد أن حجرت قريش عليه لم يقع الخلاف فيه وفى كونه من البيت بل اتفقت كلمـة الجميع على أنّه من البيت ولم أجـد مخالفاً فى ذلك .. إذن فالنفقـة الطيبة التى جمعتها قريش نفدت. ولم يكن بإمكان قريش جمع غيرها لكثرة المال الحرام ولأن قريش على لسان زعمائها رفضت أن تـدخل المال الحرام فى بناء الكعبـة، لهذا فضـلت اختصار بناء الكعبة حتى لا تدخل فى بنائها إلّا الحلال من المال فالنقص أمر كان يعلمه إن لم يكن الجميع فلا أقل القسم الأكبر منهم، وقـد بقى أكثرهم على قيد الحياة وآمنوا برسول اللّهصـلى الله عليه و آله و سـلم وأسلموا. أريد من هذا كلّه أن أصل إلى أن ما ورد فى رواية أم المؤمنين من تبرير لعدم تمكن رسول اللّهصـلى الله عليه و آله و سلم من إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم (فأخاف أن تُنكر قلوبهم لنظرتُ أن أدخل الجدر فى البيت ...) أو (لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم ..) ...

فهذا الخوف والخشـية تستدعى الانتباه والوقوف عندها، وإنى أراها طارئةً على الرواية أو قد تكون من زيادة الرواة أو لأشياء أخرى ... لأسباب كثيرة، منها.

۱- كما قلنا: إن النقص أمر يعلمه الجميع، أى الـذين حضـروا إعادة بناء الكعبة. لهذا فإعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم- إن توفرت النفقة الطيبة التى كانت سبباً فى نقصها- هذهِ الإعادة لا تثير غضباً من أحد فضلًا عن الردة.

خاصة وقد وجد الصادق الأمين، والنبى الرسولصلى الله عليه و آله و سلم الذى لا يُريد إلّا الإصلاح، وإعادة الكعبة على وضعها السابق قبل بناء قريش، وهو بهذا لم يأت بشىء جديد غريب عليهم أبداً ... فلا أرى عمله ذاك إلّاأن يكسب رضاهم

۱- ۱ أخبار مكة للازرقى ۱: ۱۶۳. السيرة الحلبية مجلد ۱: ۱۴۴ فى بناء الكعبة.

ص: ۱۲۷

وموافقتهم وترحيبهم به؛ لأنه لم يحقّق أمنيتهصلى الله عليه و آله و سلم فقط بل أمنيتهم التى حالت النفقة دون تحقيقها، وقد حقّقها الرسولصلى الله عليه و آله و سلم.

ثم لو قلنا، ليست الخشية من هؤلاء، بل ممن دخلوا الإسلام حديثاً ولم يبلغ الإيمان فى نفوسهم درجة عالية تمنعهم من التمرد والردّة والعصيان. أقول: إن شوكة الإسلام- بعد فتح مكة بالذات- كانت قوية، وأن الدولة الإسلامية عاشت أعظم مراحلها قدرة وثباتاً. ومهما بلغ عدد هذا الصنف من الناس حتى إذا أضفنا إليه المنافقين الذين لم يتركوا وسيلة إلّاسلكوها للكيد للإسلام والمسلمين ومنذاللحظات الأولى لبزوغ شمس‌الإسلام، فقدبقيتمسيرة الإسلام تسير بثبات وقوة. أقول فمهما بلغ عدد هؤلاء فهم لا يشكلون خطراً كخطر قبائل هوازن وأعوانهم الذين ذاقوا مرارة الهزيمة فى حنين على يد المسلمين.

۲- ثم لو أخذنا بما ذكرهصاحب السيرة الحلبية (۱) (... ويتركوا بقيته فى الحِجر عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه) إذن فهو أمر ظاهر، يراه الجميع، فعلى فرضصحة هذا القول، فلماذا بعد الخشية. أذرع واضحة المعالم أدخلت من البيت فى الحجر، ويريد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم إرجاعها للبيت، فهل فى هذا ضرر أو يشكل خطراً على مستقبل الدعوة الإسلامية؟

۳- ثم هل ننسى حكمة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وقدرته فى إقناع قومه- على فرض وجود المعارضة- قبل تهديم الكعبة أو بعضها كما فعل غيره زمن بناء قريش لها؟ وهل حكمته- معاذ اللَّه- بأقل من حكمة الوليد بن المغيرة أو أبى لهب أو غيرهما من زعماء قريش ..؟ كيف يكون هذا. وقد شهد بحكمته الجميع، وبها حقنت دماؤهم فى قصة الحجر الأسود .. وفيصلح الحديبية وغيرها الكثير ...

وكل ما كانوا يخشونه هو نزول العذاب بهم إذا ما قاموا بتهديم أحجار الكعبة.

فإذا رأوا أن رسول السماء هو الذى يهدمها ويعيد بناءها بيده المباركة من جديد

۱- ۱ السيرة الحلبية ۱: ۱۴۴- بناء الكعبة.

ص: ۱۲۸

فهذا مدعاة للاطمئنان وعدم الخوف.

۴- ثم أليس هو الذی أطاح بآلهتهم ولم يخشَ شيئاً، وهو الذی دخل المسجد الحرام وهدم أصنامهم، ولم يترک حتيصور الملائکة والأنبياء وإبراهيم الخليل وهو يستقسم بالأزلام- وکانت محطّ تقديسهم- بعد أن أرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بها- علی مرءی ومسمع من قريش- وبماء من زمزم وبثوب ووضعها وطمسها فی الماء، وهو يقول: قاتلهم اللَّهُ جعلوه يستقسم بالأزلام، ما لإبراهيم والأزلام (۱)؟ إلی غير ذلک مما فعله فی مقدساتهم ومعبوداتهم ولم يخش أحداً. وکانت تلک الأوثان يعبدونها من دون اللَّه ويدافعون عنها وعن بقائها بالأموال والأنفس وبکلّ ما أوتوا من قوة وسلطان، والقرآن يشهد بدفاعهم من أجل معبوداتهم وآلهتهم التی يزعمون:

«ويقولون أئنا لتارکوا آلهتنا لشاعر مجنون ...» (۲). «اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشیء عجاب» (۳)

. ولم يذکر لنا التأريخ بأنهم عبدوا الکعبة. نعم احترموها قدسوها، تشرفوا بخدمتها، بقيت رمزاً لهم، ينتفعون منها .. لکنها علی کل حال لم تصل إلی درجة العبادة أبداً، فلماذا الخشية إذن؟.

إنی أقف مما ورد فی الروايه هذهِ من التبرير موقف المتسائِل المستغرب!

هذا وأن هذهِ الخشية المدعاة وأمنيتهصلی الله عليه و آله و سلم تلک فی إعادة البناء. واهتمامه بهذا النقص إلی درجة أخذه بيد عائشة ليدلها علی موضع النقص مما يدل علی اعتنائه به واهتمامه فلماذا لم يرد کلُّ ذلک علی لسان واحد من أهل بيته وزوجاته الأخريات أو الصحابة الذين لم يفارق بعضهم رسول اللَّهصلی الله عليه و آله و سلم إلّافی أوقاته الخاصة؟

وقد يرد علی هذا أن أمّ المؤمنين عائشة کثيراً ما تفردت بنقل رويات عن

۱- ۱ الميزان فی تفسير القرآن ۴: ۳۶۲- ۳۶۳.

۲- ۲ سورة الصافات ۳۶.

۳- ۳ سورةص: ۵.

ص: ۱۲۹

رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وهذهِ واحدة من تلك!.

والغريب الـذى لا يخلو هو أيضاً من التساؤل، أن هـذا الأمر ظل مسـكوتاً عنه طيلـة أكثر من ۶۰ سـنة حتى وصل الأمر إلى عبد اللَّه بن الزبير فكشف النقاب عن روايـة خالته!!

كيف بقى الأمر مسـكوتاً عنه طيلـة هـذه السـنين الطوال؟ اللهم إلّاإذا قلنا بأن المسـلمين لم يكن له اهتمام بـذلك ولم يشـكل عنـدهم مشكلة شرعية بعد طوافهم وراء الحجر، أو لعدم ابتلائهم بإعادة بناء الكعبة وإلّا لاعادوا هذه الأذرع لمكانها ... تبقى هنا ملاحظة أخيرة أيضاً هى محل للتساؤل والاسـتغراب وهى: لقـد تركت قريش جزءاً قليلًا من قواعد إبراهيم فوضـعت عليه جداراً أو حجرتها وهو الذى يسـمى بالشـاذروان وقـالت ليعلم أن هـذا من البيت .. فلماذا تركت تحجير ۵- ۷ أذرع تركتهـا فى الحجر دون أن تشـير إليهـا أنها من البيت؟

صحيـح أنى رأيت فى السـيرة الحلبيـة أنهـا حجرتهـا .. ولكن لو كـان الأمر كـذلك لمـا وقع الخلاـف فى هـذه الأذرع ولما كان أمراً وموضعاً للأخذ والرد. اللهم إلّاأن نقول: إنها اكتفت بتحجير إسماعيل وإن كان أكثر من ۵ أو ۷ أذرع.

وروايـة مرسـلة تسـند لابن عباس (۱)فقـد أخرج سـفيان بن عيينـة والطبرانى والحاكم وصـححه، والبيهقى فى سـننة عن ابن عباس قال: الحِجر من البيت؛ لأن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم طاف بالبيت وصلى أى ساعة شاء من ليل أو نهار.

أنه قـال: الحجر من البيت. واحتمـال أن يكون قصـده من المسـجد الحرام فظلمـة البيت تطلق على المسـجد بكامله. وإذا ورد الاحتمال بطل الاستدلال بها ...

والـدليل الآـخر الـذى عنـدهم أن الرسولصـلى الله عليه و آله و سـلم لم يقبـل الركنين الشـامين لأنهمـا ليسـا من الـبيت وأيضـاً وقع فيه الخلاف. وقد أورد هشام بن عروة بن الزبير وهو أحد رواة روايـة عائشة فى أن أباه كان إذا طافَ بالبيت يستلمُ الأركان كلّها،

۱- ۱ الميزان ۱۷: ۳۷۹.

ص: ۱۳۰

كان لا يـدعُ اليمانی إلّاأن يُغلب عليه (۱). وأخرجه سـعيد بن منصور عن الـدراوردی عن هشام، قال: كان إذا بدأ اسـتلم الأركان كلها وإذا ختم ...

وكـذا أخاه عبـد اللَّه كما علقه البخاری ورواه ابن أبی شـيبة عن عباد بن عبـد اللَّه بن الزبير أنه رأی أباه يسـتلم الأركان كلّها وقال: إنه ليس منه شیء مهجوراً.

وقال الإمام القاضی بن رشد القرطبی الأندلسی فی بداية المجتهد ونهاية المقتصد:

واختلفوا هل تسـتلم الأركان كلها أم لا؟ فذهب الجمهور إلی أنه إنما يسـتلم الركنان فقط لحديث عمر «أن رسول اللَّهصـلی الله عليه و آله و سـلم لم يكن يسـلتم إلّاالركنين فقط» واحتج من رأی استلام جميعها بما روی عن جابر، قال: كنا نری إذا طفنا أن نستلم الأركان كلّهـا. وكان بعض السـلف لا يحب أن يسـتلم الركنين إلّافی الوتر من الأشواط، انتهی ما ذكره الأندلسـی (۲). ومرّ قـول ابن عمر، إنما تركصـلی الله عليه و آله و سـلم اسـتلام الركنين الشاميين؛ لأن البيت لم يتمم علی قواعد إبراهيم. ولهذا قال أبو عبد اللَّه الأبی: هذا من فقه عبـد اللَّه بن عمر من تعليل العـدم بالعدم، علل عدم الاسـتلام بعدم أنهما من البيت. ولهذا حمل ابن القصار وتبعه ابن التين اسـتلام ابن الزبير لهمـا، لأـنه لما عمر الكعبـة أتمه علی قواعـد إبراهيم، ويؤيـده ما ذكره الأزرقی أن ابن الزبير لما فرغ من بنائه وأدخل فيه من الحجر مـا أخرج منه وردّ الركنين علی قواعـد إبراهيم خرج إلی التنعيم واعتمر وطـاف بالبيت واسـتلم الأركان الأربعـة، فلم يزل البيت علی بنـائه إذا طـاف بـالبيت الطائف اسـتلم الأركان جميعها حتی قتل ابن الزبير. وعنـده عن ابن إسـحاق بلغنی أن آدم لما حـجّ اسـتلم الأركان كلّها وإنّ إبراهيم وإسـماعيل لما فرغا من بناء البيت طافا به سبعاً يستلمان الأركان كلّها والجمهور علی ما دل عليه حديث ابن عمر أنه لا يسـتلم إلّاالأسود واليمانی، وروی استلام الكل عن جابر وأنس والحسن والحسين ومعاوية من الصحابة، وسويد بن غفلة من التابعين، وروی أحمد والترمذی والحاكم عن أبی الطفيل

۱- ۱ شرح الزرقانی علی الموطأ ۲: ۳۰۵.

۲- ۲ بداية المجتهد .... ۱: ۲۴۹.

ص: ۱۳۱

قال: كنت مع ابن عباس ومعاوية، فكان معاوية لا يمر بركن إلّااستلمه، فقال ابن عباس: إن رسولصلى الله عليه و آله و سلم لم يستلم إلّاالحجر الأسود واليمانى. فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجوراً.

زاد أحمد من طريق مجاهد. فقال ابن عباس: لقد كان لكم فى رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم أسوة حسنة. فقال معاوية:صدقت.

وقد أجاب الإمام الشافعى: بأنا لم ندع استلامهما هجراً للبيت، وكيف يهجره وهو يطوف به؟! ولكنا نتبع السنة فعلًا أو تركاً، ولو كان ترك استلامهما هجراً، لكان ترك استلام ما بين الأركان هجراً لها، ولا قائل به، ويؤخذ منه حفظ المراتب، وإعطاء كل ذى حقّ حقه، وتنزيل كل أحد منزلته. انتهى ما ذكره الزرقانى (۱).

يظهر من هذا الاختلاف الواقع فى استلام الركنين الشاميين، وأمر عدم استلامهما إذن لا يصلح دليلًا لوجود المعارض كما رأيت عند العامة أنفسهم.

كما ظهر من ذلك كلّه أن المذاهب الإسلامية الأربعة تذهب إلى أن الحجر كلّه أو أكثره أو نصفه من البيت (الكعبة)، ولهذا فيجب إدخالُه فى الطواف حتى يتحقق كون الطواف حول البيت، وبالتالى يكون مصداقاً للآية «وليطوفوا بالبيت العتيق» هذا أولًا، ولسيرة رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وقد أدخل الحجر بكامله فى طوافه، ولقوله خذوا عنى مناسككم.

إذن فأدلتهم على أن الحجر من البيت فهى الرواية التى أستطيع وصفها بأنها الوحيدة فى هذا الباب، وهى تروى عن أم المؤمنين عائشة بألفاظ مضطربة ولم أعثر على مَن ناقش متنها أو سندها، وعندهمصحتها من المسلمات هذا أولًا، ولرواية مرسلة عن ابن عباس ثانياً، وثالثاً لعدم استلام الركنين الشاميين وقد سببت هذهِ الرواية عن عائشة- التى اضطربت فى القدر الذى أخرجته قريش

۱- ۱ شرح الزرقانى ۲: ۳۰۵ الحديث ۸۳۴.

ص: ۱۳۲

من الكعبة وضمته فى الحجر- اختلاف الفقهاء، فالذين تمسكوا بها قالوا بالنقص واختلفوا فى قدره، فى قبال الآخرين الذين رفضوا هذه الرواية وبالتالى بنوا على عدم نقص مساحة الكعبة، وكذلك كانت هذهِ الرواية سبباً لاختلاف الفريق الأول وانقسامه إلى فريقين، فريق يقول بصحة الطواف بعد السبعة أذرع من البيت الموجودة فى الحجر، وفريق قال لا يصح الطواف إلّامن وراء جدار الحجر وهو ما فعله رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، وذهب الكثير منهم إلى القول الثانى، بينما قال بالأول القليل منهم، كما نرى عند تعرّضنا لآراء الفقهاء.

آراء فقهاء المذاهب فى إدخال الحِجر فى الطواف وحكم الإخلال فى ذلك

إن إدخال الحِجر فى الطواف بمعنى أن يطوف الحاج حول الحِجر من دون أن يدخل فيه هذا أمر متسالم عليه عند المسلمين والنصوص والأدلة فيه مستفيضة، ولهذا فإننا نستعرض آراء المذاهب:

۱- المذهب الشافعى: قالوا: للطواف بذاته ثمانية شروط ... الرابع منها جعل البيت عن يساره وقت الطواف مارّاً تلقاء وجهه؛ ولابدّ أن يكون الطائف خارجاً بكل بدنه عن جدار البيت وشاذروانه، وعن الحجر- بكسر الحاء- فلو مشى على الشاذروان أو مسّ الجدار فى مروره، أو دخل فى إحدى فتحتى الحجر- بالكسر- وخرج من الأخرى لم يصح طوافه الذى حصل فيه ..

وأما الزحيلى فى كتابه الفقه الإسلامى وأدلته فقد قال:

وواجبات الطواف عند الشافعية بما يشمل الشروط والأركان ثمان هى ما يأتى: ...

۴- أن يجعل الطائف البيت عن يساره، مارّاً تلقاء وجهه إلى جهة الباب، اتباعاً للسنة كما رواه مسلم، مع خبر: «خذوا عنى مناسككم». فإن خالف ذلك لم

ص: ۱۳۳

يصح طوافه لمعارضته الشرع، ولو طاف مستلقياً على ظهره، أو على وجهه، مع مراعاة كون البيت عن يساره،صح.

وراح الزحيلى فى نفس الصفحة يقول:

ويشترط أن يكون الطواف خارج البيت وحِجر إسماعيل والشاذروان، فلو مشى على الشاذروان أو مسّ الجدار الكائن فى موازاته، أو أدخل جزءاً منه فى هواء الشاذروان أو دخل من إحدى فتحتى الحِجر [وهو ما بين الركنين الشاميين من جهة الشمال، المحوط بجدار قصير بينه وبين كل من الركنين فتحة، والآن أغلقت الفتحة الغربية، وهو قدر ستة أذرع] وخرج من الفتحة الأخرى، أو خلف منه قدر الذى من البيت وهو ستة أذرع، واقتحم الجدار، وخرج من الجانب الآخر، لم يصح طوافه، أما كون الطواف فى غير الحجر، فلقوله تعالى:

«وليطوفوا بالبيت العتيق» وإنما يكون طائفاً به إذا كان خارجاً عنه، وإلّا فهو طائف فيه.

وأما الحِجر: فلأنهصلى الله عليه و آله و سلم إنما طاف خارجه، وقال: «خذوا عنى مناسككم» ولخبر مسلم عن عائشة: «سألت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم عن الحِجر، أمن البيت هو؟

قال: نعم، قلت: فما بالهم لم يدخلوه فى البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة ...» وظاهر الخبر أن الحِجر جميعه من البيت.

لكن الصحيح أنه ليس كذلك، بل الذى هو من البيت قدر ستة أذرع تتصل بالبيت، ومع ذلك يجب الطواف خارجه؛ لأن الحجّ باب اتباع.

۲- المذهب المالكى: قالوا: يشترط لصحة الطواف شروط: ... الخامس:

أن يكون بجميع بدنه خارجاً عن الحِجر بتمامه ...

۳- المذهب الحنبلى: قالوا: يشترط لصحة الطواف شروط: ... ومنها جعل البيت عن يساره ولابدّ أن يكون خارجاً عن جميع الحِجر ... وألا يدخل فى شىء

ص: ۱۳۴

من البيت كالحِجر والشاذروان.

۴- المذهب الحنفى: قالوا فى واجبات الطواف: .. ومنها أن يطوف وراء الحطيم- الحِجر- لأن بعضه من البيت أو لأن الحطيم من البيت على لسان رسول اللّه.

وقالت الشافعية فى سنن الطواف ... الثامنة: أن يصلى بعده ركعتين ..

والأفضلصلاتهما خلف المقام، ثم بالحِجر ...

وقالت الحنفية .. ومنها أن يصلى ركعتين، ويستحب أداؤهما خلف المقام، ثم فى الكعبة، ثم فى الحجر تحت الميزاب (۱).

أما القاضى الأندلسى فى بداية المجتهد .. فقال:

وأما شروطه فإن منها حدّ موضعه، وجمهور العلماء على أن الحِجر من البيت، وأن من طاف البيت لزمه إدخال الحِجر فيه، وأنه شرط فيصحة طواف الإفاضة. وقال أبو حنيفة وأصحابه: هو سنة. وحجة الجمهور ما رواه مالك عن عائشة: أن رسولصلى الله عليه و آله و سلم قال: لولا حِدثانُ قومك بالكفر لهدمتُ الكعبة ولصيّرتُها على قوعد إبراهيم، فإنهم تركوا منها سبعة أذرع فى الحجر، ضاقت بهم النفقة والخشب، وهو قول ابن عباس. وكان يحتجّ بقوله تعالى: «وليطوفوا بالبيت العتيق». ثم يقول طاف رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم من رواء الحِجر، وحجة أبى حنيفة ظاهر الآية (۲).

وقال العلّامة السيد البكرى الدمياطيصاحب كتاب إعانة الطالبين: ...

وقوله (وحجره) بكسر الحاء ما بين الركنين الشاميين عليه جدار قصير، بينه وبين كلّ من الركنين فتحة ويسمى أيضاً حطيماً، لكن الأشهر أنه ما بين الحجر الأسود، ومقام إبراهيم. وقوله (للاتباع) دليل لوجوب جعل البيت عن يساره، ولوجوب خروجه بكل بدنه عنه. والاتباع فى الأول خبر جابر المار ....

۱- ۱ يراجع فى هذا كله/ الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى ۲: ۶۵۳- ۶۵۷. الفقه الإسلامى وأدلته للزحيلى ۳: ۱۴۵.

۲- ۲ بداية المجتهد ۱: ۲۵۰.

ص: ۱۳۵

ومع قولهصلى الله عليه و آله و سلم: خذوا عنى مناسككم. وفى الثانيصلى الله عليه و آله و سلم طاف خارجه مع قوله خذوا ... ويدل عليه أيضاً قولُه تعالى: «وليطوفوا بالبيت العتيق» وإنما يكون طائفاً به إذا كان خارجاً عنه، وإلّا فهو طائف فيه. فإن خالف شيئاً من ذلك- راجع لجميع ما قبله، فاسم الإشارة يعود على المذكور ...- ولم يخرج بكلّ بدنه عن الشاذروان والحجر لم يصح طوافه (۱)- ولو لم يجعل طوافه من وراء الحطيم، بل طاف فى وسطه فى الطواف الواجب، فإن كان بمكة أعاد الطواف جميعه ليأتى به على ترتيبه، فإن لم يفعل وأعاده على الحطيم أجزأه عندنا كذا فى السراج الوهاج (۲).

وحدثنى عن مالك أنه سمع ابن شهاب يقول: سمعت بعض علمائنا يقول: ما حُجّر الحِجُر فطاف الناسُ من ورائه إلّاإرادة أن يستوعب الناسُ بالبيت كلّه (۳).

أما ما قاله شارح الموطإ:

نعم فى الحكم بفساد طواف مَن طاف داخل الحجر وخلى بينه وبين البيت سبعة أذرع نظر، وقد قال بصحته جماعة من الشافعية كإمام الحرمين، ومن المالكية كأبى الحسن اللخمى. وذكر الأزرقى أن عرض ما بين الميزاب ومنتهى الحجر سبعة عشر ذراعاً وثلث ذراع منها عرض جدار الحجر ذراعان وثلث وفى بطن الحجر خمسة عشر ذراعاً فعلى هذا فنصف الحجر ليس من البيت فلا يفسد طواف من طاف دونه (۴).

أما ما قاله النووى (۵):

قال أصحابنا ست أذرع من الحجر مما يلى البيت محسوبة من البيت بلا خلاف وفى الزائد خلاف فإن طاف فى الحجر وبينه وبين البيت أكثر من ستة أذرع ففيه وجهان لأصحابنا أحدهما يجوز لظواهر هذه الأحاديث وهذا هو

۱- ۱ إعانة الطالبين ۲: ۲۷۹ للسيد الكبرى الدمياطى.

۲- ۲ الفتاوى الهندية فى مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ۱: ۲۳۲.

۳- ۳ الموطأ ۱: ۲۴۶.

۴- ۴ شرح الموطإ ۲: ۳۰۱- ۳۰۲ للزرقانى.

۵- ۵ هامشصحيح مسلم للنووى ۹:

ص: ۱۳۶

الـذى رجحه جماعـات من أصـحابنا الخراسـانيين والثانى لا يصـح طوافه فى شـىء من الحجر ولا على جـداره ولا يصـح حتى يطوف خارجاً من جميع الحجر وهذا هو الصـحيح وهو الذى نصّ عليه الشافعى وقطع به جماهير أصحابنا العراقيين ورجحه جمهور الأصحاب وبه قال جميع علماء المسلمين سوى أبى حنيفة فإنه قال إن طاف فى الحجر وبقى فى مكة أعاده وإن رجع من مكة بلا إعادة أراق دماً وأجزأه طوافه واحتـج الجمهور بأن النبيصـلى الله عليه و آله و سـلم طاف من وراء الحجر وقال لتأخذوا مناسـككم ثم أطبق المسـلمون عليه من زمنهصـلى الله عليه و آله و سـلم إلى الآن وسواء كان كله من البيت أم بعضه فالطواف يكون من ورائه كما فعل النبيصـلى الله عليه و آله و سلم واللَّه أعلم.

وما قالهصاحب التاج الجامع:

فلابد للطائف من المرور حوله وعليه جميع المحدثين والفقهاء رضى اللَّه عنهم (۱).

الإمامية:

أما الرأى الثانى وهو أن الحِجر ليس من البيت يمثل واحـداً من موقفين عنـد الإمامية. فبعد اتفاق فقهاؤها على أن الحِجر هو بيت هاجر وإسـماعيل، وأنه كان ملاصـقاً للبيت من جهته الشـمالية، كما أنهصار مقبرة بعد وفاة هاجر ودفنها فيه ثم دفن إسـماعيل وغيره، ويجب إدخاله بالكامل فى الطواف سواء قلنا بأنه من البيت موضوعاً أو قلنا بأنه من البيت حكماً.

ومن أخلّ بـذلك فعليه أن يعيـد الشوط أو الطواف على خلاف بينهم، وعلى هـذا رواياتهم وآراؤهم التى سنستعرضـها، فبعـد اتفاقهم على ذلك كلّه، ظهر لهم موقفان:

الأول: أن الحِجر كله أو بعضه من البيت.

۱- ۱ التاج الجامع للأصول ۲: ۱۷۹.

ص: ۱۳۷

الثانى: أن الحِجر ليس من البيت.

ذهب كلّ منصاحب الـدروس، والعلامـة فى التـذكرة، وفى المنتهى إلى أن جميع الحِجر من البيت: فقـد قالصاحب الجواهر عند ذكره لوجوب دخول الحجر فى الطواف: (ولا فرق فى الحكم المزبور بين القول بخروجه من البيت ودخوله فيه الـذى قد تشـعر به النصوص المزبورة، بل فى الدروس المشهور كونه منه، بل فى التذكرة والمنتهى أن جميعه منه.

وربما استظهروا ذلك من الأخبار التالية.

.. قلتُ لأبى عبد اللَّه عليه السلام: رجل طاف بالبيت فاختصر شوطاً واحداً فى الحِجر، كيف يصنع؟ قال: يعيد الطواف الواحد.

ورواه الشيخ يعيد ذلك الشوط.

وما رواه الصدوق عن عبد اللَّه بن مسـكان عن الحلبى أيضاً فى الصحيح عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال: قلت له: رجل طاف بالبيت فاختصر شوطاً واحداً فى الحج، كيف يصنع؟ قال: يعيد الطواف الواحد.

محمـد بـن يعقـوب، عـن على إبراهيـم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن حفص بن البخـترى، عن أبى عبـد اللَّه عليه السـلام فى الرجل يطوف بالبيت (فيختصر فى الحجر)، قال: يقضى ما اختصر من طوافه.

وعنه، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن معاويـة بن عمّـار، عن أبىعبـداللَّه عليه السـلام قـال: من اختصـر فى الحجر (فى الطـواف) فليعد طوافه من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود.

بل فى الـدروس المشـهور كونه منه، بل فى التذكرة والمنتهى أن جميعه منه (۱)، وأما قولصاحب الدروس (۲)فهو: إدخال الحِجر فى طوافه ... سواء قلنا بأنه من البيت كما هو المشهور، أو لا كما فى روايـة زرارة (۳) عن الصادق عليه السلام

۱- ۱ الجواهر ۱۹: ۲۹۳.

۲- ۲ من لا يحضره الفقيه. باب ابتداء الكعبة وفضلها ح ۲۳۰۸ ۲: ۲۴۳.

۳- ۳ من لا يحضره الفقيه، باب ابتداء الكعبة وفضلها ح ۲۳۰۸، ۲: ۲۴۳.

ص: ۱۳۸

وقطع به الصدوق (المقنع ضمن الجوامع الفقهيةص ۲۱) ...

وفى اللمعة قال: ... وإدخال الحجر فى الطواف للتأسى، والأمر به، لا لكونه من البيت، بل قد روى أنه ليس منه، أو أن بعضه منه ... (۱).

وفى المنتهى: ... لنا أن الحِجر من البيت ...

وأما ما ذكره العلامة فى التذكرة. فقد قال عنهصاحب الحدائق (۲):

ويمكن أن يكون مستند المشهور ما نقل عن العلامة فى التذكرة: .. فإن للبيت أربعة أركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقاً بالأرض وله بابان شرقى وغربى فهدمه السيل قبل مبعث رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم بعشر سنين وأعادت قريش عمارته على الهيئة التى هو عليها اليوم وقصرت الأموال الطيبة والهدايا والنذور عن عمارته فتركوا من جانب الحجر بعض البيت روت عائشة أن النبيصلى الله عليه و آله و سلم قال: ستة أذرع من الحجر من البيت فتركوا بعض البيت من جانب الحِجر خارجاً؛ لأن النفقة كانت تضيق عن العمارة وخلفوا الركنين الشامين عن قواعد إبراهيم وضيقوا عرض الجدران من الركن الأسود إلى الشامى الذى يليه فبقى من الأساس شبه الدكان مرتفعاً وهو الذى يسمى الشاذروان. انتهى.

فقالصاحب الحدائق بعد نقله لقول العلّامة:

وما ذكره قدس سره فى قصة بناء الكعبة على هذهِ الكيفية لم يرد فيه شىء من الأخبار الواصلة إلينا فى الأصول الأربعة وغيرها.

أما تكملة قول العلّامة كما ورد فى التذكرة لم ينقلهصاحب الحدائق.

وهو كالاتى: .... وروى أن النبيصلى الله عليه و آله و سلم قال لعايشة: «لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت وبنيته على قواعد إبراهيم عليه السلام فألصقته بالأرض وجعلت له بابين شرقياً وغربياً» ثم هدمه ابن الزبير أيام ولايته وبناه على قواعد إبراهيم عليه السلام كما تمناه رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم ثم لما استولى الحجاج هدمه وأعاده على

۱- ۱ اللمعة ۲: ۲۴۹.

۲- ۲ الحدائق الناضرة ۱۶: ۱۰۶ للشيخ يوسف البحرانى رضى الله عنه.

ص: ۱۳۹

الصورة التى عليه اليوم وهو بناء قريش (۱).

ثم أخذصاحب الحدائق يذكر ما روى فى كيفية بناء قريش للكعبة فيقول:

وقد رويت فى كيفية بناء قريش لها روايات عديدة، إلّاأنها خالية من ذلك [أى مما رواه العلّامة]، ومنها ما رواه فى الكافى: عن على بن إبراهيم، وغيره بأسانيد مختلفة قالوا:

إنما هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها فانصدعت، ... فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة ويبنوها ويزيدوا فى عرضها (عرصتها) .... فلما أرادوا أن يزيدوا فى عرضه (عرصته) وحركوا القواعد التى وضعها إبراهيم عليه السلام أصابتهم زلزلة شديدة فكفّوا عنه، وكان بنيان إبراهيم (الطول ثلاثون ذراعاً، والعرض اثنان وعشرون ذراعاً، والسمك تسعة أذرع) ...

فهذهِ الرواية وباقى روايات بناء الكعبة ساكتة عن بيان ما حدث فى بناء قريش لها وهل قريش أنقصتها أذرعاً أو لا؟ لم توضح الروايات عند الإجابة ذلك، وإنما تذكر فقط فى روايات البناء أن قياسها فى زمن إبراهيم كذا لا غير. ثم تنتقل الروايات لتبين بناء عبد اللّه بن الزبير وأنه رفعها ثمانية عشر ذراعاً، فهدمها الحجاج وبناها سبعة وعشرين ذراعاً أى زادا فى ارتفاعها هذا ما تشير إليه الروايات فى بناء الكعبة فقط، ولكن رواية على بن إبراهيم التى يكتفى بنقلهاصاحب الحدائق وعند نقله رواية كيفية بناء الكعبة ودون أن يقول عنها شيئاً، ودون أن يشير إلى ما يترتب عليها، هذهِ الرواية بعد أن ينقلهاصاحب الجواهر وبعد أن ينقل ما قالهصاحب التذكرة: بل الثابت فى نصوصنا المشتملة على قصة هدم قريش الكعبة خلافه، نعم ربما كان فى مرفوع على بن إبراهيم وغيره «أنه كان بنيان إبراهيم الطول ....» تأييد لكون نحو ستة أذرع منه من البيت (۲).

أما ما ورد فى موسوعة العتبات المقدسة (۳).

۱- ۱ تذكرة الفقهاء للعلامة جمال الدين الحلى ۱: ۳۶۱ النسخة الهجرية.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۲۱۵ ابواب الطواف الرواية ۱۴۵۱۰، جواهر الكلام ۱۹: ۲۹۴ كتاب الحج.

۳- ۳ موسوعة العتبات المقدسة ۲: ۲۳۹- ۲۴۰ تاريخ مكة.

ص: ۱۴۰

وحينما تسنى للنبيصلى الله عليه و آله و سلم أن يفتح مكة فى سنة ۸ للهجرة، ترك بناء الكعبة على ما كان عليه، لكن التجديدات التى كان يريد إدخالها فيه قد تحققت فى سنة ۶۴ للهجرة (۶۷۴ م) على يد عبد اللّه بن الزبير .. وتنفيذاً لما جاء فى السنة النبوية أُدخل الحجر بكسر الحاء فى ضمن البناء .. وبموافقة عبد الملك بن مروان سنة ۷۴ ه (۶۹۴ م) عُزِلَ الحِجر عن الكعبة ... وبذلك تطمنت رغبة بنى أمية التى كانت تريد إبقاء شكل الكعبة على ما كانت عليه قبل الإسلام تقريباً، وقد حافظت على شكلها ذلك حتى يومنا هذا.

أما أدلة القائلين بأن الحجر ليس من البيت فهى:

المستند الأول: الأخبار:

عن معاوية بن عمارة فى الصحيح قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن الحجر، أمن البيت هو أو فيه شىء من البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر، ولكن إسماعيل دفن أمه فكره أن توطأ فجعل عليه حجراً، وفيه قبور أنبياء.

عن زرارة فى الموثق عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: سألته عن الحجر هل فيه شىء من البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر.

خبر يونس بن يعقوب (قلت لأبى عبد اللّه عليه السلام: إنى كنت أصلى فى الحجر، فقال لى رجل: لا تصل المكتوبة فى هذا الموضع، فإن فى الحجر من البيت، فقال:

كذبصل فيه حيث شئت) (۱).

وفى خبر مفضل بن عمر عنه عليه السلام أيضاً «الحجر بيت إسماعيل، وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل».

وسأله أيضاً الحلبى فى المروى عن نوادر البزنطى «عن الحجر فقال: إنكم تسمونه الحطيم، وإنما كان لغنم إسماعيل، وإنما دفن فيه أمه وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه، وفيه قبور أنبياء» ...

۱- ۱ وسائل الشيعة باب ۵۴ من أبواب أحكام المساجد، الحديث من كتاب الصلاة.

ص: ۱۴۱

محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن الحِجر أمن البيت هو أو فيه شيءٌ من البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر. ولكن أسماعيل دفن أمّه فيه فكره أن يوطأ، فجعل عليه حِجراً وفيه قبور أنبياء (۱).

محمد بن على بن على بن الحسين عن النبيِّ والأئمة عليهم السلام قال:صار الناس يطوفون حول الحِجر ولا يطوفون فيه؛ لأن أمّ إسماعيل دفنت فى الحجر ففيه قبرها، فطيف كذلك لئلّا يوطأ قبرها (۲).

وعن زرارة عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: سألته عن الحِجر هل فيه شىء من البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر (۳).

ومع قوة هاتين الروايتين (ولا قلامة ظفر ...) سنداً ومتناً، فإنى وجدت الفريق القائل بان الحجر من البيت وجدته ساكتاً عن هاتين الروايتين ولم يشر إليهما ولم يبدِ رأياً فيهما، وهو أمر أثار استغرابى- حقّاً- للصراحة التى يتصفان بها فى عدم وجود شىء من البيت فى الحِجر. ولأن الأَولى لهذا الفريق أن يبدى رأيه فيهما ليكون موقفه أكثر سلامة وأقوى حجة، يشكّلان أقوى أدلة الرافضين لدخول شىء من البيت فى الحجر. وكذلك الأمر فى خبر يونس بن يعقوب (... كذبصل فيه حيث شئت).

كما أن الشيخ يوسف البحرانيصاحب الحدائق الناضرة قال: ويمكن أن يكون مستند المشهور ما نقل عن العلامة فى التذكرة كما نقلناه سابقاً وأما رأيُه فهو: ... وبالجملة فالظاهر من أخبارنا خروجه كاملًا عن البيت، وما ذكروه من هذا القول المشهور لا نعرف له مستنداً. والمستند الثانى الذى يمكن أن يكون دليلًا على أنه ليس من البيت وأن البيت لم ينقص منه ۵- ۷ أذرع وبالتالى فإن ركنيه الشاميين فى جهته الشمالية من البيت، هو ما ورد من استحباب تقبيل أو

۱- ۱ الوسائل ج ۱۳ ۳۵۳- ۳۵۴ أبواب الطواف.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۳۵۳- ۳۵۴ أبواب الطواف.

۳- ۳ وسائل الشيعة ۱۳: ۳۵۳- ۳۵۴. تراجع روايات فى أبواب الطواف.

ص: ۱۴۲

استلام الركنين الشاميين لأنهما من البيت وإلّا لم يرد هذا الاستحباب إن لم يكونا قد بناهما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

عن أحمد بن عيسى عن إبراهيم بن أبى محمود قال: قلت للرضا عليه السلام استلم اليمانى والشامى والغربى؟ قال: نعم.

فعن محمد بن الحسن بإسناده عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أبن أبى عمير، عن جميل بنصالح- أنه رأى أبا عبد اللّه عليه السلام يستلم الأركان كلّها (۱).

ورواه الكلينى، عن عدة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد مثله، وقال الشيخ الطوسى فى النهاية، ويستحب أن يستلم الأركان كلّها وأشدّها تأكيداً الركن الذى فيه الحجر الأسود (۲۳۶ النهاية) (۲). فلو اختصر شىء من الكعبة وضمّ إلى الحِجر لما كانت هذه الأركان هى أركان البيت الوارد فيها استحباب الاستلام.

أما فى مسألة وجوب إدخال الحجر فى الطواف بأن يمشى خارجه لا فيه وهى مما لا خلاف فيها بين فقهاء الإمامية وأدلتهم على ذلك اختلفت باختلاف اجتهاداتهم، فإضافة إلى دليل التأسى برسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم للأمر به يمكن حصر أدلتهم ب:

أولًا: الإجماع، وقال فى الجواهر: بل الإجماع بقسيمه عليه، بل المحكى منهما مستفيض.

ثانياً: الأخبار التى تشهد على وجوب إدخاله فى الطواف، وقد عبرت الأخبار بلفظة الاختصار ومعناها عدم إدخال الحِجر فى الطواف.

... عن معاوية بن عمار عن أبى عبد اللّه عليه السلام: مَن اختصر فى الحجر الطواف، فليعد طوافه من الحَجر الأسود إلى الحجر الأسود (۳).

... عن إبراهيم بن سفيان قال: كتبت إلى أبى الحسن الرضا عليه السلام أمرأة

۱- ۱ التهذيب ۵: ۱۰۶ /۳۴۳ ۱۵ الوسائل ۱۳: ۳۱۴ /۱۷۹۰۷ ۱.

۲- ۲ النهاية للطوسيص ۲۳۶.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۳۵۷ ح/ ۱۷۹۴۰/ ۳.

ص: ۱۴۳

طافت طواف الحج، فلما كانت فى الشوط السابع اختصرت وطافت فى الحِجر، وصلت ركعتى الفريضة، وسعت وطافت طواف النساء ثم أتت منى، فكتب عليه السلام (۱):

تعيد. ونحوها غيرها.

... عن الحلبى، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: قلت: رجل طاف بالبيت فاختصر شوطاً واحداً فى الحِجر، قال: يعيد ذلك الشوط. وفى رواية الصدوق قال: يعيد الطواف الواحد.

كما ذهب بعض فقهاء الإمامية إلى أن وجوب إدخال الحجر فى الطواف ليس ذلك من جهة كون الحِجر من البيت، بل للنصوص الخاصة بذلك. والعجيب أن هناك نصوصاً تصرح بأن إسماعيل إنما وضع الحجر لكراهيته أن يوطأ قبر أمه هاجر، وليتم الطواف من خارج الحجر (۲).

... وحجّر عليها لئلا يوطأ قبرها. أوصار الناس يطوفون فيه، لأن أمّ إسماعيل دفنت فى الحجر ... (۳)وليس فى الجمع بين العلل إنصح التعبير ضير (لسيرة رسول اللَّه والقائل خذوا عنى مناسككم) وللرويات الخاصة ولمنع إسماعيل وكراهيته من وطء قبر أمه).

هذا وإنصاحب الجواهر قال بعد أن أورد أدلته والأخبار الدالة على وجوب إدخال الحجر فى الطواف، قال: ولا فرق فى الحكم المزبور بين القول بخروجه من البيت ودخوله فيه الذى قد تشعر به النصوص المزبورة، وقد ذكرناها ولا نعيد (۴).

أما ما مقالهصاحب براهين الحج، الفقيه الكاشانى: من واجبات الطواف أن يدخل حجر إسماعيل فى الطواف، قال فى الجواهر بلا خلاف أجده فيه بل الإجماع بقسميه عليه.

۱- ۱ الوسائل ۱۳: ۳۵۷، ۱۷۹۴۱/ ۴.

۲- ۲ الوسائل ۱۳ص ۳۵۵ ۱۷۹۳۳/ ۶، ۱۷۹۲۹/ ۲.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۳۵۴، ۳۵۹، ۱۷۹۳۲/ ۵، ۱۷۹۳۳/ ۶.

۴- ۴ جواهر الكلام ۱۹: ۲۹۲- ۲۹۴.

ص: ۱۴۴

وبعد أن يستعرض الأخبار الدالة على ذلك وقد ذكرناها، يقول الظاهر أنه لا إشكال فى عدم دخول حجر إسماعيل فى الكعبة بل خارج عنه، وإن كان داخلًا فى الطواف، ويدل عليه الأخبار مثلصحيح معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شىءٌ من البيت، فقال: لا ولا قلامة ظفر، ولكن إسماعيل دفن فيه أُمّه فكره أن يوطأ فجعل عليه حجراً، وفيه قبور الأنبياء (۱).

شروط الطواف

ما قاله السيد الإمام الخمينى قدس سره:

ما عد جزءاً لحقيقته، ولكن بعضها من قبيل الشرط .... الرابع: إدخال حجر إسماعيل عليه السلام فى الطواف، فيطوف خارجه عند الطواف حول البيت، فلو طاف من داخله أو على جداره بطل طوافه وتجب الإعادة، ولو فعله عمداً فحكمه حكم من أبطل الطواف عمداً كما مرّ، ولو كان سهواً فحكمه حكم إبطال الطواف سهواً، ولو تخلف فى بعض الأشواط فالأحوط إعادة الشوط، والظاهر عدم لزوم إعادة الطواف وإن كان أحوط.

وما قاله السيد الخوئى رحمه الله:

إذا دخل الطائف حجر إسماعيل، بطل الشوط الذى وقع ذلك فيه فلابد من إعادته، والأولى إعادة الطواف بعد إتمامه، هذا مع بقاء الموالاة، وأما مع عدمها فالطواف محكوم بالبطلان وإن كان ذلك عن جهل أو نسيان، وفى حكم دخول الحِجر التسلق على حائطه على الأحوط، بل الأحوط أن لا يضع الطائف يده على حائط الحجر أيضاً.

وأخيراً تبقى هنا مسألة القبلة وعلاقتها بتغير جرم الكعبة الذى قد يترتب

۱- ۱ براهين الحج ۴: ۳۹- ۴۰ المدنى الكاشانى.

ص: ۱۴۵

على القولين (إن الحِجر كله أو بعضه من البيت. أن الحِجر ليس من البيت).

خاصة إذا نظرنا للقبلة من حيث كونها عين الكعبة لا جهتها وهذا ما نأمل بحثه- إن شاء اللّه تعالى- فى موضوع القبلة.

المصادر

البحار للشيخ المجلسى

التبيان للطوسى

أقرب الموارد للشرتونى

تاج العروس للزبيدى

وسائل الشيعة

السيرة الحلبية

أحكام القرآن للقرطبى

تفسير الميزان للطباطبائى

أخبار مكة للأزرقى

تاريخ الطبرى

صحيح مسلم

صحيح البخارى

مختصر تاريخ دمشق لابن منظور

الكامل لابن الأثير

التاج الجامع للأصول للشيخ منصور على ناصيف

الزرقانى فى شرحه على الموطإ

بداية المجتهد للقاضى الأندلسى

الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى

ص: ۱۴۶

الفقه الإسلامی وأدلته للزحیلی

إعانة الطالبین للدمیاطی

الفتاوی الهندیة فی مذهب الإمام أبی حنیفة

الموطأ للإمام مالک

الجواهر للشیخ محمد حسن النجفی

من لا یحضره الفقیه

الحدائق الناضرة للشیخ البحرانی

تذکرة الفقهاء للعلامة الحلی

موسوعة العتبات المقدسة

التهذیب

النهایة للطوسی

براهین الحج للفقیه الکاشانی

تحریر الوسیلة للسید الإمام الخمینی

المعتمد فی شرح المناسک للسید الخوئی

صحیح سنن المصطفی لأبی داود

مرآة الحرمین

الهوامش:

الاستدارة وصلاة الجماعة فی المسجد الحرام

ص:۱۴۷

ص:۱۴۸

ص: ۱۴۹

الاستدارة وصلاة الجماعة فى المسجد الحرام

محمد على مقدادى

قال اللَّه تبارك وتعالى: «... فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجدِ الحرامِ وحيثُ ما كنتُم فَولّوا وجوهَكُم شَطرَهُ ...» (۱).

الصلوات الخمس اليومية من الواجبات التى أكّد الشارع المقدس أداءَها بشكل جماعى، والأمة المسلمة- ومنذ ذلك اليوم الذى فرضت فيه تلكالصلوات وحتىالآن- تحرص على تأديتها جماعة لفضيلتها العظيمة. نذكر بعض النصوص الواردة فى هذا الباب:

قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم: أتانى جبرئيل فى سبعين ألف ملك بعدصلاة الظهر ... فقلت: يا جبرئيل! ما لأمّتى فى الجماعة؟ قال: يا محمد! ... وإذا كانوا عشرة، كتب اللَّه لكلّ واحد بكلّ ركعة اثنين وسبعين ألفاً وثمانمائةصلاة، فإن زادوا على العشرة فلوصارت بحار السموات والأرض مداداً والأشجار أقلاماً والثقلان مع الملائكة كُتّاباً لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة.

يا محمد: تكبيرة يدركها المؤمن مع الإمام خير له من ستين ألف حجّة

۱- ۱ البقرة: ۱۵۰.

ص: ۱۵۰

وعمرة وخير من الدنيا وما فيها سبعين ألف مرّة؛ وركعة يصلّيها المؤمن مع الإمام خير من مائة ألف دينار يتصدق بها على المساكين؛ وسجدة يسجدها المؤمن مع الإمام خير من عتق مائة رقبة (۱).

وقال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم:صلاة الجماعة أفضل منصلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً (۲).

وقال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم: إن اللَّه يستحى من عبده إذاصلّى فى جماعة ثم سأل حاجته أن ينصرف حتى يقضيها (۳).

وقال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم: لا تزال أمتى يكفّ عنها البلاء مالم يظهروا خصالًا ....

وقطع الصلاة فى جماعة، وترك هذا البيت أن يؤم، فإذا ترك هذا البيت أن يؤم لم يناظروا (۴).

وقال الإمام على بن أبى طالب عليه السلام: أفضل الأعمال إسباغ الطهور فى السبرات (۵) ونقل‌الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعدالصلاة (۶).

وقال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام:

منصلّى الغداة والعشاء الآخرة فى جماعةٍ فهو فى ذمّة اللَّه عزّ وجل، ومن ظلمه فإنمّا يظلم اللَّه، ومن حقّره فإنّما يحقّر اللَّه عزّ وجل (۷).

عن زرارة قال: قلت لأبى عبد اللَّه عليه السلام ما يروى الناس أن الصلاة فى جماعة أفضل منصلاة الرجل وحده بخمسة وعشرينصلاة؟ فقال عليه السلام:

صدقوا، فقلت: الرجلان يكونان فى جماعة؟ فقال: نعم ويقوم الرجل عن يمين الإمام (۸).

وقال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم: إن الركعة فى الجماعة أربع وعشرون ركعة، كلّ ركعة أحبّ إلى اللَّه من عبادة أربعين سنة (۹). والأحاديث الواردة فى هذا الباب كثيرة من طرق الفريقين، الشيعة الإمامية وأهل السنة.

ولمّا كان المسجد الحرام من أفضل البقاع والمساجد فى العالم كلّه حيث دلّت الأخبار على ذلك فالصلاة

۱- ۱ كتاب الصلوة، الشيخ مرتضى الأنصارى قدس سره: ۳۱۷.

۲- ۲صحيح مسلم بشرح الإمام النووى ۵: ۱۵۱.

۳- ۳ كنز العمال ۷: ۵۵۸، ح ۲۰۲۴۳.

۴- ۴ مسند الإمام زيد: ۱۰۰.

۵- ۵ السبرات جمع سبرة بفتح السين المهملة وسكون الباء الموّحدة، وهى الغداة الباردة.

۶- ۶ مسند الإمام زيد: ۱۰۲.

۷- ۷ من لا يحضره الفقيه ۱: ۳۷۷.

۸- ۸ التهذيب ۳: ۲۴.

۹- ۹ كتاب الصلوة، الشيخ مرتضى الأنصارى: ۳۱۶.

ص: ۱۵۱

فیه أیضاً تکون أکثر ثواباً وفضیلةً بالطبع، لما ورد فی الخبر:

عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم، قال:

الصلوة فی المسجد الحرام مائة ألفصلاة، والصلاة فی مسجدی عشرة آلافصلاة ... (۱).

وقال النبیصلی الله علیه و آله و سلم:صلاة فی مسجدی هذا خیرٌ من ألفصلاة فیما سواه إلّاالمسجد الحرام (۲).

وقال رسول اللّه أیضاً:صلاة فی مسجدی أفضل من ألفصلاة فیما سواه إلّاالمسجد الحرام، وصلاة فی المسجد الحرام أفضل من مائة ألفصلاةٍ فیما سواه (۳).

هذا، ولکن یا حبّذا لو تؤدَّی الصلاة جماعة فی هذا المسجد المکرّم المطهّر الحرام حتی یحصل الحظّ الوافر للمصلّین، ویتمتعوا من الثواب الجزیل والرحمة الواسعة فی ذلک المکان المبارک.

ولا یخفی أن فقهاء الشیعة جوّزوا الصلاة بالجماعة خلف أئمة أهل السنة وأکّدوا علی الشیعة الإمامیة أن یحضروا مساجدهم وجماعاتهم لما وردت فی ذلک أحادیث نذکر بعضها:

إسحاق بن عمار قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السلام: یا إسحاق! أتصلّی معهم فی المسجد؟ قلت: نعم، قال:صلّ معهم فإن المصلّی معهم فی الصف الاول کالشاهر سیفه فی سبیل اللّه- عزّ وجلّ- (۴).

وقال الصادق علیه السلام: منصلِّی معهم فی الصف الأول کان کمنصلّی خلف رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم فی الصف الأوّل (۵).

وقال علیه السلام أیضاً: خالقوا الناس بأخلاقهم،صلّوا فی مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وإن استطعتم أن تکونوا الأئمة المؤذنین فافعلوا، فإنّکم إذا فعلتم ذلک قالوا:

هؤلاء الجعفریة، رحم اللّه جعفراً ما کان أحسن ما یؤدب أصحابه، وإذا ترکتم ذلک قالوا: هؤلاء الجعفریة، فعل اللّه بجعفر، ما کان أسوء ما یؤدب

۱- ۱ کنز العمال ۱۲: ۱۹۵، ح ۳۴۶۳۳.

۲- ۲صحیح البخاری ۲: ۱۳۶.

۳- ۳ سنن ابن ماجة ۱: ۴۵۰- فضائل مکة: ۱۳۰.

۴- ۴ التهذیب ۳: ۲۷۷.

۵- ۵ من لا یحضره الفقیه ۱: ۳۸۲.

ص: ۱۵۲

أصحابه (۱).

وقال الصادق عليه السلام: إذاصلّيت معهم غفر لك بعدد من خالفك (۲).

ونقل محمد بن مسعود العياشى فى تفسيره عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:

اتقوا اللّه، ولا تحملوا الناس على أكتافهم، إن اللّه يقول فى كتابه:

«وقولوا للناس حسناً» (۳)

قال عليه السلام:

وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وصلّوا فى مساجدهم ... (۴).

وبما أنصلاة الجماعة فى المسجد الحرام تقام فى يومنا هذا مستديرة ولا يتيسر لكل شخص أداءصلاة الجماعة خلف الإمام وكما هو المتعارف فى المساجد الأخرى، لذلك رأينا أن نبحث هذا الموضوع تأريخياً وفقهياً لما فيه من الأهمية الكبيرة وحتى يطلع القارئ الكريم على ما ورد فيه.

الجماعة بالاستدارة من الناحية التأريخية:

بعد فتح مكة وقدوم المسلمين من المدينة مع رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وعفو النبيصلى الله عليه و آله و سلم عن أهل مكة بقوله: فإنّى أقول لكم كما قال أخى يوسف، لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّه لكم وهو أرحم الراحمين ... فاذهبوا فأنتم الطلقاء (۵).

خرج أهل مكة كأنما نشروا من القبور ودخلوا فى الإسلام. وفى تلك الفترة من الزمان لم تكن ساحة المسجد الحرام واسعةً كما نرى نحن الآن، بل كانت ضيّقة جدّاً. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان عدد من قدم مكّة مع رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم أكثر من عشرة آلاف نسمة، كما كان عدد أهل مكة فى سنة الفتح أكثر من ألفين، فصار عدد القادمين والمقيمين أكثر من ۱۲ ألف شخص.

هنا سؤالان:

۱- أكان المصلّى فى ذلك الزمان لهذا الجمع الغفير، نفس المسجد الحرام أو مكاناً آخر؟

۲- ماهى كيفية إقامة الصلاة

۱- ۱ من لا يحضره الفقيه ۱: ۳۸۳.

۲- ۲ المصدر نفسه ۱: ۵۶۸.

۳- ۳ البقرة: ۸۳.

۴- ۴ تفسير العياشى ۱: ۴۸.

۵- ۵ سفينة البحار ۲: ۳۴۲- ۳۴۳.

ص: ۱۵۳

بالجماعة فی تلک السنة؟ أکانت بالاستدارة، أم کانت تقام فی جهة من الجهات الأربع للکعبة المشرّفة؟.

ولأجل أن یتّضح المطلب للقارئ الکریم لابدّ من أن أشیر إلی جانب من تأریخ توسعة المسجد الحرام فیصدر الإسلام والقرون اللاحقة له:

قال باسلامة المکی: کان المسجد الحرام منذ بنی إبراهیم الخلیل مع ابنه إسماعیل علیهما السلام الکعبة المعظمة إلی أن آل أمر مکة المکرمة إلی قصی بن کلاب الجدّ الخامس لنبیّنا محمدصلی الله علیه و آله و سلم عبارة عن فسحة واسعة حول الکعبة المعظمة، لم یکن حول الکعبة المعظمة دور مشیدة، أو جدار محاطة بالمسجد الحرام، حیث کانت القبائل التی قطنت مکة من عمالقة، وجرهم، وخزاعة، وقریش، وغیرهم یسکنون شعاب مکة ویترکون ما حول الکعبة المعظمة احتراماً لها وتعظیماً لشأنها ... فلمّا آل الأمر إلی قصی واستولی علی مکة ...

جمع قصی قومه بطون قریش وأمرهم أن یبنوا بمکة حول الکعبة المعظمة بیوتاً من جهاتها الأربع ... فبنت قریش دورها حول الکعبة المعظمة وشرعت أبوابها إلی نحو الکعبة المعظمة، وترکوا للطائفین مقدار مدار المطاف، وجعلوا بین کلّ دارین من دورهم مسلکاً شارعاً فیه باب یسلک منه إلی المطاف، وجعلوا بناء الدور مدوّرة ولم تکن مربعة الشکل، حتی لا یکون بینها بین الکعبة المعظمة شبه فی البناء من جهة التربیع (۱).

وقال إبراهیم رفعت پاشا فی کتابه مرآة الحرمین: ذکر الأزرقی والإمام أبو الحسن الماوردی وغیرهما أن المسجد الحرام من عهد النبیّصلی الله علیه و آله و سلم وأبی بکر لیس علیه جدار یحیط به، وکانت الدور محدقة به من کل جانب وبین الدور أزقة یدخل منها الناس، وکانت حدوده حدود المطاف الآن، وهوعلی ذلکمن عهد إبراهیم علیه السلام (۲).

وأنت أیها القارئ الکریم تری أن الساحة کانت بمقدار حدّ المطاف

۱- ۱ تأریخ عمارة المسجد الحرام: ۵- ۶.

۲- ۲ مرآة الحرمین ۱: ۲۳۵.

ص: ۱۵۴

(۵/ ۲۶ ذراعاً) ولا يمكن إقامةصلاة الجماعة فى أحد الجهات الأربع عند كثرة الناس.

ويأتى ما يؤيّد هذا المطلب إن شاء اللّه.

وقال باسلامة المكى فى موضع آخر من كتابه أيضاً:

إنه لم يكن قبل الإسلام ذكر للمسجد الحرام وإنما كل ما يكون هو مدار الطواف حول الكعبة المعظمة، وذلك لأنه لم يكن فى التشريع الجاهليصلاة يؤدونها حول الكعبة المعظمة وإنما كان المعتاد عند العرب فى جاهليتها الطواف حول الكعبة المعظمة فقط ... فلمّا جاء الإسلام وانبثق نوره واعتنقه أفراد من أهل مكة كان من أسلم منهم يستخفى بصلاته عن المشركين فى داره وفى شعاب مكة لئلا يؤذوه، وذلك قبل الهجرة ولم يصّل أحد منهم حول الكعبة المعظمة إلّاعلى سبيل النادر ... ومكثت مكة على هذا الحال إلى عام الفتح سنة ثمان من الهجرة. فلمّا فتح رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم مكة منع المسلمين من الهجرة بقوله: «لا هجرة بعد الفتح» فصار بعد ذلك يقيم المسلمونصلاتهم حول الكعبة جهاراً، غير أنه كان سكّان مكة قليلين جداً وهم عبارة عن عدد وجيز؛ لأن معظم أهلها قد التحقوا بعد الهجرة بالجيوش الإسلامية لأداء فريضة الجهاد، والذب عن دين الإسلام ... ولذلك لم يكن فى العصر النبوى ولا فى خلافة أبى بكر احتياج إلى توسعة المسجد الحرام؛ لأن سعة مدار المطاف كان كاف لصلاة المسلمين المقيمين بمكة، ولم يقع فيه ضيق على المصلين يلجئهم إلى توسيعه.

ولهذه الأسباب المتقدم ذكرها لم يقع فى المسجد الحرام زيادة ولا سعة ولا تغيير ولا تبديل (۱).

وحينما كثر الحجاج والمقيمون بمكة المكرمة، وقعت ولأول مرّة زيادة فى المسجد الحرام فى سنة ۱۷ هجرية ثم وقعت الزيادة الثانية فى سنة ۲۶ هجرية. وأما الزيادة الثالثة كانت فى

۱- ۱ تأريخ عمارة المسجد الحرام: ۷- ۹.

ص: ۱۵۵

عهد عبد اللّه بن الزبیر سنة ۶۵ هجریة وهی أکثر ما زید فی ساحة المسجد الحرام. لأن الأزرقی روی أن مساحة المسجد الحرام فی زمان ابن الزبیر تسعة أجربة وشیء ....

وعلیه فتکون مساحة الجریب الواحد ۳۶۰۰ ذراع مربع وبذلک یکون مساحة المسجد الحرام فی زمان ابن الزبیر اثنین وثلاثین ألف ذراع، وأربعمائة ذراع مربع وذلک حسب ما ذکره الأزرقی، وبموجب ذلکصار سعة المسجد الحرام فی عصر عبد اللّه بن الزبیر نحو ربع مساحة المسجد الحرام التی هو علیها فی العصر الحاضر (۱) أو تزید قلیلًا (۲).

وبما أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض وقبلة المسلمین فی أرجاء العالم کلّه فقد تشرف الخلفاء والملوک والسلاطین بعمارته وتوسعته، حتی أنه قد زید فی المسجد الحرام من سنة ۱۷ هجریة إلی سنة ۳۰۶ هجریة، ثمانی زیادات، ولا تزال هذه الزیادات والتوسیعات إلی الآن.

ونلاحظ فی الملحق رقم: ۵ من کتاب الأزرقی، أنه کانت مساحة المسجد الحرام قبل التوسعة فی عام ۱۳۷۵ هجریة، ۲۹۱۲۷ متراً مسطحاً وبعد التوسعة التی حدثت فی عام ۱۳۷۵ هجریةصار مجموع مساحة المسجد ۱۶۰۱۶۸ متراً وهی مساحة تتسع لأکثر من ۳۰۰ ألف من المصلین فی وقت واحد، یؤدونصلاتهم فی سعة واطمئنان وفی إمکانهم مشاهدة الکعبة المشرفة مهما بعدت أمکنتهم (۳).

فتبیّن من جمیع ذلک أن سعة المسجد الحرام کانت فیصدر الإسلام بمقدار حدّ المطاف (۵/ ۲۶ ذراع)، ثمصارت واسعةً علی مرّ العصور إلی أن وصلت مساحة المسجد ۱۶۰۱۶۸ متراً.

وفی التوسعة الأخیرة بلغت المساحة ۳۵۶۰۰۰ متراً وهی مساحة تتسع لأکثر من ۷۷۰ ألف من المصلین فی وقت واحد (۴).

۱- ۱ لا یخفی أن المراد من العصر الحاضر هو قبل سنة ۱۳۵۲ هجریة لأن هذا الکتاب ألّف فی تلک الفترةوطبعت طبعته الأولی فی شهر ذی القعدة سنة ۱۳۵۴ هجریة. ولذلک فالمقایسة کانت قبل التوسعة الکبیرة التی حدثت فی سنة ۱۳۷۵ هجریة.

۲- ۲ انظر إلی الصفحة: ۱۸ من کتاب تأریخ عمارة المسجد الحرام.

۳- ۳ أخبار مکة لأزرقی ۲: ۸- ۳۳۷.

۴- ۴ انظر: فصلنامه میقات حج بالفارسیة العدد ۱۴، الصفحة ۱۹۸، نقلًا عن جریدة «المسلمون» الأسبوعیة. ط السعودیة.

ص: ۱۵۶

وقوع استدارة المأمومين حول الكعبة المشرفة:

ثم نرجع إلى الكلام فيصلاة الجماعة بالاستدارة فی المسجد الحرام وثبوتها فنقول وباللّه التوفيق:

إن استدارة المأمومين حول الكعبة فی المسجد الحرام وقعت من أول زمان ظهر الإسلام ونشر نوره وأعطى البصيرة لأهل مكة بعد فتحها ولذلك أدّعى بعض العلماء والمؤرخين وقوعها فی عصر حياة النبيصلی الله عليه و آله و سلم. قال فی المبسوط: ... به جرى التوارث من لدن رسول اللّهصلی الله عليه و آله و سلم إلى يومنا هذا (۱).

وقال السيد الحكيم رحمه الله: ... لكن الظاهر ثبوت السيرة عليه فی عصر المعصومين عليهم السلام، من دون نكير منهم عليهم السلام (۲).

وأما الشيخ الأنصاری رحمه الله بعد عدم قبول حجية تلك السيرة لعدم كشفها عن رضا النبيصلی الله عليه و آله و سلم أو أحد الأوصياء عليهم السلام قال: ... إلّاأن يقال

۱- ۱ المبسوط، لشمس الدين السرخسی ۲: ۷۸.

۲- ۲ متمسک العروة الوثقی ۷: ۲۴۹.

ص: ۱۵۷

عدم بلوغ النکیر من واحد منهم علیهم السلام ولا من غیرهم من الصحابة والتابعین، یکشف عن رضاهم علیهم السلام (۱).

صلاة أهل مکة:

قال الفاکهی فی کتابه أخبار مکـة: أخـذ أهل مکـة الصـلاة من ابن جُریـج، وأخذها ابن جُریج من عطاء، وأخذها عطاء من ابن الزبیر، وأخذها الزبیر عن أبی‌بکر، وأخذها أبوبکر من رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم من جبرئیل علیه السلام (۲).

وأما أبو الولید الأزرقی فقد نقل خبراً یهمّنا التعرض له وهو:

حدّثنی جدّی عن مسلم بن خالد الزنجی وسعید بن سالم قالا:

حـدّثنا ابنُ جُریـج قـال: قلت لعطاء: إذا قلّ الناس فی المسـجد الحرام أحبّ الیک أن یصـلّوا خلف المقام أو یکونواصـفّاً واحـداً حول الکعبة؟ قال: بل یکونواصفّاً واحداً حول الکعبة، قال: وتلا:

«وتری الملائکة حافّین من حول العرش» (۳).

ویمکن أن یستظهر من هذا الخبر بعد التأمل والدقة فیه، والاستظهار من بعض الأخبار الأخری أن أهل مکة حینما اجتمعوا فی المسجد الحرام اجتماعاً ضـخماً للصـلاة بالجماعة، کانوا قد اسـتداروا حول الکعبة المشرفة لضیق المکان؛ لأنه لا محیص منها، إلّاأن یقال بعدم انعقاد الجماعة فی تلک الفترة وعدم وقوعها وهذا بعید جدّاً إن لم نقل ببطلانه.

مَن أدار الصفوف حول الکعبة المعظمة؟

لم أجد نصّاًصـریحاً بأن رسول اللّهصـلی الله علیه و آله و سـلم کان أول من أدار الصـفوف حول الکعبة المعظمة، ولکنا إذا أمعنا النظر فی القرائن التأریخیة التیّ ذکرنا بعضها، وفی هذه الروایة التی نقلها الفاکهی فی کتابه:

... عن أمّسـلمة زوج النبیّصـلی الله علیه و آله و سـلم أنها قالت: شـکوت إلی النبیصـلی الله علیه و آله و سلم أنی أشتکی، فقالصلی الله علیه و آله و سلم: طوفی من وراء

۱- ۱ کتاب الصلوة، الشیخ الأنصاری قدس سره: ۳۵۴.

۲- ۲ أخبار مکة، للفاکهی ۱: ۱۸۲.

۳- ۳ أخبار مکة، للأزرقی ۲: ۶۶.

ص: ۱۵۸

الناس، وقال يعقوب: طوفى من وراء المصلين، قالت: فطفت ورسولاللَّهصلى الله عليه و آله و سلم حينئذ يصلى إلى البيت، وهو يقرأ ب «والطور وكتاب مسطور» (۱).

يمكن أن يقال: إن الاستدارة للصلاة بالجماعة حول الكعبة المشرفة وقعت فى الفترات الأولى من نشأة الإسلام، وبما أن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم أمر هُبيرة بن سِبل بن العجلان أن يصلى بالناس فى زمن فتح مكة (۲)؛ وبما أن الصلاة لا يمكن إقامتها بالجماعة إلّا بالاستدارة، لضيق الساحة المقدسة، فيمكن القول بوقوعها فى تلك الفترة، واللَّه العالم.

نعم، ذكر أبو الوليد الأزرقى أن أول من أدار الصفوف حول الكعبة، خالد بن عبد اللَّه القسرى (۳).

قال رشديصالح ملحس: ذكر السنجارى فى بعض أولياته أن الحَجاج أول من أطاف الناس حول الكعبة للصلاة وكانوا يصلونصفّاً.

ونقل الزركشى أن أول من فعله عبد اللَّه بن الزبير؛ ويمكن الجمع بين الكلامين بأن ابن الزبير أولًا ثم خالد بعد قتله (۴).

وقال الفاكهى: ويقال: إن أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد اللَّه القسرى.

حدثنا حسين بن حسن، قال:

إن رَوح بن عُبادة، عن ابن جُريح، قال:

أخبرنى عطاء، قال: كان ابن الزبير إذاصلّى بالناس جمعهم أجمعين وراء المقام.

قال: فَعِيب ذلك عليه، فقال له إنسان:

أرأيت إن كان وراء المقام من الناس مالو جمعهم حول البيت أطافوا به واحداً، ولكن فيه فرج أى ذلك أحب اليك؟ فقال: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش» (۵)

يقول:صفوفهم حول البيت أحب إلىّ (۶).

هذا كلّه بالنسبة للمائة الأولى من الهجرة النبوية، على مهاجرها آلاف التحيّة والسلام.

وعلى ذلك فإن لم نجد نصاًصريحاً يدّل على إقامة الجماعة بالاستدارة فى زمن الرسولصلى الله عليه و آله و سلم، فلم

۱- ۱ أخبار مكة، للفاكهى ۱: ۲۴۵.

۲- ۲ أخبار مكة للفاكهى ۳: ۲۲۵.

۳- ۳ أخبار مكة، للأزرقى ۲: ۶۵.

۴- ۴ المصدر نفسه ۲: ۶۶.

۵- ۵ الزمر: ۷۵.

۶- ۶ اخبار مكة، للفاكهى ۲: ۱۰۷.

ص: ۱۵۹

نجد نصاً أيضاً على خلاف ذلك، فلذا اكتفينا بالقرائن التى استعرضناها، والمجال لمن يريد التحقيق لأكثر من ذلك، واسع.

بعدما ولدت المذاهب الأربعة السـتيّة ووقعت الخلافات بينها انتجت المحاريب الأربعة فى المسـجد الحرام لأئمتها الأربعة حتى يصـلوا فيها.

ولأجل ذلك أقيمت لكل وقت من‌الأوقات‌الخمسة للصـلوات الواجبة، أربعة جماعات فى الجهات الأربعة للمسـجد الحرام، وفى بعض الأحيان إمام خامس لفرقة الزيدية؛ كان يصلّى بالزيديين الموجودين فى مكة.

ولايخفى أنصلاة الجمعة وقعت فى تلك الفترة فى المسجد الحرام وكان الإمام لصلاة الجمعة شخصاً واحداً ولم تنعقد الجمعة متعددة وإن وقعت الصلواة اليومية متعددة.

قال الكردى: ... وأما عنـدنا بمكـة المشـرفة، فإنه بعـد أن فتحها رسول اللّهصـلى الله عليه و آله و سـلم فى السـنة الثامنة للهجرة. ودخل الناس فى دين اللّه أفواجاً وعبـدوا اللّه تعالى جهاراً ليلًا ونهاراً، أقيمت فيهصـلاة الجمعـة كبقية الصـلوات، فكان الناس منذ العهد الأول يقيمونصـلاة الجمعـة بالمسـجد الحرام إلى عصـرنا الحاضـر فلا تتعددصـلاة الجمعـة بمكـة المشـرفة أبـداً. وكان الناس يحضـرون إلى المسـجد الحرام لصـلاة الجمعـة من أماكن بعيـدة، كالمعلّاة والحجون والمعابدة، وكالمسـفلة وجرول، يحضـرون إلى المسـجد الحرام بحبّ ورغبةصيفاً وشتاء، ولو فى شدّة الحّر والقيظ، بواعز نفسى ودافع دينى، مع وجود مساجد كثيرة فى مكة المكرمة ... (۱).

هـذا وقـد وصف ابن جبيرصـلاة الأئمة فى رحلته إلى مكة المكرمة فى عام ۵۷۸ للهجرة فقال: .... وهم أربعـة أئمة سـنّية وإمام خامس لفرقة تسمّى الزيدية وأشراف هذه البلدة على مذهبهم وهم يزيدون فى الأذان «حىّ على خير العمل» (۲).

۱- ۱ التأريخ القويم ۲: ۲۶۸- ۲۶۹.

۲- ۲ رحلة ابن جبير: ۷۳.

ص: ۱۶۰

وقال فی رحلته أیضاً:

... ویوضع الشمع بین یدی الأئمة فی محاریبهم. ومحاریب الأئمة هی المقامات التی ذکرنا إنشاءَها فی العهد الفاطمی لیصلّی فیها الأئمة الأربعة (۱).

ولا یخفی أن هذا الشکل من إقامة الجماعة شکل سییء ومخالف للوحدة الإسلامیة التیّ هی الأساس لتشریع الصلاة بالجماعة ولا یقبله من یعرف القلیل من أولیات أحکام الإسلام فضلًا عن کثیرها. ولأجله أنکر بعض العلماء تعدد الجماعات فی المسجد الحرام فی ذلک العصر.

قال أحمد السباعی: ... وجاء فی حاشیة ابن عابدین علی الدر المختار أن بعض العلماء أنکروا تعدد الجماعات فی ذلک العصر، وأفتوا بعدم جواز ذلک علی المذاهب الأربعة ویشیر ابن ظهیرة أن تعدد الجماعات بقی فی المسجد إلی عهد الشراکسة ثم ألغی، ثم العمل به مرّة أخری؛ أقول: وقد ظلّ العمل به إلی أن ألغی فی عهد الحکومة السعودیة الحاضرة (۲).

فتبین من ذلک کلّه أن تعدد الجماعات فی ساحة المسجد الحرام وقع فی أحیان مختلفة وفی خلال الفترات أقیمت الصلوة مع إمام واحد کان یصلّی بالناس وکان محرابه علی وجه الکعبة.

وحینما وصلت الحکومة بأیدی السعودیین بقی أمر الإمامة للصلوة فی المسجد الحرام علی حالة واحدة، واستدار المأمومون حول الکعبة المشرفة خلف إمام واحد فقط کما نشاهد الآن.

الجماعة بالاستدارة من الناحیة الفقهیة:

بما أن استدارة المأمومین حول الکعبة المشرفة فی ساحة المسجد الحرام من المسائل الفقهیة التی یحتاج المسلمون أن یعلموا الحکم فیها؛ لذلک نری فقهاء الإسلام، قد تعرضوا لها وبحثوا فیها وأعلنوا آراءَهم الفقیهة

۱- ۱ المصدر نفسه: ۷۵.

۲- ۲ تأریخ مکة، أحمد السباعی ۱: ۲۵۰.

ص: ۱۶۱

حولها، ونذكر أوّلًا آراء فقهاء العامة، ثم نذكر أقوال علماء الإمامية واختلاف آرائهم حول هذه المسألة.

علماء أهل السنة وحكمهم فی إدارة الصفوف

لاحظتم قبل قليل ما نقله أحمد السباعی من إفتاء علماء المذاهب الأربعة بعدم جواز تعدد الجماعات فی المسجد الحرام. وأما بالنسبة لجواز استدارة المأمومين خلف إمام واحد فی المسجد الحرام فلم أر من أنكره بين المذاهب الأربعة السنيّة، ولذلك نذكر بعض الأقوال الواردة حول هذه المسألة كنموذج:

قال الشافعی: ولو أمّ إمام بمكة وهم يصلّون بهاصفوفاً مستديرة يستقبل كلّهم إلى الكعبة من جهة كان عليهم- واللّه تعالى أعلم- عندی أن يصنعوا كما يصنعون فی الإمام وأن يجتهدوا حتّی يتأخروا من كلّ جهة عن البيت تأخراً يكون فيه الإمام أقرب إلى البيت منهم وليس يبين؟؟؟ زال عن حدّ الإمام وقربه من البيت عن الإمام إذا لم يتباين ذلك تباين الذين يصلونصفاً واحداً مستقبلی جهة واحدة فيتحرون ذلك كما وصفت، ولا يكون علی واحد منهم إعادةصلاة حتی يعلم الذين يستقبلون وجه القبلة مع الإمام أن قد تقدموا الإمام وكانوا أقرب إلى البيت منه. فإذا علموا أعادوا ... وهكذا لوصلّی الإمام بالناس فوقف فی ظهر الكعبة أو أحد جهتها غير وجهها، لم يجز للذين يصلّون من جهته إلّاأن يكونوا خلفه، فإن لم يعلموا أعادوا وأجزأ منصلّی من غير جهته، وإنصلّی وهو أقرب إلى الكعبة منه (۱).

هذا القولصريح فی جواز الصلاة مستديرة بشرط أن لا يكون المأموم أقرب إلى الكعبة من الإمام، وإذا كان كذلك فعلی المأموم إعادةصلاته. ويستفاد من هذا القول أيضاً إجزاءصلاة المأموم فيما إذا كان أقرب

۱- ۱ كتاب الأُمّ. للشافعی ۱: ۱۷۰. دار المعرفة، بيروت- لبنان.

ص: ۱۶۲

إلی الکعبة من الإمام بشرط أن یکون فی جهة غیر جهته التیصلّی فیها الإمام.

وقال فی المبسوط: وإذاصلّی الإمام بالناس فی المسجد الحرام وقف فی مقام إبراهیم وتحلق الناس حول الکعبة یقتدون به فیجزیهم، به جری التوارث من لدن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم إلی یومنا هذا.

والأصل فیه قوله تعالی: «فولِّ وجهک شطر المسجد الحرام» گوالقوم کلّهم قد استقبلوا القبلة، وواحد منهم لم یتقدم الإمام فی مقامه فیجزیهم إلّامن کان ظهره إلی وجه الإمام، وکان مستقبلًا الجهة التی استقبلها الإمام، وهو أقرب إلی حائط الکعبة من الإمام، فهذا متقدم علی الإمام فلا یصح اقتداؤه به (۱).

وأنت کما تری یصرّح هذان القولان، بصحّة الصلاة بالاستدارة حول الکعبة المشرفة وإجزائها عن المأمومین.

فقهاء الشیعة الإمامیة وآراؤهم حول استدارة المأمومین.

إن فقهاء الإمامیة اختلفوا فی حکم استدارة المأمومین فی المسجد الحرام، فمنهم من قال بالجواز مطلقاً، ومنهم من قال به فی موارد التقیة، ومنهم من قال بعدم الجواز کالعلامة رحمه الله فی جملة من کتبه، ومن تبعه، وتوقف بعض آخر فی حکمها وأفتی بالاحتیاط لعدم وجود نصّ عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم والأئمة المعصومین علیهم السلام، کصاحب الحدائق الناضرة رحمه الله حیث قال:

الثالث: اختلف الأصحاب (رضوان اللّه علیهم) فی جواز استدارة المأمومین حول الکعبة فی المسجد الحرام، فنقل عن ابن الجنید القول بجواز ذلک، بشرط أن لا یکون المأموم أقرب إلی الکعبة من الإمام، وبه قطع الشهید فی الذکری محتجاً بالإجماع علیه عملًا فی کلّ الأعصار السالفة، ونقل عن العلامة فی جملة من کتبه منع ذلک، وأوجب وقوف المأموم فی

۱- ۱ المبسوط، لشمس الدین السرخسی ۲: ۷۸، دار المعرفة بیروت- لبنان.

ص: ۱۶۳

الناحیـة التی فیها الإمام بحیث یکون خلفه أو إلی جانبه کما فی غیر المسـجد، واحتج علیه فی المنتهی بأن موقف المأموم خلف الإمام أو إلی جانبه وهو إنما یحصل فی جهـة واحـدة فصـلاة من غایرها باطلـة، وبأن المأموم مع الاسـتدارة إذا لم یکن واقفاً فی جهـة الإمام یکون واقفاً بین یـدیه فتبطلصـلاته. أقول: لم أقف فی هذا المقام علی نصّ عنهم علیهم السـلام وطریق الاحتیاط فیما ذهب إلیه العلامة (أجزل اللَّه تعالی إکرامه) واللَّه العالم (۱).

فصاحب الحدائق وإن لم یصـرّح بالمنع إلّاأنه اختار طریق الاحتیاط فیما ذهب إلیه العلامة رحمه الله وهو منع جواز اسـتدارة المأمومین حول الکعبة المشرفة وبطلانصلاتهم إذا لم یکونوا واقفین خلف الإمام.

وأما من قال بالمنع کالعلامـة رحمه الله فإنه ذکر أن حصول الجماعـة منوط بالموقف الـذی یقف فیه الإمام ثم إن وقف المأموم خلف الإمام أو إلی جانبه فی جهة واحدة فیحصل بذلکصورة الجماعة وإلّا فصلاة من غایرها باطلة.

هـذا، وقصاری ما یمکن أن یقال: إن العلامـة رحمه الله ومن تبعه فی هذا الحکم، لم یفرّقوا بین المسـجد الحرام والصـلوة حول الکعبة المشرفة وبین سایر الأماکن والمساجد الأخری، سواء أکانت قریبة أم بعیدةً عن الکعبة المشرّفة والقبلة. مع أنه یمکن أن یقال:

إن الخصوصـیة التی تکون فی المسـجد الحرام تقتضـی أن تؤدی الصـلوة فیه مع الجماعـة مسـتدیرة بشـرط أن یکون الإمـام أقرب من المأمومین إلی الکعبة المعظمة، وبذلک یحصل عنوان الإمامة، فی أن المأمومین کانوا متأخرین عنه بالنسبة إلی الکعبة المعظمة وإن لم یکونوا واقفین خلفه أو إلی جانبه، أضف إلی ذلک أنّ العرف یشـهد بأن ذلک الشـخص الـذی یکون أقرب إلی الکعبـة المعظمـة أمّ وصلّی بالناس، والناسصاروا مأمومین بالنسبة له.

وسنری قول بعض الأعاظم

۱- ۱ الحدائق الناضرة ۱۱: ۱۱۸- ۱۱۹.

ص: ۱۶۴

القائلین بالجواز: إن الأئمة علیهم السلام رأوا إدارة الصفوف ولم ینکروا تلک الصورة من الجماعة وهذا یدلّ علی جوازها أیضاً.

وقال الشیخ الأنصاری رحمه الله:

«... نعم هنا کلام آخر فی أصل جواز استدارة المأمومین من جهة کون الجماعة هیأة توقیفیة لابد من الاقتصار فیها علی المتیقن وهو ما إذا لم یتقدم المأموم علی الإمام عرفاً وإن لم یکن تقدم بالنسبة إلی الجهة التی توجّها إلیها أعنی الکعبة.

بیانه: أن التقدم قد یلاحظ بالنسبة إلی جهة خاصة من الجهات المطلقة المنتهیة إلی محدّد الجهات، وبهذا الاعتبار یقال لکلّ من الإمام والمأموم المتقابلین أنه متقدم علیصاحبه بالنسبة إلی الجهة التی توّجه إلیها، وقد یلاحظ بالنسبة إلی جهة الکعبة وحینئذٍ لا یصدق علی أحد المتقابلین التقدم علیصاحبه؛ لأنهما متوجهان معاً إلی جهة واحدة، وحیث إن معاقد الإجماعات علی عدم تقدم المأموم ظاهرة فی إرادة التقدم العرفی وهو الملحوظ بالنسبة إلی مطلق الجهة ولا- أقل من احتمالها، وحینئذ فمجرد کون المأموم متقدماً علی الإمام باعتبار ملاحظة وجهة الإمام یکفی فی البطلان، وإن کان الإمام أیضاً متقدماً علی المأموم بملاحظة وجهته، فتأمل.

وأما ما ادّعاه فی الذکری من الإجماع علیه فی کلّ الأعصار فهو مسلّم إلّاأن حجیة تلک السیرة محل تأمل؛ لعدم کشفه عن رضا النبی أو أحد الأوصیاءصلوات اللّه علیه وعلیهم، إلّاأن یقال عدم بلوغ النکیر من واحد منهم علیهم السلام ولا- من غیرهم من الصحابة والتابعین یکشف عن رضاهم علیهم السلام والمسألة لا تخلو من إشکال کمسألةصلوة المأموم فی جوف الکعبة مع توجّهه إلی الجهة المقابلة لجهة الإمام. واللّه العالم ثم رسوله ثم أوصیاؤه الکرامصلوات اللّه علیهم (۱).

۱- ۱ کتاب الصلوة، للشیخ مرتضی الأنصاری قدس سره: ۳۵۴.

ص: ۱۶۵

وأنت ترى أن الشيخ الأعظم رحمه الله بعد أن تأمّل فی حجیة السیرة قال: إلّا أن یقال عدم بلوغ النکیر من المعصومین علیهم السلام یکشف عن رضاهم، والمسألة لا تخلو من إشکال. فهو رحمه الله اعترف بعرفیة استدارة المأمومین إذا لم یتقدم المأموم علی الإمام، مع أنه لم یفت بشیء فی هذه المسألة، بل رکّزها (کما هو دأبه ودیدنه) باحتمالات یمکن أن یستفید منها المحقق علی الجواز، واللّه العالم.

أدلة الجواز والقائلون به:

نقل عن ابن الجنید (۱) والإسکافی (۲) والشهید فی الذکری، جواز استدارة المأمومین حول الکعبة المشرّفة بشرط أن لا یکونوا أقرب إلی الکعبة من الإمام عملًا بالأصل والإطلاقات والإجماع. ووافقهم فی ذلک الکثیر من الفقهاء، وبما أن لهذه المسألة أهمیة بالغة وهی محلّ للابتلاء، فلذلک ننقل ما عثرنا علیه من الأقوال والآراء حول هذه المسألة وباللّه تعالی التوفیق:

قال المولی أحمد النراقی رحمه الله:

فرعٌ: یجوز استدارة المقتدین بإمام واحد حول الکعبة بشرط أن لا یکونوا أقرب إلی الکعبة من الإمام وفاقاً للمحکی عن الإسکافی والذکری مدّعیاً علیه الأخیر للإجماع، للأصل والاطلاقات، وخلافاً للفاضل فی جملة من کتبه فأوجب وقوف المأموم فی الناحیة التی فیها الإمام لوجهٍ غیر تام (۳).

وقالصاحب الجواهر رحمه الله:

... وکیف کان فالأقویصحة الجماعة مع الاستدارة، والأحوط عدم أقربیة المأموم فیها إلی الکعبة بحسب الدائرة. وأحوط منه ملاحظة الکعبة مع ذلک، وأحوط منه أقربیة الإمام إلیها دائرة وعیناً، واللّه أعلم (۴).

وقال السید الیزدی،صاحب العروة الوثقی رحمه الله فی بحثصلاة الجماعة: المسألة ۲۴: یجوز- علی

۱- ۱ أنظر الحدائق الناضرة ۱۱: ۱۱۸.

۲- ۲ أنظر مستند الشیعة، للنراقی: ۵۳۳.

۳- ۳ مستند الشیعة، للمولی أحمد النراقی رحمه الله ت ۱۲۴۵ ه: ۵۳۳، أحکام الجماعة.

۴- ۴ جواهر الکلام، للشیخ محمد حسن النجفی رحمه الله ت ۱۲۶۶ ه، ۱۳: ۲۳۰.

ص: ۱۶۶

الأقوی- الجماعة بالاستدارة حول الکعبة، والأحوط عدم تقدم المأموم علی الإمام- بحسب الدائرة- وأحوط منه عدم أقربیته مع ذلک إلی الکعبة، وأحوط من ذلک تقدم الإمام- بحسب الدائرة- وأقربیّته مع ذلک إلی الکعبة (۱).

وقال الإمام الراحل الخمینی الکبیر- سلام اللّه علیه- فی جواب مسألة: رجلٌصلّی فی المسجد الحرام علی نحو الاستدارة ووقف فی الصلاة مقابل الإمام أو فی طرفیه هل هذه الصلاة تحتاج إلی الإعادة أم لا؟

قال رحمه الله: لا تحتاج فی الوضع الراهن إلی الإعادة (۲).

ولا یخفی أن الإمام الخمینی رحمه الله قال سابقاً فی حاشیته علی العروة الوثقی فی ذیل هذه المسألة (الجماعة بالاستدارة): لا یخلو من إشکال (۳).

وقال السید الحکیم رحمه الله:

... وعن الذکری الإجماع علیه عملًا فی الأعصار السابقة، وهو العمدة ... لکن الظاهر ثبوت السیرة علیه فی عصر المعصومین علیهم السلام، من دون نکیر منهم علیهم السلام- کما أشار إلیه فی محکی الذکری- فیکون دلیلًا علی الصحة فی قبال ما ذکر (۴).

وقال السید المیلانی رحمه الله فی تعلیقته علی هذه المسألة:

الظاهر أن الأقربیة (إلی الکعبة) هی ملاک التقدم لا أنهما أمران (۵).

وقال السید الگلپایگانی رحمه الله:

یجوزصلاة الجماعة بالاستدارة، والأحوط أن لا یتقدم المأموم بحسب الدائرة علی الإمام ... (۶).

وقال الشیخ محمد علی الأراکی رحمه الله: یجوز الجماعة الاستدارة حول الکعبة بشرط تأخر المأموم عن موضع سجدة الإمام وعدم أقربیته من الکعبة عنه بحسب الدائرة (۷).

وقال الأستاذ الشیخ محمد الفاضل اللنکرانی:

إنصلّیصلاة الجماعة بالاستدارة مراعیاً التقیة فصلاته

۱- ۱ العروة الوثقی ۱: ۷۸۳.

۲- ۲ مناسک الحج محشی: ۴۳۲- ۴۳۳.

۳- ۳ العروة الوثقی ۱: ۷۸۳.

۴- ۴ مستمسک العروة الوثقی ۷: ۲۴۸- ۲۴۹.

۵- ۵ العروة الوثقی ۱: ۷۸۳.

۶- ۶ مناسک الحج محشی: ۴۳۳.

۷- ۷ المصدر نفسه.

ص: ۱۶۷

صحیحة ولیس علیه الإعادة، ولا یجوز فی غیر موردها (۱).

وقال الإمام الخامنئی فی جواب هذه المسألة کما یلی:

س ۱۰۰: هل تجزیصلاة الجماعة التی تقام بشکل دائری حول الکعبة؟

ج: تجزی.

نتیجة البحث:

۱- لا نرتاب فی فضل الصلاة بالجماعة لما فیه من الأحادیث الکثیرة حول فضلها وتأکیدها.

۲- قد بیّنا فضل الصلاة فی المسجد الحرام، خصوصاً إذا کانت مع الجماعة.

۳- ذکرنا فضل الاقتداء فی الصلاة بأهل السنة.

۴- من الناحیة التأریخیة ذکرنا أن ساحة المسجد الحرام کانت علی حدّ المطاف (۵/ ۲۶ ذراعاً) فقط ثمصارت واسعة لمرات عدیدة علی مرّ العصور حتی بلغت ۳۵۶۰۰۰ متراً وهی مساحة تتسع لأکثر من ۷۷۰ ألف من المصلین فی وقت واحد.

۵- استفدنا من بعض النصوص التأریخیة وقوع الصلاة جماعة فی المسجد الحرام وبالاستدارة حول الکعبة المشرفة منصدر الإسلام.

واستفدنا من بعض النصوص أیضاً أن مَن الذی أدار الصفوف أوّلًا حول الکعبة المشرفة؟

۶- نقلنا عن الفاکهی والأزرقی أن خالد بن عبد اللّه القسری هو أول من أدار الصفوف حول الکعبة.

۷- ذکرنا ما جری فی المسجد الحرام من تعدد الجماعات لکل وقت من أوقات الصلوات المفروضة فی فترةٍ وإنکار العلماء له فی فترةٍ أخری.

۸- بیّنا أنصلاة الجمعة انعقدت فی المسجد الحرام من دون تعدد لکل جمعة حتی فی فترة التعدد ووجود المحاریب الأربعة فیه ولم یمکن وقوعها إلّامستدیرة.

۱- ۱ المصدر نفسه.

ص: ۱۶۸

۹- من الناحیة الفقهیة ذکرنا أقوال علماء العامة والخاصة وقلنا إن أهل السنة أجمعوا علی جواز استدارة المأمومین حول الکعبة اقتداءً بإمام واحد.

وذکرنا أیضاً أقوال العلماء والفقهاء الشیعة بین متوقف، ومحتاط، ومنکر، ومجیز وقوّینا قول الُمجیزین لما فیه من المتانة، وأن هیئة الجماعة فی المسجد الحرام خاصة به، ویصدق عرفاً أن هذه الهیئة من الجماعة هیئةصحیحة لا بأس بها بشرط أن لا یکون المأموم أقرب من الإمام إلی الکعبة المشرفة.

وبما أنصلاة الجماعة بالاستدارة وقعت قطعاً فی عصر الأئمة المعصومین علیهم السلام ولم ینکروا هذا الأمر، سلکنا طریق الجواز.

فعدم الإنکار منهم علیهم السلام أوّلًا وتصدیق العرف لتلک الهیئة من الجماعة حول الکعبة ثانیاً وإفتاء الأعاظم من الفقهاء علی الجواز ثالثاً هی الدلائل التی لا یمکن غض النظر عنها، واللّه تعالی هو العالم بحقائق الأمور.

وفی الختام أرجو من الأفاضل والعلماء أن یبحثوا ویتفحّصوا فی أمثال هذه البحوث التی لم یوجد نص قطعی حولها ولما فیها من الفوائد المهمة وإنصَعب الفحص فیما لا نصّ فیه.

ص: ۱۶۹

الهوامش:

هل طاف النبیُّ صلی الله علیه و آله و سلم حول الأصنام فی عمرة القضاء

ص:۱۷۰

ص: ۱۷۱

هل طاف النبيُّصلى الله عليه و آله و سلم حول الأصنام فى عمرة القضاء؟

محمد هادى اليوسفى

أفاد الشيخ المفيد فى «الإرشاد» فى فصل خصّه بصلح الحديبية قال: لما ضرع سهيل بن عمرو إلى النبيّصلى الله عليه و آله و سلم فى الصلح، نزل عليه الوحى بالإجابة إلى ذلك، وأن يجعل أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذٍ والمتولى لعقد الصلح بخطّه (۱)فقال لعلى عليه السلام: اكتب: بسم اللَّه الرحمن الرحيم.

فقال سهيل: ما أدرى ما الرحمن .. إلّاأنّى أظنّه هذا الذى باليمامة، ولكن أُكتب كما نكتب: باسمك اللّهمّ [فكتب: باسمك اللّهمّ].

فقال: واكتب: هذا ما قاضى عليه رسولُ اللَّه سهيلَ بن عمرو.

فقال سُهيل: فعلام نقاتلك يا محمد؟!

فقالصلى الله عليه و آله و سلم: أنا رسول اللَّه وأنا محمد بن عبد اللَّه.

فقال الناس: أنت رسول اللَّه (۲).

فقال سهيل بن عمرو: لو علمنا أنك رسول اللَّه ما حاربناك. اكتب: هذا ما

۱- ۱ الارشاد ۱: ۱۱۹، وأشار اليه الحلبى فى مناقب آل أبى طالب ۱: ۲۰۳ ط قم المقدسة.

۲- ۲ روضة الكافى عن الصادق عليه السلام: ۲۶۸، ۲۶۹ ط النجف الأشرف.

ص: ۱۷۲

تقاضى عليه محمد بن عبد اللَّه. أتأنف من نسبك يا محمد؟!

فقال رسول اللَّه: أنا رسول اللَّه وإن لم تُقرّوا. ثم قال: امحُ يا على واكتب: محمد بن عبد اللَّه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أمحو اسمك من النبوة أبداً! فمحاه رسول اللَّه بيده.

ثم كتب [على عليه السلام]:

«هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد اللَّه والملأ من قريش وسهيل بن عمرو، اصطلحوا على:

۱- وضع الحرب بينهم عشر سنين (۱)على أن يكفّ بعض عن بعض وعلى أنه لا إسلال ولا إغلال (۲) وأن بيننا وبينهم غيبة مكفوفة.

۲- وأنه من أحبّ أن يدخل فى عهد محمد وعقده فعل، وأنّ من أحبّ أن يدخل فى عهد قريش وعقدها، فعل.

۳- وأنه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليّه يردّوه اليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردّوه اليه.

۴- وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة، لا يُكره أحد على دينه ولا يؤذى ولا يُعيّر.

۵- وأن محمداً يرجع عنهم عامه هذا، وأصحابه، ثم يدخل فى العام القابل مكة، فيقيم فيها ثلاثة أيام. ولا يدخل عليها بسلاح الا سلاح المسافر: السيوف فى القِراب» وشهد على الكتاب المهاجرون والأنصار، وكتب على بن أبى طالب (۳).

كذا ذكر شروط الصلح القمى فى تفسيره، وكذا فى سائر مصادر السيرة والتاريخ، وزاد فى «تفسير العياشى» فى خبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان من شرط رسول اللَّه عليهم: أن يرفعوا الأصنام ..» (۴) أى فى هذه الأيام الثلاثة

۱- ۱ وكذلك فى رواية الطبرسى فى مجمع البيان ۹: ۱۷۹ عن الزهرى عن المسور بن مخرمة، وذكر الحلبىفى المناقب ۱: ۲۰۳: سبع سنين. واليعقوبى ۲: ۵۴: ثلاث سنين. ط بيروت.

۲- ۲ الاسلال: سل السيف، والإغلال من الغُل أى الأسر.

۳- ۳ تفسير القمى ۲: ۱۱۳ ط النجف الأشرف.

۴- ۴ تفسير العياشى ۱: ۷۰.

ص: ۱۷۳

موعد قضاء عمرته والمسلمين معه. وسنعود على دراسة هذا الشرط.

عمرة القضاء:

فلما دخل هِلال ذى القعدة من سنة سبع، أمر رسول اللَّه الذين شهدوا معه الحديبية أن لا يتخلّف أحد منهم عن قضاء عمرتهم معه هذه السنة (السابعة) وسمح لمن لم يكونوا معه.

فروى الواقدى بسنده عن ابن عباس قال: فقال رجل من حاضرى المدينة من العرب: يا رسول اللَّه، ما لَنا من يُطعمنا؟

فأمر رسول اللَّه المسلمين أن يتصدّقوا عليهم فى سبيل اللَّه.

فقالوا: يا رسول اللَّه، بِمَ نتصدق وأحدنا لا يجد شيئاً؟

فقال رسول اللَّه: بما كان، ولو كان بِشقّ تمرة، ولو بِمِشقص (۱) يحمل به أحدكم فى سبيل اللَّه (۲).

واستقدم رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم ستين بدنة، ثم قام فقلّدها بنفسه بيده، ثم أمر ناجية بن جُندب الأسلمى ومعه أربعة فتيان من بنى أسلم، وعُبيد بن أبى رُهْم الغفارى، وأبو هريرة الدوسى- وقد قدم على النبى فى خيبر تلك السنة- فساقوا هَدْى رسول اللَّه، يسيرون أمامه يطلبون الرَعى فى الشجر والكلاء والمَرعى.

وأمر رسول اللَّه محمد بن مَسلمة الأنصارى فأعدّ مئة فرس.

وأمر بشير بن سعد أن يُعدّ بيضاً ودروعاً ورماحاً وسلاحاً لتلك الكتيبة.

فقيل: يا رسول اللَّه! حملت السلاح! وقد شرطوا علينا أن لا ندخل عليهم إلا بسلاح المسافر: السيوف فى القُرُب؟!.

فقال رسول اللَّه: إنا لا نُدخلها عليهم الحرم، ولكن تكون قريباً منّا، فإن هاجَنا هَيْجٌ من القوم كان السلاح قريباً منّا.

۱- ۱ المِشقص: نصل السهم الطويل غير العريض.

۲ - ۲ تمام الخبر: فأنزل اللَّه فى ذلك قوله سبحانه: «وأنفقوا فى سبيل اللَّه ولا- تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وأحسِنوا، إن اللَّه يحبّ المحسنين» البقرة: ۱۹۵. وقبلها آية الشهر الحرام، وبعدها خمس آيات فى الحج، وهذا يتلاءم وفحوى الخبر، ولعل هذا مما يفسّر كون الآيات من سورة البقرة بأنها أُلحقت بالبقرة فيما بعد.

ص: ۱۷۴

وخرج المسلمون ألْفين (۱) وأحرم رسول اللَّه من الجُحفة (۲) وسار رسول اللَّه يلبّى ويلبّى المسلمون معه.

وفى مَرّ الظَّهْران التقى نفر من قريش بمحمد بن مَسلمة وبشير بن سعد فرأوا معه سلاحاً كثيراً، فخرجوا سِراعاً فأخبروا قريشاً بالذى رأوا من الخيل والسلاح.

وفى بَطْن يأجَج قُرب أنصاب الحرم تلاحق النبيّ فى أصحابه والهَدْى والسلاح.

مبعوث قريش:

وبعثت قريش مِكرز بن حفص بن الأحنف فى نفر من قريش، فالتقوا بالنبيّ فى بطن يأجَج، فقالوا:

يا محمد! واللَّه ما عُرِفْتَ-صغيراً ولا كبيراً- بالغدر، تَدخل بالسلاح الحرم على قومك وقد شرطت أن لا تدخل الا بسلاح المسافر: السيوف فى القُرُب؟!

فقال رسول اللَّه: لا ندخلها الا كذلك.

فرجع مِكرز الى مكة مُسرعاً يقول لهم: إنّ محمداً لا يدخل بسلاح، وهو على الشرط الذى شرط لكم.

ثم خلّف على السلاح هناك فى بطن يأجَج مئتى رجل، وجعل عليهم أوس بن خَوْلىّ.

وأمر رسول اللَّه أن يذهبوا بالهَدْى أمامَه فيحسبوه فى ذى طُوى. وخلّف مئتى رجل على السلاح عليهم أوس بن خَوْلىّ.

وخرج رسول اللَّه على ناقته القَصْواء (۳) وأصحابه محدقون به متوشّحين

۱- ۱ مغازى الواقدى ۲: ۷۳۱- ۷۳۳.

۲- ۲ فروع الكافى ۴: ۲۵۱ و ۲۵۲ ح ۱۰ و ۱۳؛ وكتاب من لا يحضره الفقيه ۲: ۲۷۵ ح ۷؛ وفى مغازى الواقدى: أحرم من باب المسجد ۲: ۷۳۳ و ۷۳۴.

۳- ۳ سيأتى عن الصادق عليه السلام أن الناقة كانت العَضباء.

ص: ۱۷۵

السيوف يلبّون، حتى انتهى إلى ذى طُوى، ولهم يقطع التلبية حتى بلغ عروش مكة (۱) ثم دخل من الثنيّة التى تطلع على الحَجون.

وقالت قريش: لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه، فخرجوا من مكة إلى رؤوس الجبال (۲) وقد رفعوا الأصنام حسب شرط الصلح (۳).

وروى ابن اسحاق عن ابن عباس: أن جمعاً اصطفّوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه- وتحدّثوا فى ما بينهم: أنّ محمداً وأصحابه فى عسرة وجَهد وشدة! (۴) فدخل مكة حتى طاف بالبيت.

فروى الكلينى فى «الكافى» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: طاف رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم على ناقته العَضباء، وجعل يستلم الاركان (والحجر) بمحجنه ويُقبّل المِحجَن (۵).

وطاف على راحلته حتى ينظر الناس الى هيئته وشمائله وقال: خذوا عنّى مناسككم. وكان تحته رَحْلٌ رثٌّ، وقطيفة قيمتها أربع دراهم (۶).

وكان عبد اللّه بن رَواحة آخذاً بخطام راحلة الرسول وهو يقول:

خلّوا بنى الكفّار عن سبيله خلّوا، فكل الخير فى رسوله

يا ربّ إنى مؤمن بقيله (۷) أعرف حقّ اللّه فى قبوله (۸) فنهَره عمر بن الخطّاب قال: يابن رواحة! فردّ عليه رسول اللّه قال: يا عمر؛ إنى أسمع!.

فلما أتم الشوط السابع نزل فصلى ركعتى الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام (۹).

ثم ركب راحلته فسعى بين الصفا والمروة على راحلته، فلما أتم المشوار السابع عند المروة نحرَ هدْيَه هناك، أو بين المروة والصفا، وقال: هذا المنحَر، وكل فجاج مكة منحر (۱۰) ثم حلق رأسه خراش بن أمية عند المروة (۱۱).

۱- ۱ النص: حتى جاء عروش مكة، ذلك أن أكثر بيوت مكة كانت بيوت شَعر قائمة على الأعواد. فَسُمّيت عروشاً- النهاية ۳: ۸۱.

۲- ۲ مغازى الواقدى ۲: ۷۳۴، ۷۳۵.

۳- ۳ انظر شروط الصلح، وتفسير العياشى ۱: ۷۰.

۴- ۴ ابن اسحاق فى سيرة ابن هشام ۴: ۱۲.

۵- ۵ فروع الكافى ۴: ۴۲۶؛ وعنه فى وسائل الشيعة ۱۳: ۴۱۴ ط آل البيت، والمحجَن: العصا المعقوفة الرأس.

۶- ۶ عوالى اللئالى ۴: ۳۴ ح ۱۱۸؛ وعنه فى مستدرك الوسائل ۹: ۴۲۰ ح ۴ ط آل البيت.

۷- ۷ إعلام الورى: ۱۰۲.

۸- ۸ ابن اسحاق فى سيرة ابن هشام، وبعده: نحن قتلناكم على تأويله- كما قتلناكم على تنزيله، ضرباً يزيل الهام عن مَقيله- ويذهل الخيل عن خليله: وعلق ابن هشام على هذا يقول: نحن قتلناكم على تنزيله الى آخر الابيات لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم ؟صفّين! قال: فإنما يُقتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل- ۴: ۱۳. والغريب: أن ابن اسحاق روى هذا الغلط على عبد اللّه بن أبى بكر! والواقدى فى المغازى ۲: ۷۳۵ رواه بعينه بسنده عن امّ عُمارة ويتفطّن الى هذا الإشكال، وكذلك الطبرسى فى أعلام الورى: ۱۰۲ والحلبى فى مناقب آل ابى طالب ۱: ۲۰۵، بلا التفات الى تنبيه ابن هشام.

۹- ۹ روى الكلينى فى فروع الكافى ۴: ۲۲۳ ح ۲ والصدوق فى كتاب من لا يحضره الفقيه ۲: ۱۵۸ ح ۱۲ بسندهما عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «موضع المقام الذى وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت، فلم يزل هناك، حتى حوّله أهل الجاهلية الى المكان

الـذى هو فيه اليوم وكـذلك كـان فى عمرة القضـاء فلما فتـح النبيصـلى الله عليه و آله و سـلم مكـة ردّه إلى الموضع الـذى وضـعه فيه إبراهيم عليه السـلام. فلم يزل هنـاك إلى أن ولى عمر بن الخطاب، فسأل الناس: من منكم يعرف المكان الـذى كان فيه المقام؟! فقال رجل: أنا، قـد كنت أخـذت مقداره بنَشع قيد من جلد فهو عندى! فقال: ائتنى به، فأتاه به، فقاسه، ثم ردّه الى ذلك المكان». ولقائل ان يقول: فلماذا لم يردّه أمير المؤمنين على عليه السـلام؟! وفى جوابه روى الكلينى ايضاً فى روضة الكافى: ۵۱ عنه عليه السلام خطبة قال فيها: «قد عملت الولاة قبلى أعمالًا خالفوا فيها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتُها الى موضـعها والى ما كانت عليه على عهد رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم لتفرق عنى جُندى حتى أبقى وحـدى ... أرأيتم لو أمرت بمقـام ابراهيم عليه السـلام فرددته إلى الموضع الـذى وضـعه فيه رسول اللَّه ... اذاً لتفرّقوا عنى». ومن اهل السـنة روى السجستانى فى مسند عائشة: ۸۲ برقم ۷۳ عن هشام بن عروة عن خالته عائشة قال: قالت: «كان رسول اللَّه يصـلى بعـد فتـح مكـة اليصِق البيت ليس بينه وبين البيت شـىء، وأبو بكر، وعمرصـدراً من إمـارته، ثم إن عمر ردّ النـاس الى المقام» بل ردّ المقام إلى ما عمله الناس فى الجاهليـة، ولم يتركهم على السـنة النبويـة الشـريفة. رواه الفاكهى فى أخبار مكـة ۱: ۴۴۲، والأزرقى فى أخبار مكة ۲: ۳۰، وابن حجر فى فتح البارى ۸: ۱۶۹، والبيهقى فى السنن الكبرى ۵: ۷۵.

۱۰- ۱۰ مغازى الواقدى ۲: ۷۳۶؛ وانظر وسائل الشيعة ۱۴: ۸۸؛ ومستدرك الوسائل ۱۰: ۸۳.

۱۱- ۱۱ مغازى الواقدى ۲: ۷۳۷.

ص: ۱۷۶

ثم أمر رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم مئتين من أصحابه أن يذهبوا الى أصحابهم فى بطن يأجَج فيقيموا على السلاح، ليأتى الآخرون فيقضوا نُسكهم، ففعلوا (۱).

أذان بلال:

ثم أرسل رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم الى المشركين ليدخل الكعبة، فأبوا وقالوا: لم يكن فى شرطك! فدخل فى فناء البيت، فلم يزل هناك حتيصار الزوال، فأمر بلالًا أن يصعد على الكعبة فيؤذّن، فصعدَ وأذّن فوق الكعبة ..

فحين سمعه سُهيل بن عمرو ومعه رجال غطّوا وجوههم!

وقال خالد بن أَسيد: الحمد للَّهالذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم، حين يقوم بلال ابن امّ بلال ينهق فوق الكعبة!

وقال عكرمة بن أبى جَهل: لقد أكرم اللَّه أبا الحكم حيث لم يسمع هذا اليوم العبد يقول ما يقول!

وقالصفوان بن أمية: الحمد للَّهالذى اذهب أبى قبل أن يرى هذا (۲).

وكان عقيل بن أبى طالب قد باع منزل رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة .. فقالصلى الله عليه و آله و سلم: لا ـ أدخل البيوت .. وضرب له مولاه ابو رافع قبةً من الأدم (الجلود) بالحَجون (من الابطح) .. فاقبل رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم حتى انتهى الى القبّة ومعه أم سلمة. وكان يأتى للصلاة الى المسجد من الحَجون فى عمرة القضاء (۳).

وماذا عن الأصنام؟

بدأت المقال بذكر شروطصلح الحُديبية نقلًا عن «تفسير القمى» وكما فى سائر مصادر السيرة والتاريخ، ولم يكن فيها شرط رفع الأصنام، فهل كانت

۱- ۱ مغازى الواقدى ۲: ۷۴۰.

۲- ۲ مغازى الواقدى ۲: ۷۳۷، ۷۳۸.

۳- ۳ مغازى الواقدى ۲: ۸۲۹.

ص: ۱۷۷

وطاف حولها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم والمسلمون؟!.

أما القمى فى تفسيره فقد قال هنا: إن قريشاً كانت قد وضعت أصنامها بين الصفا والمروة، وكانوا يتمسّحون بها إذا سعوا. فلما كان من أمر رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم ما كان فى الحديبية وصدوه عن البيت، شرطوا له أن يخلّوا له البيت فى عام قابل حتى يقضى عمرته ثلاثة أيام ثم يخرج عنها. فلما كان عمرة القضاء فى سنة سبع من الهجرة دخل مكة وقال لقريش: ارفعوا أصنامكم من بين الصفا والمروة حتى أسعى. فرفعوها، فسعى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم بين الصفا والمروة وقد رُفعت الأصنام (۱).

هذا وقد مرّ أن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم أرسل اليهم أن يدخل الكعبة فأبوا وقالوا:

لم يكن فى شرطك. وهذا هو المنسجم مع أخلاق مشركى قريش، فكيف بما هو فوقه من رفع الأصنام بلا شرط سابق؟!

وتمام كلام القمى: فلما فرغ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم من الطواف ردّت قريش الأصنام بين الصفا والمروة .. وبقى رجل من المسلمين من أصحاب رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم لم يَطُفْ .. فجاء الرجل الذى لم يَسْعَ الى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم فقال: قد ردّت قريش الأصنام بين الصفا والمروة ولم أسع؟! فأنزل اللَّه عزّ وجل: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللَّه فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطّوّف بهما ...» (۲).

وفى «فروع الكافى» و «تفسير العياشى» عن الصادق عليه السلام قال: إن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم كان (من) شرطه عليهم: أن يرفعوا الأصنام .. فتشاغل رجل من أصحابه حتى أُعيدت الأصنام، فجاؤوا الى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم فسألوه: إن فلاناً لم يَطُف، وقد أُعيدت الأصنام؟ فأنزل اللَّه: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللَّه فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطّوّف بهما ...» قال: أى والأصنام عليها (۳).

۱- ۱ تفسير القمى ۲: ۶۴.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ تفسير العياشى ۱: ۷۰.

ص: ۱۷۸

ولعلّ هـذا الخبر ومثله هو الذى أشار اليه الشيخ الطوسى فى «التبيان» وخصّ الأصنام فقال: هذا جواب لمن توهّم أن فى السعى بهما جَناحاً، لصنمين كانا عليهما: إساف ونائلة .. روى ذلك عن أبى جعفر وأبى عبد اللَّه عليهما السلام.

وقال به الشعبى وكثير من أهل العلم.

ولكنّه واصل الكلام قائلًا: «وكان ذلك فى عمرة القضاء ولم يكن فتح مكة بعد، وكانت الأصنام على حالها حول الكعبة».

فلو كانت الأصنام حول الكعبة أيضاً فى الطواف بها قبل السعى، فما الذى خصّ توهّم الجناح فى السعى دون الطواف بالكعبة من قبل؟! فلعلّه لدفع هذا أضاف:

وقال قوم: سبب ذلك: أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما، فظن المسلمون أن ذلك من أفعال الجاهلية، فأنزل اللَّه الآية (۱).

وقد أورد هذا الطباطبائى فى تفسيره «الميزان» عن «فروع الكافى» فى حديث حجّ النبيّصلى الله عليه و آله و سلم عن الصادق عليه السلام قال: إن المسلمين كانوا يظنون أن السعى بين الصفا والمروة شىءصنعه المشركون، فأنزل اللَّه: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللَّه ..» فبعدما طاف (النبىّ) بالبيت وصلى ركعتيه (قرأ): «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللَّه ..» وقال: أبدأ بما بدأ اللَّه عزوجل (۲).

وقد اعتمد الطبرسى فى «مجمع البيان» على هذا الخبر ثم قال: ورويت رواية أخرى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، فروى الخبر السابق عن «فروع الكافى» و «تفسير العياشى» (۳).

وفى «تفسير العياشى» عن الصادق عليه السلام أيضاً قال: كان على الصفا والمروة أصنام، فلماأن حجّ الناس لميدروا كيف يصنعون؟ فأنزلاللَّه هذه الآية: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللَّه ..» فكان المسلمون يسعون والأصنام على حالها (۴).

۱- ۱ التبيان ۲: ۴۴.

۲- ۲ تفسير الميزان ۱: ۳۸۷.

۳- ۳ مجمع البيان ۱: ۴۴۰.

۴- ۴ تفسير العياشى ۱: ۷۱.

ص: ۱۷۹

والتنافى فيما بين الروايتين فى شأن نزول الآية ظاهر (۱) بل بين الروايات.

وعليه فلابدّ من ترجيح.

فما هو المظنون الراجح؟

مرّ أن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم أمر بلالًا فأذّن فوق ظهر الكعبة، فهل أذّن بين ظُهرانىّ الأصنام؟! ولو كان لذكر لغرابته. ولو كانت الأصنام منصوبة على المروة وقد قدّموا هَدْيهم عندها، أو كانت الأصنام بينها والصفا وقد قدّموا هدْيهم هناك، لكان غريباً يُذكر وضَبْط الألفين من المسلمين وانضباطهم عن أن يمدّ أحدهم يده أو لسانه بالإهانة الى الأوثان والأصنام فى المسعى وحول البيت الحرام بعيد أيضاً، ولا أقلّ من خوف المشركين من ذلك وقد شرطوا للنبىّ أن يخلّوا له البيت والمسجد والمسعى ومكة، وهذا مما يقرّب تقبّلهم لاشتراط النبىّ عليهم رفع الأصنام، أقرب من أن يبقوا فى خوف وقلق وحذر من أن تُمسّ أصنامهم بسوء بيد أو لسان.

ولعلهم كانوا قد جمعوها فى داخل البيت ولذلك لم يسمحوا للنبيصلى الله عليه و آله و سلم بدخول البيت. ومهما كان فلا أقل من محاولة النبىّ والمسلمين اشتراط رفعها عليهم، فى حين لم يذكر ذلك فيما سوى هذا الخبر عن الصادق عليه السلام. فأظن أن كل هذه مرجّحات الى جانبه دون سائر الأخبار.

الهوامش:

حوار مع ممثّل الولى الفقيه فى شؤون الحج والزيارة حول موسم الحجّ لهذا العام

۱- ۱ انظر الميزان ۱: ۳۸۷؛ وأسباب النزول للواحدى: ۴۷، ۴۸ ط بيروت، فيه أخبار عن أنس بن مالكوعائشة وابن عباس كلها فى الأصنام على الصفا والمروة، والأخير يفيد أن ذلك كان بعد فتح مكة وكسر الأصنام!.

ص:۱۸۰

ص: ۱۸۱

ص: ۱۸۲

حوار مع ممثّل الولى الفقيه فى شؤون الحج والزيارة حول موسم الحجّ لهذا العام ۱۴۱۶

سؤال ۱: ما هى خصوصيات حجّ هذا العام؟ وما التحوُّل أو الحدث المهم الذى شهدتموه فى حجّ هذه السنة قياساً مع حج العام الفائت؟

جواب: لقد كانت بفضل اللَّه ورعايته هناك خصوصيات اتَّسمَ بها حجّ هذا العام ميزته عن حجّ العام الماضى. ومن أولى تلك الخصوصيات:

النشاطات والتحرّكات الاعلامية والثقافية المتميزة. لقد شهدنا حقاً حجّاً نَشِطاً واستثنائياً وفعّالًا للغاية كانت له آثاره الواضحة على الاعلام الخارجى.

أما الخصوصية الثانية، فهى تزامن الصلابة والعزّة مع حفظ روح رباطة الجأش فى حجّ هذا العام.

والواقع أنّ حجّ زوّار بيت اللَّه الحرام الايرانيين اتّصف دوماً بالعزّة والصلابة وذلك بعد انتصار الثورة الإسلامية. إلا أنهما أكثر وضوحاً فى هذا العام، كما أن كل ذلك ترافق معصفتى الهدوء والسكينة، وقد شعر بهذا كلّه الحجاج

ص: ۱۸۳

الآخرون ومن كان متواجداً فى الديار المقدسة. لقد شعر زوّار بيت اللّه الحرام من الايرانيين وغير الايرانيين، وأحسّوا بذلك ولمسوه عن قرب وأدركوا معنى ومفهوم هذه العزّة والصلابة ..

والخصوصية الثالثة هى أنّنا لم نواجه أيّة مشكلة حقيقية فى هذه السنة، لا فى المجال التنفيذى ولا فى المجال الثقافى والاعلامى، ولا أُريد أن أجزم بعدم وجود أيّة مشكلة على الاطلاق، إلّاأنّه ومقارنة بالسنين الماضية فقد كانت هذه السنة أقلَّ مشاكل وأقل عقبات وصعوبات.

وفيما يتعلق بالخصوصية الرابعة، يمكن القول: إن المحور الذى دارت حوله بعثة القيادة كان له بُعْدٌ سياسى إضافة الى البعدين الفقهى والدينى وقد أُدرِك ذلك بالقياس الى السنوات الماضية، فقد ازدادت مراجعات زوّار بيت اللّه الحرام من الايرانيين وكذلك الشيعة والمسلمين عموماً من أنحاء وأقطار مختلفة وتوالت على البعثة أكثر من السنين الخوالى.

ويمكن الجزم هنا أنَّ هذه السنة كانت فى الواقع سنة ترسيخ سياسة الجمهورية الاسلامية فيما يتعلق بأُمور الحجّ، تلك السياسة التى رسم سماحة الإمام الخمينى قدس سره خطوطها العريضة واكَّدَ سماحة القائد المعظّم الامتثال لها دوماً.

نتمنى من العلى القدير أن يوفّقنا فى السنوات القادمة لأداء خدمات أكثر فعاليةً فى الحج وتحقيق الأهداف والأمانى التى سعى الإمام الراحل قدس سره وسماحة القائد المعظّم إلى تحقيقها.

سؤال ۲: إنَّ الضغط والاصرار اللذين اتّبعهما سماحتكم فى سبيل إقامة مراسيم البراءة من المشركين أدى الى إقامتها فعلًا فى عرفات. ما هو تحليل معاليكم لهذه المسألة؟

جواب: انّى اعتبر إقامة مراسيم البراءة بكلّ عظمتها فضلًا إلهياً كبيراً، وأمّا اصرارى فإنّما كان من أجل

ص: ۱۸۴

تحقيق أوامر سماحة الإمام الخمينى قدس سره وسماحة القائد المعظّم السيد الخامنئى- مدّ ظله- وكذلك من أجل أداء واحد من الواجبات والتكاليف الشرعية الإلهية، ولقد كان أعلنَ وزير الحج السعودى فى العام الماضى بعد لقائه بسيادة رئيس هيئة الحج المحترم والوفد المرافق له، أنّه تمَّ اغلاق ملفّ البراءة الى الأبد ولن يُسمَح بفتحه ثانيةً، وانّه لو تمَّ الاصرار على ممارسة البراءة فإنَّه- أى الوزير المذكور- لا يستبعد وقوع حوادث مشابهة لتلك التى وقعت فى مجزرة يوم الجمعة فى عام ۱۴۰۷ ه وقد أقدمتُ شخصياً على إقامة تلك المراسيم فى عرفات مستلهماً عملى هذا من توصيات سماحة القائد المعظم الذى تفضَّل قائلًا: إنَّ علينا العمل وفقاً للتكليف الشرعى المُناط بنا ما استطعنا الى ذلك سبيلًا، ومستمدّاً الإعانة من البارى عزّوجل، وتوسُّلًا بحضرةصاحب الأمر عجل اللّه تعالى فرجه الشريف.

ولقد أدركت حكومة السعودية بعد إقامة هذه الشعيرة من قِبَلِنا فى العام الماضى أنّنا مُصمّمون وجادّون فى إقامة تلك الشعيرة مهما كانت الظروف الى الحدّ الذى نؤدّى فيه واجبنا الشرعى على أكمل وجه. من هذه المنطلقات كان أداؤنا لمراسيم البراءة فى عرصة عرفات موفقاً وعلى هذا فلا يمكنهم منعنا من ممارسة واجبنا الشرعى بالرّغم من تواجد الآلات الحربية وقوات الأمن، ولذا فقد شهدنا فى العام الحالى تهديدات أقلَّ ممّا شهدناه فى العام الماضى من قِبَل الحكومة السعودية. ومع أنَّ وزير الحج السعودى كان قد أرسل مُذكّرةً تحثُّ على الامتناع عن ممارسة شعيرة البراءة وشدَّدَ على احتمال وقوع حوادث غير متوقَّعة، إلّاأنّه، وبفضل اللّه سبحانه ودعاء الصالحين، تمَّ اقامة هذه الشعيرة فى عرفات أفضل من ذى قبل. وأظُنُّ أنَّ المسؤولين السعوديين أدركوا أنَّ أىّ أذىً أو ضَرر نتيجة

ص: ۱۸۵

مقابلة مُؤدّى مراسيم البراءة بخشونة لن يكون فيصالحهم، خصوصاً أثناء الحالة التى تواجد فيها الحجاج فى عرفات وتجمّعهم هناك وانشغالهم بالدّعاء والتَّضرّع.

سؤال ۳: ما هو هدفكم من الإصرار على إقامة مراسيم البراءة؟

جواب: إنَّ لإصرار الجمهورية الإسلامية على أداء مراسيم البراءة له أساسٌ وجذور عميقة فى ثقافتنا الدينية، وكذا فى المبادئ الأساسية للإسلام فى مجال إقامة الحج الإبراهيمى. وإزاء ذلك فإنَّ الحجَّ ليس مجرد إقامة سلسلة من الأعمال والعبادات الجافة أو عديمة الرّوح، ذلك أنّ مثل هذه الاعمال كانت تُمارَسُ فى الجاهلية أيضاً حيث كان الناس يجتمعون حول الكعبة للطواف ومن ثَمَّ يشرعون بالذهاب الى المشعر ومنىً، وقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «هكذا كانوا يطوفون فى الجاهلية».

إنَّ الكعبة بيت ومحطّ التوحيد، وكلمة التوحيد تتضمّن كلمة «لا إله» و «إلّا اللَّه»، وعلى من يُوحِّد اللَّه أن يسعى فى نفى الآلهة المزيّفة، ثم يسعى بعدها فى تثبيت كلمة «اللَّه».

إنَّ إظهار مسألة التوحيد على أنّها مسألة ذات بعد واحد، هى السياسة عينها التى اتّبعها بنو أمية كافة. وقد ذكر الامام الصادق عليه السلام ذلك بقوله: «إنّ بنى أُمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكى إذا حملوهم عليه لم يعرفوه (۱).

إنَّ البراءة من المشركين هى الهدف الأصولى من معرفة الشّرك ومحاربة المشركين.

إنَّ الحج هو أفضل محلٍّ لتنوير عقول الشعوب المسلمة وتنبيههم فى هذا المجال، وعلى المسلمين هنا أن يواجهوا مشاكلهم واحتياجاتهم، وبحث القيادة الإلهية للعالم الاسلامى، واتحاد ووحدة المجتمع الإسلامى والسُّبل الكفيلة لتحقيقها، والوقوف بوجه عالَم الشرك والقوى الاستعمارية.

۱- ۱ أصول الكافى ۴: ۱۴۳.

ص: ۱۸۶

ولهذافإنَدفع الناس نحو ممارسة سلسلة من الأعمال الجافّة والجامدة إنما هو فى الواقع تحريفٌ لمفهوم الحجّ وتحريف للاسلام الحقيقى كذلك.

ولذا فإصرار سماحة الإمام الخمينى قدس سره وسماحة القائد المعظّم- مد ظلّه- وبصفتى المُنَفِّذ لأوامرهما، يُعتبر محاربةً ضد تحريف الحجّ، واعتباره حلّاً لمشاكل العالَم الاسلامى، إنَّ مشكلة المجتمعات الاسلامية الرئيسية فى عصرنا الحاضر هى القوى الاستعمارية والرأسمالية، وفى حال زوال هذه السلطة واسترداد المسلمين لاستقلالهم وعزّتهم فإنَّ الكثير من مشاكل المجتمعات الإسلامية ستزول أيضاً. وتعقيباً على الآية القائلة:

«ليشهدوا منافِعَ لهم» فقدصرَّح سماحة الإمام الخمينى قدس سره: أيّة منفعة أعظم وأهمُّ من تلك التى يتمّ من خلالها قطع يد القوى الاستكبارية عن المصادر المادية والثروات الموجودة تحت الارض وعموم الثروات فى الأقطار الإسلامية؟!

سؤال ۴: لقد شهدنا فى هذا العام بعض المسلمين من أقطار مختلفة وخصوصاً اللبنانيين اتّخذوا من شعب البراءة الايرانى مثالًا ونموذجاً احتذوه فردّدوا شعارات مدوّية، مثل: «الموت لأمريكا والموت لإسرائيل» فى الطواف ورمى الجمرات، فما هو تقييمكم لهذا الحَدَث؟

جواب: إنَّ العمل الشجاع والمقدام لمسلمى لبنان والأقطار الإسلامية الأخرى فى العام الماضى وهذه السنة، يدلُّ على الوعى التدريجى الحاصل لمسلمى العالَم، وتأثير المقاومة والإصرار اللذين تبديهما الجمهورية الاسلامية فيما يتعلّق بإقامة مراسيم البراءة، وعلى الرّغم من التبليغ المضاد الذى وضعه وعّاظ السلاطين على عاتقهم فإنّ هذا الوعى فى تزايدٍ مستمر. أتمنى من اللّه العلى العظيم أن نرى ذلك اليوم الذى يَعُمُّ فيه هذا الوعى كلّ المسلمين، وأن يؤدى

ص: ۱۸۷

المسلمون واجباتهم الدينية والإلهية وهى مواجهة السلطات الاستكبارية والاستعمارية بشكل فعّال دون اضطرابات أو حالة من اللا أمن فى مكة المكرمة.

سؤال ۵: نتلَمَّسُ من خلال الخُطب التى يُلقيها بعض الخطباء فيصلاة الجمعة فى موسم الحج بعض الأُمور التى تُشاع ضد التشيّع ومراسيم البراءة من المشركين، فما هو ردّكم فى مقابل هذه الحركة التى تسعى الى تفرقة المسلمين؟

جواب: إنَّ هدف علماء الوهّابية إنما هو الفصل بين الدين والسياسة وإحداث الخلاف فيما بين الأُمة الاسلامية، ولا شك فى أنَّ ذلك ممّا يُفرِح أعداء الإسلام وأعداء الرسولصلى الله عليه و آله و سلم والقرآن الكريم. إن جميع القوانين والقرارات الاسلامية والمبادئ ممزوجة بعضها مع بعض، وكما قال الإمام الراحل قدس سره: «حتى انَّ الأخلاق فى الإسلام هى سياسة». والواقع أنَّ تصريحات وعّاظ السلاطين إنّما هو بمثابة تجويف الإسلام وتجريده من مفاهيمه الأساسية. وللأسف الشديد فإن هذا العمل الخطير يتمّ تنفيذه اليوم على يد العناصر الوهابية العميلة.

وجواباً على تلك التصريحات المغلوطة، فقد قدّمنا اعتراضاتنا فى السنة الماضية والسنة الحالية أيضاً.

وباعتقادى فإنَّ مثل هذه التصريحات قد تُسبّب- لا سمح اللَّه- فُقدان السيطرة على النفس من قِبَل شعبنا والمسلمين من غير الوهابيين وبالتالى تتمّ مواجهة بعضهم للبعض الآخر وبأساليب ينأى عنها الخلق الإسلامى والمبادئ الرسالية، ممّا لن يكون فيصالح المسلمين عموماً والمسؤولين عن تنظيم الحج خصوصاً.

إن المسلمين فى الحج يتبعون مذاهب متعددة وعلى المسؤولين أن يحترموا هذه المذاهب وليس من حقّهم فرض العقيدة الوهابية على الجميع، واجبار الآخرين على الالتزام بما جاء

ص: ۱۸۸

بها. وفى حال عدم تمكننا من السيطرة على الناس واحترام مذاهبهم وآرائهم سيتولّون الإجابة على هذه التصريحات والإثارات بأنفسهم.

وستعمّ الفوضى ويُفقد الأمان.

سؤال ۶: ذه السنة جميع المصاحف وكُتب الادعية الأُخرى من الحجّاج الايرانيين فى المطارات، وقد أدّى هذا الأمر الى ازعاج الحجّاج. ما هو تحليلكم لهذا العمل؟ وهل تمّت هناك خطوات لاسترجاع تلك الكتب؟

جواب: قد لا يكون سبب هذه الاعمال سياسياً، بل إنَّ منشأه التَّحجُّر العقائدى وفرض العقائد الوهابية على الآخرين. لقد كان هدفنا من اصطحاب المصاحف هو أولًا: أن يتمكن الزوّار من تلاوة القرآن فى أوقات مختلفة، واستلهام البركات المعنوية من تلك التلاوة. ثانياً: دحض الشايعات والافتراءات المنسوبة الى الشيعة والتى مفادها أنَّ قرآن الشيعة يختلف عن قرآن سائر المسلمين، فإن الجميع ستُتاح لهم فرصة مشاهدة قرآن الشيعة وبذلك فإنَّ هذه الشبهة ستزول عنهم، وكذلك لإهداء أعداد كثيرة من تلك المصاحف الى أكبر عدد ممكن من مسلمى الأقطار الأخرى.

وطبيعى أن يؤدى هذا العمل الى إسقاط التُّهم الوهابية، وربما كان هذا السبب هو ما دعى السلطات السعودية الى منع دخول تلك المصاحف والكتب الى الديار المقدسة.

وعلى أيّة حال فإن هذا العمل قد وَجَّه ضربة الى الوهابية وسياستها العاجزة والجهولة قبل أن يُوجهها الينا.

واعتقد أن مجلة ميقات الحج وكذلك سائر الصحف والمجلات الأخرى تستطيع قطع شوط مؤثر وفعّال فى سبيل إفشاء وفضح هذه الحركة الحمقاء.

وفيما يتعلّق باسترجاع المصاحف والكتب الأخرى، فقد تمَّ الاتصال بالمسؤولين فى الأماكن

ص: ۱۸۹

المقدسة ووعدوا بدورهم بإرجاعها لنا، إلّاأنّه ولحدّ تسجيل هذا الحوار لم يتمّ العمل بذلك الوعد. مع أننا نأمل بإعادتها الى أصحابها وان لا يتكرر مثل هذا العمل فى السنين القادمة.

سؤال ۷: يتمّ فى كل عام إصدار ونشر الكثير من الكتب فى السعودية والتى تحمل فيصفحاتها أفكاراً معادية للتشيّع، فما هو تقييمكم لانتشار مثل تلك الكتب؟ وما هى الخطوات المُتَّخَذَة من قِبَلِ ممثلية الولىّ الفقيه لمواجهة تلك الحملة؟

جواب: لا شك فى أن اصدار ونشر مثل تلك الكتب يمثلان سياسة استعمارية وذلك للحيلولة دون توحيد كلمة المسلمين واتحادهم، ولإشعال نار الحرب الطائفية والمذهبية، فمعظم المواضيع المطروحة فى تلك الكتب إنّما هى محض افتراءات وأكاذيب منسوبة الى الشيعة وهى ليست فقط مرفوظة من قِبَلِ الشيعة، بل إنَّ الشيعة تعمل على محاربتها وبشدة أيضاً، وأعتقد أنَّ الجواب على هذه الشبهات وتلك الافتراءات ليس من واجب بعثة الولىّ الفقيه وحسب، مع أننا وبدورنا قمنا بواجبنا تجاه تلك الاباطيل وسنظلُّ نقوم بذلك، ولكن اقترح أن تطلب معاونية التربية والتحقيقات من جميع المؤسسات والمنظمات ذات العلاقة، وكذلك من الشخصيات الدينية والعلمية الذين يمكنهم فعل الكثير من الاعمال المفيدة والمؤثرة فى هذا المجال، وذلك بوضع الكتب التى تحوى مثل تلك الشبهات والافتراءات المطروحة فى متناول المحققين وأن تتمّ عملية الإجابة عليها بتقسيم العمل فيما بينهم كلٌّ حسب اختصاصه. وعلى الاخوة أن يوفّروا الوقت والمال اللّازمين لتأليف الكتب المفصّلة والمختصة فى مختلف المستويات ونشرها حتى يتمّ الوقوف بوجه هذه الحركات العنصرية والمنحرفة. وعلى الجميع أن ينظر الى هذا الموضوع بشكل اصولى وبجدّية اكبر وعندها سنجد ونلمس آثاره

ص: ۱۹۰

وثماره.

والامر المهم الآخر هو أن تُقام علاقات شخصية مع مؤلفى مثل تلك الكُتب، ومراسلتهم، وسوف يكون ذلك المؤلف مستعداً لمناقشة الامر، إن لم يكن عميلًا بالطبع، ولطالما كان لمثل هذه العلاقات والروابط وَقْعُها المؤثر والمطلوب، مِمّا سَيضطر الكثير من أولئك المؤلفين الى التحوّل من طريق إدامة هذا السلوك الى جادة الصواب.

على كلٍّ فإنّى اعتقد أن مثل هذه العلاقات سيكون لها تأثيرٌ إيجابى حتماً.

من جهة أخرى فإننا نعلن عن طريق هذه المجلة، أنَّ من يُريد البحث معنا حول مفاهيمنا العقائدية والفقهية، فإننا مستعدون لعمل ذلك عن طريق المحاورات والمناظرات الاذاعية والتلفازية الحيّة، أو عن طريق اللقاءات والمراسلات، ولا شك فى أنَّ مثل هذا العمل سيُعطى النتيجة المطلوبة والمتوقعة.

ويجب التنويه هاهنا الى أنَّ معاونية التربية والتحقيقات فى بعثة ممثلية القيادة المعظمة قامت ولحد الآن بمحاولات جيدة فى هذا المجال، وقامت بنشر حوالى ثلاثين كتاباً وملزمة، ونتمنى أن تحوز على رضى الحقّ تعالى.

سؤال ۸: لقد قامت بعثة القيادة المعظمة فى حجّ هذا العام بعقد تجمّعات ولقاءات متعددة فى مكة المكرمة، ما مدى أهمية مثل تلك التجمعات بنظركم، وما هو تقييمكم لأثر تلك اللقاءات؟

جواب: إن التجمعات التى تُقام بهِمَّة بعثة القيادة المعظمة كلّ سنة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، كان لها أثرٌ ونفع بالغين خصوصاً فى هذا العام، وأقلّ تأثير أبرزته هذه التجمعات هو مدى اهتمام الجمهورية الإسلامية بالمسائل الإسلامية الدولية وسعيها المتواصل فى سبيل تقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية المختلفة.

إنَّ التجمعات الموسومة ب: أهل

ص: ۱۹۱

البيت، البوسنة، افغانستان، العراق، الهند وما شابه، كلّها اشارت الى هذا الاهتمام، وأوضحت أنَّ مشاكل العالم الإسلامى يجب أن تُبحثَ فى مثل هذه الأماكن المقدسة تزامناً مع أداء أعمال ومناسك الحجّ، وعلى عاتق الشعوب الإسلامية يقع حلّ تلك المشاكل، وتَحُثُّ المسلمين على الوقوف بوجه اعداء الدين فى نفس الوقت الذى يتمّ فيه اتصالهم مع خالقهم وتقوية البنية المعنوية لهم، وأنَّ عليهم وضع خلافاتهم جانباً فى سبيل تحقّق أهداف الإسلام، والتمسُّك بحبل اللَّه تعالى والقرآن وآل البيت عليهم السلام، والسّعى من اجل إنشاء حكومة الإسلام العالمية.

إضافة إلى ذلك فإنَّ اللقاءات التى تتمُّ بين العلماء والمفكرين والمسلمين من شتى الاقطار لها أثرٌ مهمّ وطيّب، وهو ما حقّقته تلك اللقاءات لحدّ الآن.

ولو أنَّ مثل هذه اللقاءات تمّتْ على شكل إرسال هيئات تبليغية إلى الأقطار المختلفة، لكلَّفت الكثير من المبالغ والمشاقّ الجمة، ولكن وببركة بيت اللَّه الحرام والحجّ تمت هذه اللقاءات فى جوٍّ من المحبّة والصّدق وفى محيط بعيد عن كلّ ما هو رسمىّ، وتمّ ذلك بسهولة ويسر ودون بذل الكثير من المبالغ.

إلّا انّه يمكن لمثل هذه الاعمال أن تُقام بصورة أوسع وباطلاع ما يُقارب من مليونى حاجّ على الامور والمسائل المهمة، ولكن وبسبب العقبات والصعوبات التى يضعها البعض فى طريق إقامة مثل هذه اللقاءات وترتيب مثل تلك التجمعات، فقد اضطُرِرْنا الى تشكيل تلك اللقاءات والتجمعات فى مقرّ بعثة القيادة المعظمة وبشكل محدود.

سؤال ۹: كانت الفعّاليات التربوية والتحقيقية التى قامت بها حوزة ممثلية الولى الفقيه فى أُمور الحج والزيارة فى السنوات الاخيرة، تنمو وتزداد بسرعة مذهلة، ما هو تقييم

ص: ۱۹۲

سماحتكم لما مضى من ذلك؟ وما هى مجالات التحقيق التى اقترحتموها للمستقبل؟

جواب: لحسن الحظ قامت ممثلية الولى الفقيه بأعمال جديرة بالثناء لحد الآن وذلك فيما يتعلّق بنشر الكتب والملازم المطلوبة فى موسم الحجّ، وقد تمَّ تأليف تلك الأعداد من الكتب ذات العلاقة بالحجّ والتى يحتاج اليها الحجّاج الكرام ونشرها، والحقّ يُقال إنَّ ايجاد مثل هذه الكمية من الكتب المتعلقة بمسائل الحجّ وخلال زمن محدود وقياسى لم يسبق له مثيل لا خلال الثورة ولا فى تأريخ ايران قاطبة. وفى الواقع، تمَّ إنجاز كل تلك الاعمال بلطف البارى عزّوجل وجهود معاونية التربية والتحقيقات على أكمل وجه ممّا يستحقّ منّا كل تقدير واحترام.

لكن وبالرغم من ذلك فإنى أعتقد أنَّه ما زال يمكن إنجاز الكثير من تلك الأعمال، على سبيل المثال لا الحصر: تأليف كتاب يتناول الأبعاد السياسية للحجّ وفلسفة البراءة من المشركين، لذا فإنى أطلب من الأخوة تحضير وتهيئة عناوين رئيسية لموضوعات تخصّ هذا الهدف ووضعها فى متناول يد المحققين والمثقفين داخل وخارج البلاد ليتمكنوا من كتابة وتأليف ما يلزم فى هذا الخصوص.

والموضوع الآخر الذى لا يقلّ أهمية عن سابقه، هو تبيين وتوضيح الأبعاد الفقهية للحجّ ووضع الحلول للمشاكل الفقهية التى تواجه الحجّاج، وذلك نظراً لوجود بعض التفاوت فيما يتعلق بفتاوى مراجع التقليد. وكذلك يجب بحث المواضيع المهمة الأخرى مثل مسألة تقديم القرابين، والاستظلال وحدود الطواف وما شابه ممّا يتطلَّبُ اهتمام المحققين الواسع فى هذا المجال.

فعندما يتمّ ذبح الآلاف من الخراف وغيرها فى منىً وذلك يوم عيد الاضحى، تبقى هذه الكمّيات الهائلة من اللّحوم دون نفع أو فائدة، وعندئذٍ

ص: ۱۹۳

تقوم السلطات بإحراق تلك اللّحوم فى حين يوجد ملايين المسلمين فى العالَم فى حالةٍ يُرثى لها من الجوع والفقر. فما هو الحلّ الذى يمكن بواسطته أن يقوم الحاج بأداء وظيفته الشرعية وفى نفس الوقت الحيلولة دون هدر تلك الكميات الكبيرة من اللحوم وذهابها سدىً؟ إنَّ مثل هذه الأمور تتطلَّبُ توظيف امكانات تحقيقية جبّارة حتى يتمَّ وضع الحلول المناسبة لها وتقديم المشاريع والبرامج التحقيقية ووضعها أمام المحققين، مِمّا سيضمن لنا الوصول الى حلٍّ أُصولى ومنطقى بعد دراسة الموضوع من كلّ جوانبه.

وامّا الاقتراح الآخر الذى أُقدّمه هو تنظيم وترتيب الكراريس الاعلامية بشكل فنّى دقيق ومحسوب بما يتناسبُ والمواضيع المتنوعة والمفيدة ذات العلاقة بالحج ووضعها فى متناول يد الافراد فى داخل وخارج القطر؛ لكى يتمكن أولئك الافراد من التعرّف على ثقافة الحج إذا كانوا لا يرغبون كثيراً فى مطالعة الكتب المفصّلة.

وكذلك تأليف ونشر الكتب الخاصة بالحجّ بما يتناسب والمستوى العلمى والثقافى للافراد سواء كانوا ذوى تحصيلات علمية بسيطة أو جيدة ولمختلف الأعمار والمستويات. اتمنى أن تستطيع معاونية التربية والتحقيقات من الخَطْوِ بثقة فى هذا المجال ايضاً فى المستقبل القريب.

سؤال ۱۰: علمنا أنّ مئات من حجّاج بيت اللّه الحرام كانوا يتردّدون يومياً على بعثتكم للّقاء بكم. كيف تقيمون تأثير تلك اللّقاءات؟

جواب: لقد كانت تلك اللقاءات مع البعثة ابتكاراً جيداً قُمنا بتشكيلها بعد استشارة سماحة القائد المعظم فى السنة الاولى لتشرُّفى بهذا المنصب وهو ممثّل الولى الفقيه، وقد كانت لتلك اللقاءات آثارٌ محمودة بحمد اللّه وبركاته.

فأولى تلك الآثار: هى اقامة رابطة وثيقة بين الناس والبعثة، وثانياً

ص: ۱۹۴

بإمكـان الكثير من الخطبـاء والوعّـاظ عن طريق تلك اللقاءات القاء الخُطَب التى يمكنها التأثير على الحجّاج روحيّاً وأخلاقياً ويقومون بتذكيرهم بالتّوصيات المهمة اللازمة، مِمّا سيترك أثره البالغ فى نفسية الحجّاج. إنَّ تقييمى لإقامة مثل هذه اللقاءات والجلسات ايجابى الى حدّ كبير.

سؤال ۱۱: لقـد انخفض عـدد المخالفات التى ارتكبها الحجاج الى حدّ جدير بالملاحظة، فما هى برأيكم أهم الاسـباب والعوامل التى أدّت الى مثل ذلك الانخفاض فى المخالفات؟

جواب: إن الدور الذى قام به الرّوحانيون الأفاضل المرافقون لقوافل الحجاج كان له الأثر الكبير فى انخفاض نسـبة المخالفات، وذلك بإرشاد الحجاج عن طريق المواعظ وتذكيرهم بواجباتهم وتجنُّبِ مثل تلك التصرفات التى لا تليق بهم.

والعمـل المهم الآخر الـذى قُمنا به هو إنشاء مراكز خاصـة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر داخل قوافل الحـجّ والتى اقيمت من قِبَلِ معاونيـة التربيـة والتحقيقـات، وقـد تمَّ انتخاب عـدد من الحجّاج للقيام بمهمـة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بصورة فخريـة داخل قوافلهم وأثنـاء تنقُّلاتهم المختلفـة وقـد قـدَّم هؤلاء المنتخبون نصائحهم وارشاداتهم للزوّار الكرام. وقـد كان لهـذا العمل أثره الواضـح أيضـاً فى التقليـل من المخالفات وإن لم يتمّ اختفاء تلك الظاهرة بالكامل، إلّاأننا نأمل أن تكون المخالفات فى هـذه السـنة قليلـة قـدر الامكان وذلك عن طريق اجراء البرامج الخاصة والمؤثرة للاستفادة القصوى من تلك المراكز.

سؤال ۱۲: هل تمّ اجراء الخطوات اللازمة فى مجال تعليم اللغة العربية إجباراً؟

جواب: إنَّ تعلُّمَ اللغـة العربيـة من قِبَلِ مُنظّمى الحجّ هو أحد الاعمال المهمة التى نتمنى أن تأخذ طريقها سـريعاً نحو التنفيذ إن شاء اللّه تعالى ...

ص: ۱۹۵

فالـذين لا يُجيـدون اللغـة العربيـة سـتكون انجازاتهم وفاعليتهم أقلَّ من غيرهم بالطبع، ولـذا فإننا سـنعتبرُ تعلُّم اللغـة العربيـة ميزةً واقعية وتفاضـلية، ولهـذا فاننى اوصـى الروحانيين والمساعـدين والمـدراء المحترمين فى القوافل البـدء بتعلُّم اللغـة العربيـة من الآن. وفى هذا المضمار تمَّ اصدار ونشر كتاب فى اللغة العربية بعنوان «العربية المعاصرة» من قِبَلِ معاونية التربية والتحقيقات لتسهيل تعلّم العربية.

سؤال ۱۳: لقـد كانت هناك دعوات كثيرة فى السـنين القليلـة الماضـية تـدعو الى توحيـد زىّ الحجّاج الايرانيين، فهل تمَّ اتّخاذ تدابير خاصة فى هذا المجال؟

جواب: الواقع أنَّ سـبب عـدم تنفيذ مثل تلك التوصـيات والدعوات، هو المشاكل التيصادفت بعض حجّاجنا الكرام، إلّاانّنا وبفضل اللّه تعالى وجهود منظمـة الحـج والزيارةصـمّمنا على تنفيذ تلك التوصـيات وهى توحيد زىّ الحجّاج الايرانيين، وذلك فى السـنة القادمة، وسـيكون لكـلّ من الرجـال والنسـاء زىّ مُوحَّد خاصّ به يلتزمون به فى تنقلّاتهم فيما بين الحرمين الشـريفين. وممّا يؤسف له أنَّ بعض الرجال والنساء من الحجّاج الايرانيين يرتـدون ملابس لا تناسب ذوق الزائر الايرانى، بل لا تليق بمقام الجمهوريـة الإسـلامية فى ايران. أتمنى أن نستطيع تنفيذ هذا المشروع وذلك عن طريق وضع البرامج الصحيحة، واستخدام الدقّة المتناهية فى تنفيذ تلك البرامج.

سؤال ۱۴: إذا كان لدى سماحتكم توصيات أو آراء تخصّ مُنظّمى الحجّ بما فيهم المسؤولون والموظفون فى البعثة والمنظمة وكذلك الرّوحانيون ومدراء القوافل، فتفضلوا بها مشكورين.

جواب: التوصـية الأـولى التى أُقـدمها الى منظّمى الحـجّ هو أن يتّصـفوا بالإخلاـص فى العمـل وفَهْمِ واجباتهم وانعكاس ذلك فى كلّ أعمالهم

ص: ۱۹۶

وسلوكهم؛ لأنهم يعملون للّه‌تعالى وخصوصاً الاعمال الخاصة بالحجّ والتى تُعتبرُ أحد أهم المسائل العِبادية والسياسية فى الإسلام.

وتوصيتى الثانية هى أن يقوم الاخوة المسؤولون بأعمالهم بجديّة اكبر.

لقد كان سماحة الإمام الخمينى قدس سره وسماحة القائد المعظم- مدّ ظله- يعيران أهمية كبيرة للحجّ وما زال الامر كذلك الى الآن، وهو ما نَسْتَشِفُّهُ من الأحاديث والخُطَبِ الكثيرة لهذين العزيزين بدقّة.

وكان الاهتمام بالحج فى نظرهما يقع فى مَصافّ أهم الانجازات المقدسة للجمهورية الإسلامية، ومن هنا يتحتَّمُ علينا جميعاً اتّباع كلّ البرامج والسّياسات وفى كلّ أبعادها التنفيذية والثقافية الخ. بجدّيةٍ وسعى كبيرين.

وامّا توصيتى الثالثة هى الاهتمام الخاص بالبرامج المطروحة سواء أكانت تلك البرامج تتعلّق بالأُسس التنفيذية أو بقدر تعلّقها بالأُمور التربوية.

إنَّ الظروف التى يعيشها معظم زائرينا تتطلَّبُ إجراء وتنفيذ البرامج التربوية بأسرع ما يمكن، وهذا يعتمد بالدرجة الاولى على تعيين الرّوحانيين ومساعدى القوافل فى أقصر وقت حتى يتمّ تشكيل القوافل بسرعة والبدء بتنفيذ البرامج التربوية للزوّار بعد ذلك مباشرة.

الواقع أنَّ فى ذهنى الآن أمراً وهو أنّنا نعطى الأولوية لأُولئك الذين لديهم اطلاع واسع وقدرة على التنفيذ الصحيح لأعمال الحجّ، ومعنى هذا أنَّ الذين يجدون فى أنفسهم نقصاً أو ضعفاً فى هذا المجال عليهم الاشتراك فى البرامج التربوية لوقت أكثر، والحضور فى الجلسات الخاصة المُعدَّة لذلك الغرض حتى يتمّ رفع وزوال ذلك النقص أو الضعف، وإلّا فإنّه سيتمّ استبدالهم بآخرين ممّن يفوقونهم فى هذا المجال وإرسالهم مع القوافل.

سؤال ۱۵: ما هى توصيات سماحتكم للزوّار الذين سيتمّ تشرّفهم

ص: ۱۹۷

بالحجّ فى العام المُقبل؟

جواب: إنَّ أهمّ التوصيات التى أريد تقديمها لزوّار بيت اللّه الحرام هى الاهتمام بتعلُّم المسائل والمناسك الخاصة بالحجّ. فالّذين هم فى مستويات ثقافية لا بأس بها عليهم القيام بقراءة ومطالعة الكتب ذات العلاقة، والتى قامت بإصدارها معاونية التربية والتحقيقات بعد جهود جبّارة، والتعرّف عليها من الآن وتسجيل ملاحظاتهم عليها. فكلّما كانت اطّلاعاتهم كثيرة، ازدادت قدراتهم للاستفادة والتمتّع بهذه الفرصة الإلهية.

وامّا التوصية الأخرى فهى أنَّ على الذين لا يستطيعون القراءة ولا الكتابة الاعتماد على أفراد عائلتهم أو أقاربهم أو أصدقائهم وطلب المعونة منهم؛ لكى يتمكّنوا من تعلّم المناسك والأحكام والأسرار والعلوم الخاصة بالحجّ، والتعرّف على أهم الأماكن المقدسة هناك، وأن يُخصّص أولئك الذين تشرّفوا بحجّ هذه السنة أو الذين ستُتاح لهم الفرصة للحجّ فى السنين التالية ساعات معينة منذ الآن وفى كلّ اسبوع؛ ليتمكّنوا من تعلّم مسائل الحجّ ويستفيدوا بصورة اكبر من محتويات هذا السَّفَر المعنوى والربّانى الذى يُتيح لصاحبه القيام به مرة واحدة فى حياته على الأغلب.

سؤال ۱۶: ولغرض حُسن الختام لهذا الحوار نرجو من سماحتكم أن تذكروا لقرّاء مجلة ميقات إحدى الخواطر الطريفة التى مرّت بكم فى حجّ هذا العام.

جواب: من الخواطر الجميلة التى لا تُنسى والتى مرّت بى هذا العام، هو المنظر الذى شهدْتُه بعد الانتهاء من مراسيم البراءة فى عرفات. فقد جاء الأخوة بشخص إلىَّ حائز على ثلاث شهادات دكتوراه، وقد اختار مذهب أهل البيت عليهم السلام بعد مطالعاته ودراساته التى استغرقت عشرين سنة.

وقد كان القصد من مجيئه الىّ كذلك هو تقديم الولاء والبيعة لقائد الثورة المعظم

ص: ۱۹۸

عن طريقى بصفتى ممثّل الولى الفقيه.

وعنـدما وضع يده فى يدى اعترته حالة عجيبة ثم شـرع بالبكاء طويلًا، وقال بعد ذلك بالعربية: إننى وبالنيابة عن زوجتى وأطفالى أبايع آية اللَّه الخامنئى وسأظَلّ مخلصاً لهذه البيعة ولو بروحى.

وللأسف فإنَّ البعض غافلٌ عن مثل هذه الأرضـية الثقافية المناسبة، ولا يُعيرُها أهمية تذكر. إنَّ هذه الحالة هى واحدة من مئات مشابهة لها، وأعتقـد أنَّ هـذا المنظر وكثيراً غيره، يُهِمّ المسؤولين فى المراكز الثقافية فى الجمهورية الإسـلامية فى ايران بل ويؤثِّر فيهم باعتباره خير درس وعبرة.

الهوامش:

رجال من الحرمين الشريفين (۴)

ص: ۱۹۹

رجال من الحرمين الشريفين (۴)

حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

حمزة بن عبد المطلب، أسد اللّه، وأسد رسوله، وأحد نجباء العرب فى الحسب والنسب، وأحد سادات قريش وكبار أشرافهم فى الجاهلية والإسلام، ومن المسلمين الأوائل، الصحابى، الصنديد، البطل الشجاع، الشاعر، الفصيح، عمّ النبيصلى الله عليه و آله و سلم وأخوه فى الرضاعة، اتصف بالكرم والنخوة والشجاعة، ولد ونشأ فى مكة، وعند إعلان إسلامه، أعز اللّه الإسلام به، لأنه كان من أقوى رجال قريش وأشدّها شكيمة، وقام يمنع الأذى عنالرسولصلى الله عليه و آله و سلم وصحبهالكرام، وكان من كثرة ميله للإسلام وحبّه للرسولصلى الله عليه و آله و سلم أنه ضرب أبا جهل زعيم المشركين.

شارك الرسولصلى الله عليه و آله و سلم والمسلمين فى محنة الحصار الذى فرضه مشركو قريش عليهم، وهاجر إلى المدينة، وقاد أول سريه فى سبيل اللّه، كما شارك فى بقية الغزوات، وقاتل بين يدى الرسولصلى الله عليه و آله و سلم ببسالة نادرة، ضارباً فى ذلك أروع أمثلة التضحية والفداء والإخلاص، استشهد فى معركة أحد بعد أن أبلى بلاء

ص: ۲۰۰

عظيماً، وقتل عدداً من زعماء ورؤوس الشرك فأثبت بذلك أنه جندى شديد البأس يُقاتل بكفاءة وبسيفين، وبحماس منقطع النظير.

وببركة استشهاد حمزة، ورهطه الكرام فى معركة أُحد، عمّ الإسلام واتسع انتشاره فيما بعد، إذ غرست شهادتهم فى نفوس الصحابة فضيلة حبّ الجهاد والتضحية والإخلاص المتزايد، فالشهيد هو الذى يصنع النصر المستمر، ويصنع الحياة الجديدة، ويضع اللبنة الأساسية والقوية للتاريخ المشرق، الذى تفتخر به الأجيال إلى الأبد.

وماأحوجنا إلى احياء شخصياتنا التأريخية أمثال حمزةبن عبدالمطلب رضى الله عنه وغيرهم من القادة الأفذاذ الذين سطرواصفحات التاريخ بالآثار والأفعال العظيمة والأخلاق الحميدة.

اسمه ونسبه وكنيته:

هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك، وينتهى نسبه بعد ذلك بعدنان (۱). وأُمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهى أمصفية (۲) ويلتقى نسب أبيه من نسب أُمه فى كلاب بن مُرّة ويصعد النسبان معاً إلى عدنان ثم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وقد ورد عن نسب أُمه فى كلّ من الكتابين «نسب قريش» للمصعب الزبيرى (۳) وكتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد (۴) بأنها هالة بنت أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، حيث يلتقى عمود النسب كما أسلفنا بعدنان فإسماعيل بن إبراهيم. ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد، أن عبد مناف بن زهرة ولد «وهباً»، وهو جدّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، لأمّه، آمنة بنت وهب (۵).

۱- ۱ راجع كتاب «نسب قريش» ۱: ۵ وبعدها فى مادة «ولد عدنان».

۲- ۲ تاريخ اليعقوبى ۲: ۱۱، ذخائر العقبيص ۱۷۲.

۳- ۳ نسب قريش ۱: ۱۷.

۴- ۴ الطبقات الكبرى ق ۱ ۳: ۳.

۵- ۵ نسب قريش ۸: ۲۶۱.

ص: ۲۰۱

وأما كنيته، فهى كما وردت فى تاريخ العيقوبى:

«وحمزة، وهو أبو يُعِلى، أسد اللَّه، وأسد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم» (۱).

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى:

«وكان يكنى أبا عمارة، وكان له ولد من الولد، يُعلى، وكان يكنى به حمزة، أبا يُعلى ...» (۲).

وكتب عنه «شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى» فى كتابه سير أعلام النبلاء، وهو يكمل على ما سبق، فى ذكر كناياته وألقابه التى كان يلّقب بها، فقال عن حمزة بأنه «الإمام، البطل، الضرغام، أسد اللَّه، أبو عمارة، وأبو يُعلى، القريشى، الهاشمى، المكى، المدنى، ثم البدرى، الشهيد، عم رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، وأخوه فى الرضاعة» (۳).

وتحت عنوان (ذكر اسمه وكنيته رضى الله عنه يقول العلّامة الحافظ محب الدين الطبرى:

«ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام حمزة، ويكنى أبا عمارة، وأبا يعلى ...

كنيتان له، بابنيه عمارة ويُعلى، وكان يدعى أسد اللَّه وأسد رسولهصلى الله عليه و آله و سلم».

عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة عن أبيه عن جده أن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم قال: «والذى نفسى بيده إنه لمكتوب عند اللَّه عزّ وجلّ فى السماء السابعة، حمزة أسد اللَّه وأسد رسولهصلى الله عليه و آله و سلم» أخرجه البغوى فى معجمه (۴).

معنى حمزة فى اللغة:

أما معنى حمزة فى اللغة العربية، فهو كما ورد فى كتاب «مختار الصحاح» لمحمد بن أبى بكر الرازى فى مادة- ح م ز- (حمز الرجل، من باب، ظُرُفَ أى اشتد، فهو حَميز الفؤاد، و (حامزه). وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنه:- «أفضل

۱- ۱ تاريخ العيقوبى ۸: ۲۶۱.

۲- ۲ الطبقات الكبرى لابن سعد ۳ ق ۱: ۳- ۴ طبقة ليدن.

۳- ۳ سير أعلام النبلاء/ الذهبى ۱: ۱۲۷.

۴- ۴ ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربيص ۱۷۳.

ص: ۲۰۲

الأعمال (أخمرها) أى أمتنُها وأقواها» (۱).

ولادته ووفاته:

ولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب فى مكة المكرمة سنة (۵۴ قبل الهجرة/ ۵۶۸ ميلاديه). وتوفى شهيداً فى معركة أُحد، سنة (۳ للهجرة/ ۶۲۵ ميلادية) (۲)، ودفن جنوبى جبل أُحد، حيث وقعت المعركة فى المدينة المنورة فى السنة المذكورة آنفاً، فقد ورد فى مجلة آخر ساعة المصريه، العدد ۱۹۷۴۲۰۴۶- ۱۶ ذى الحجة سنة ۱۳۹۳، تحقيق عن المدينة المنوره بقلم:

عدنان العبد جاء فيه .. «وجنوبى الجبل- جبل أُحد- وفى وادى قناة وعلى جانبه توجد قبور الشهداء من أبطال المسلمين وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عمّ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وسيد الشهداء» (۳) ... وقد «قتل على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وكان يوم قتل، له سبع وخمسون سنه ودفن هو وابن أخيه عبد اللَّه بن جحش فى قبر واحد» (۴).

نشأة سيدنا حمزة بن عبد المطلب الأولى:

يلاحظ من تتبع ودراسة حلقات حياة حمزة بن عبد المطلب الأولى أنه نشأ نشأةً مستقيمة، خالية من عيوب وسلبيات المجتمع القريشى، وكبر وسط هذا المجتمع، وهو يجتمع على كلّ الخصال السليمة، والمواقف الرشيدة، فكان يحمل عقلًا نافذاً، وضميراً حيّاً، ينبض بالشجاعة وحب الخير، وكان يعتد بذاته، ولا يحب التجبر والتهور، والعدوان على الغير، ويأنف من الظلم، كما كان فى نفس الوقت لا يحب أن يعتدى عليه أحد، أو على أقربائه .. وكان الناس يعرفون له قدره ومكانته. وكان يحمل معه كلّ الصفات الهاشمية الأصيلة كالصدق والوفاء

۱- ۱ مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازيص ۱۵۴.

۲- ۲ المدائح النبويه المتضمنه لسور القرآن الكريم للسيد هاشم الخطيب- هامش الصفحة ۸۵.

۳- ۳ المدائح النبوية- هاشم الخطيبص ۸۷.

۴- ۴ ذخائر العقبيص ۸۵، فى موضوع ذكر تاريخ مقتله.

ص: ۲۰۳

والكرم والفتوه والشجاعة بكل معناها.

ومع قلة ورود الأخبار المتناثرة فى بطون التاريخ فى الفترة ما قبل الإسلام، إلّا أنها جميعاً تؤكد تجسيم الشخصية الكاملة فيه، وتؤشر الملامح الصحيحة للإنسان الفاضل الذى سيدخل التاريخ من أوسع وأشرف أبوابه، ويسجل له فيه مجداً خالداً إلى الأبد، وفعلًا دخل التأريخ وسطر له حروفاً نورانيه مشحونة بالمجد والخلود وبقاء الذكر (۱).

وكان حمزةصاحب إرادة قوية، عزيز النفس، كريم الطباع، نشأ وقد تأثر بمركز والده عبد المطلب القائم على الشرف والسيادة والرئاسة وحب الناس له، وكان معدن حمزة نقياً، ومعروفاً باستقامة الضمير ونفاذ البصيرة وحب الخير، والتمثل بالشمائل الطيبة، المبنية على الإرادة والتصميم وسلامة اتخاذ المواقف، ومن هنا دخل حمزة التاريخ ومن أحسن أبوابه، وسجل له التأريخ بدوره جميع مواقفه البطولية (۲).

العلاقة بن حمزة ومحمّدصلى الله عليه و آله و سلم.

تكشف لنا أخبار حمزة بن عبد المطلب أنه كان شديد التعلق بابن أخيه محمد بن عبد اللّه، والرعاية له، والدفاع عنه إذا مسّه سوء من أحد، والاستجابة لمطالبه وتلبية رغباته على أتم الاستعداد وعلى جناح السرعة بالإرادة والتصميم، ودون تردد أو إحجام.

فهو عمّ محمدصلى الله عليه و آله و سلم، وأخوه فى الرضاعة، فقد كتب اليعقوبى عن مولد الرسولصلى الله عليه و آله و سلم: «فكان أول لبن شربه بعد أمه لبن ثويبة مولاة أبى لهب. وقد أرضعت ثويبة هذه حمزة وجعفر بن أبى طالب، وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى ...» (۳)، وكان أكبر من رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم بأربع سنين وقيل سنتين (۴).

۱- ۱ حمزة أسد اللّه ورسوله- جميل إبراهيمص ۲۵- ۲۶.

۲- ۲ حمزة أسد اللّه ورسوله- جميل إبراهيمص ۲۶.

۳- ۳ تاريخ اليعقوبى ۲: ۹.

۴- ۴ ذخائر العقبيص ۱۷۲.

ص: ۲۰۴

وكان حمزة كما بيّنا سابقاً، يعرف ويشعر بعظمة مكانة ابن أخيه محمدصلى الله عليه و آله و سلم وكماله، وكان على بينةٍ من حقيقة أمره، ومعرفة جوهره، وصفاته الجيدة، وكانت رابطة حمزة بمحمدصلى الله عليه و آله و سلم رابطة عمومة وأخوة وصداقة متفاعلة ببعض، ذلك أن الرسول وحمزة كانا من جيل اجتماعى واحد، وسن متقاربة، نشأ كل واحد منهم مع الآخر. وكانت تخيم عليهما عائلة عبد المطلب المعروفة، وقد تآخياً فى ظل هذه العائلة الطيبة، منذ المراحل المبكرة من حياتهما وسارا معاً على الدرب، من الخطوات الأولى.

اشترك محمدصلى الله عليه و آله و سلم وحمزة بنشأتهما الأولى فى أرفع بيوتات العرب فى قريش فى السيادة والكرم والحلم والشجاعة والمنزلة الرفيعة، فمحمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، كلاهما يشتركان بالاعتزاز بهاذ الفضل الذى رسمه عبد المطلب وحاز به فى المجتمع، فهو سيد بطحاء مكة وزعيم قريش بلا منافس.

وقد اكسب الزمن تاريخ هذه العائلة الذى ينتمى إليه كل من محمدصلى الله عليه و آله و سلم وحمزة بالتجارب الواسعة فى الحياة والتبصر فى فهم شؤون المجتمع. وقد استمرت العلاقات القائمة بين الرسولصلى الله عليه و آله و سلم وحمزة على مدى الأيام وهى تزداد قوة على قوة، وتوثقت أكثر فأكثر بعد انضمام حمزة للمسلمين وإعلان إسلامه. فكانت علاقتهما على هذا الأساس قائمة على المصير المشترك والمسؤولية الواعية، وعلى التضحية من أجل المبادئ العليا، وهكذا سجّل التاريخ فى لوحاته المجيدة لكل منهما المواقف المشرفة والأدوار البطولية الخالدة بأحرف من نور.

إسلام حمزة فى الميزان

إن إعلان إسلام حمزة بن عبد المطلب يعدُّ نصراً عظيماً للإسلام

ص: ۲۰۵

والمسلمين فهو ممن أعزّ اللَّه به الإسلام، وكان موقفه مع الرسولصلى الله عليه و آله و سلم والمسلمين قبل إسلامه موقفاً سليماً وطبيعياً ... حيث لم يسجل عليه التاريخ أيـة بادرة سلبية، أو تشنجاً يشم منه رائحه العناد والمعارضة ضد الدعوة الإسلامية الأولى ... بل بالعكس كان يحب الرسولصلى الله عليه و آله و سلم، ولم يتغير عليه، ولقد دافع عنه وعن المسلمين ضد أبى جهل بل ضرب أبا جهل أمام الملأ وكان ذلك قبل أن يسلم حمزة.

وقد دُرس الوضع الجديد المتمثل بإسلام حمزة رضى الله عنه، ووجدوا بأن إسلام حمزة رضى الله عنه فتحصفحة جديدة رائعة فى تاريخ الدعوة، وفسح المجال الرحب لرغبة جماعات للانضمام إلى هذا الدين الجديد، لذلك قام المشركون بوضع استراتيجية جديدة، وهى إعلان الحرب الأهلية والنفسية والاقتصادية، لإلحاق الأذى بالمسلمين، وتعذيبهم، وفرض المضايقات المختلفة عليهم، وإثارة الأراجيف الكاذبة ضدهم، وسبيهم ومحاربة مصالحهم وإثارة النزاعات فى وجوههم، وقد عرف حمزة ما تحملة الأوضاع الجديدة من نتائج حاسمة، وكان مثال المجاهد الصبور.

ملازمة حمزة للرسول وعدم هجرته إلى الحبشة:

لما أصرت قريش على مناصبة النبيصلى الله عليه و آله و سلم ومن معه العداء، أذن الرسولصلى الله عليه و آله و سلم لبعض المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، فقد جاء فى كتاب تاريخ العيقوبى: «ولما رأى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب، وما هو فيه من الأمن، بمنع أبى طالب عمّه إياه، قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى الحبشة، إلى النجاشى، فإنه يحسن الجوار، فخرج فى المرة الأولى اثنا عشر رجلًا وفى الثانية سبعون رجلًا، سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأوائل، فكان لهم

ص: ۲۰۶

عند النجاشی منزلة، وكان يرسل إلى جعفر فيسأله عما يريد ... الخ» (۱) .. «وأقام المسلمون بأرض الحبشة، حتى ولد لهم أولاد، وجميع أولاد جعفر ولدوا بأرض الحبشة، ولم يزالوا بها بأمن وسلام، واسم النجاشی» (۲).

وقد بقی حمزة بن عبد المطلب رضی الله عنه فی مكّة ملازماً للرسولصلی الله علیه و آله و سلم يتحمل القسط الأكبر من العذاب والقسوة التی وجهتها قريش للرسولصلی الله علیه و آله و سلم ولم يهاجر إلى الحبشة، وكان سلاحه الإيمان باللّه والصبر والثبات.

حمزة والهجرة إلى المدينة:

بعدما نال المسلمون أنواع العذاب والمقاومة وصنوف الضغوط المليئة بالقسوة والعنف والإحجاف والعناد من المشركين، أمر الرسولصلی الله علیه و آله و سلم المسلمين بالهجرة من مكة إلى المدينة، وكان حمزة ممن استجاب لأمر النبيصلی الله علیه و آله و سلم، وهاجر إلى المدينة تاركاً مسقط رأسه مكة، ما دامت المسألة تتعلق بالمبدإ والعقيدة.

وقد اختلفت الروايات التاريخية فی منزل حمزة بن عبد المطلب فی المدينة بعد هجرته من مكة، فبعض الروايات تقول إنه نزل على كلثوم بن الهدم والأخرى تقول على سعد بن خثيمة، وغيرها تقول على غير هؤلاء المذكورين.

وقد ورد حول هنا الموضوع فی الطبقات الكبرى لابن سعد قال «أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا محمد بنصالح عن عمران بن مناح، قال: لما هاجر حمزة بن عبد المطلب إلى المدينة نزل على كلثوم بن الهدم، قال محمد بنصالح:

وقال عاصم بن عمر بن قتادة: نزل على سعد بن خثيمة» (۳).

وورد عن الموضوع نفسه فی السيرة النبوية لابن هشام عن ابن إسحاق قال: «قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرشد كناز بن حِصن. قال ابن هشام: ويقال: هو ابن حُصين. قال ابن إسحاق: وابنه

۱- ۱ تاريخ اليعقوبی ۲: ۲۹.

۲- ۲ تاريخ اليعقوبی ۲: ۳۰.

۳- ۳ الطبقات الكبرى لابن سعد ۳ ق ۱: ۴.

ص: ۲۰۷

مرشد الفُنويان، حليف حمزة بن عبد المطلب، وأَنَسةُ، وبكشة، موليا رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء، ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة أخى بنى النجار، كل ذلك، يقال» (۱).

شخصية حمزة العسكرية:

يعود سبب شجاعته إلى عاملين رئيسيين، أولهماصفاته البدنية اللآئقة، والثانى الصفات المعنوية العالية التى كانت تتوفر فى جوهر شخصيته ... فعن العامل الأول ورد فى طبقات ابن سعد عنصفاته البدنية: بأنه ... «كان رجلًا ليس بالطويل ولا بالقصير» (۲). وتعتبر هذه الصفة البدنية من الصفات التى يمتاز بها أكثر رجال العرب والعسكريون الشجعان المقاتلون الأشداء.

وأما بالنسبة للصفات المعنوية وهى العامل الثانى، فقد كان حمزة بن عبد المطلب قوياً جلداً فى الحروب، لا يعرف التراجع. واثق فى نفسه أثناء القتال، وعرف عنه فى الحروب أنه ذلك المجاهد الصبور وكان يقاتل بسيفين كما فعل ذلك فى معركة أحد وبشهادة الصحابة عنه. فقد ورد فى كتاب سير أعلام النبلاء للذهبى قال: عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق، عن سعد بن أبى وقاص: «كان حمزة يقاتل يوم أحد بسيفين ويقول: أنا اسد اللَّه» (رواه يونس بن بكير عن ابن عون عن عمير مسترسلًا) (۳). وخلاصة القول كانت شخصية حمزة العسكرية متكاملة ومبنية على الثقة بالنفس والإقدام فى تنفيذ الواجب بإتقان تام، وإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء.

مشاركة حمزة فى الغزوات الأولى:

كان حمزة عسكرياً فذاً وجندياً ماهراً فى القتال، يحارب ويجاهد تحت

۱- ۱ السيرة النبوية لابن هشام ۲.

۲- ۲ الطبقات الكبرى لابن سعد ۳ ق ۱: ۴- ۵.

۳- ۳ سير اعلام النبلاء- الذهبى ۱: ۱۳۱.

ص: ۲۰۸

قيادة الرسولصلى الله عليه و آله و سلم، وقد شارك فى الغزوات الأولى بعد هجرته من مكة إلى المدينة، ابتداءً من رئاسته لأول سريه غزاها، إلى مشاركته فى معركة أحد والتى نال فيها شرف الاستشهاد، وقد أجمع المؤرخون وكتّاب السير على مشاركته الفعّالة ومساهمته البارعة فى المشاهد الأولى تحت زعامة الرسولصلى الله عليه و آله و سلم، ولم يورد المؤرخون اسم حمزةصراحة فى هذه الغزوات، وإنما ذكروه فى بعضها بشكلصريح وتارة أخرى يلمّحون إلى اسمه بصورة غير مباشرة. وكان لحمزة البطل الدور البارز والفعال فى هذه الغزوات، فقد أبديصنوف الشجاعة والإقدام والإخلاص للّهولرسوله ولعقيدته (۱).

سرية حمزة بن عبد المطلب:

أجمع المؤرخون وكتّاب السير والمغازى الأولى على أن أول سرية عقدها رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم كانت لحمزة بن عبد المطلب، ووصل حمزة بهذه السرية إلى سيف البحر فى ثلاثين راكباً «يعترض عير قريش» وهى منحدرة إلى مكة، وقد جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام فى ثلاثمائة راكب، فانصرف ولم يكن بينهم قتال ... قال محمد بن عمر: هو الخبر المجمع عليه عندنا أن أول لواء عقده رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم لحمزة بن عبد المطلب» (۲). وقد جاء فى تاريخ اليعقوبى عن هذه الغزوة فقال: «وأقام رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، يتلوّم ويتهيأ للقتال حتى أنزل عزّ وجل:

«أُذن للذين يقاتلونَ بأنهم ظُلموا وإن اللّهَ على نصرهم لقدير» (۳)

والآية الأخرى. قال: «فقاتِل فى سبيل اللّه لا تُكلّفُ إلّانفسَكَ» (۴)

إلى آخر الآية. فكان الرجل من المؤمنين يُعدُّ بعشرة من المشركين، حتى أنزل عزّ وجل «الآن خفَّف اللّهُ عنكم وعَلِمَ أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائةصابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين ...» (۵)

وأنزل عزّ وجل سيفاً من السماء له غمد، فقال له

۱- ۱ المدائح النبوية- هاشم الخطيبص ۸۴- ۸۵.

۲- ۲ الطبقات الكبرى لابن سعد ۳ ق ۱: ۴.

۳- ۳ الحج: ۳۹.

۴- ۴ النساء: ۸۴.

۵- ۵ الأنفال: ۶۶.

ص: ۲۰۹

جبرئيل: ربک يأمرک أن تقاتل بهذا السيف قومک حتى يقولوا: لا إله إلّااللّه، وأنک رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، فإذا فعلوا ذلک حرمت دماؤهم وأموالهم، فكانت أول سريه سارت هى لحمزة بن عبد المطلب (۱). ويقول المداينى: «إن أول سرية بعثها رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم. لحمزة بن عبد المطلب فى ربيع الأول من سنة اثنين إلى سيف البحر من أرض جهينة [وسيف البحر يعنى ساحله] أخرجه أبو عمر وصاحب الصفوة ولفظة أول لواء عقده رسول اللّه لحمزة حيث قدم المدينة» (۲).

مقتل حمزة بن عبد المطلب:

كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بشدة، وكان يحارب بيقين، وقد قُتل بعد أن قتل رجالًا من قريش، حيث «رماه وحشى، عبد لجبير بن مطعم فسقط ومثلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقت عن كبده فأخذت منه قطعة فلاكتها، وجدعت أنفه، فجزع عليه الرسولصلى الله عليه و آله و سلم جزعاً شديداً وقال: لن أصاب بمثلك، وكبّر عليه خمس وسبعين تكبيرة» (۳).

جاء فى السيرة النبوية لابن هشام عن وحشى فقال: «ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشى، يقذف بحربة له قذف الحبشة، قلّما يخطئ بها، فقال له: أخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمدصلى الله عليه و آله و سلم بعمّى وطعيمة بن عدى، فأنت عتيق» (۴).

وهكذا خرج وحشى مع رجال قريش ومعهم بعض النسوة وكانت «هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مرّ بها، قالت: ويها أبا دسمة اشف واستشف، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بجبل بيطن السّبخة من قناة على شفير الوداى، مقابل المدينة» (۵).

وقد تكلم وحشى عن قتل حمزة، كما جاء فى السيرة النبوية لابن هشام

۱- ۱ تاريخ اليعقوبى ۲:ص ۴۴.

۲- ۲ ذخائر العقبيص ۱۷۶.

۳- ۳ تاريخ العقبى ۲: ۴۷.

۴- ۴ السيرة النبوية لابن هشام ق ۲ص ۶۱.

۵- ۵ السيرة لابن هشام ق ۲ص ۶۲.

ص: ۲۱۰

«قال وحشی، غلام جبیر بن مطعم: واللّه أنی لأنظر إلی حمزة یهدّ الناس بسیفه ما یُلیق به شیئاً، مثل الجمل الأورق، إذ تقدمنی إلیه سباع بن عبد العزی، فقال له حمزة: هلم إلیّ یا ابن مقطعة البظور، فضربه ضربة، فکأن ما أخطأ رأسه وهززت حربتی حتی إذا رضیت منها دفعتها علیه، فوقعت فی ثنته حتی خرجت من بین رجلیه، فأقبل نحوی، فغُلِب فوقع، وأمهلتُه حتی إذا مات جئت فأخذت حَربتی، ثم تنمیت إلی العسکر، ولم تکن لی بشیء حاجة غیره» (۱).

مدفن حمزة سید الشهداء رضی الله عنه بأُحد

تاریخ قتل حمزة بن عبد المطلب:

قتل علی رأس اثنین وثلاثین شهراً من الهجرة وکان یوم قتل له سبع

۱- ۱ السیرة لأبن هشام ق ۲ص ۶۹- ۷۰.

ص: ۲۱۱

وخمسون سنة، ودفن هو وابن اخته عبد اللَّه بن جحش فی قبر واحد، وفی روایة کان سنّه یوم قتل ابن تسع وخمسین سنة، وکان أصغر من رسول اللَّه بأربع سنین (۱).

بکاء النبیصلی الله علیه و آله و سلم علی حمزة بن عبد المطلب:

قال ابن هشام: لما وقف رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم علی حمزة قال: لن أصاب بمثلک أبداً وما وقفت موقفاً قط أغیظ لی من هذا.

وعن ابن عباس قال: لما انصرف المشرکون عن قتلی أُحد، انصرف رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم فرأی منظراً ساءه ورأی حمزة قد شقّ بطنه واصطلم [أی قطع] أنفه، وجدعت أذناه، فقال: لولا أن تجزع النساء ویکون سنّة من بعدی لترکته حتی یبعثه اللَّه من بطون السباع والطیر ...، ولأمثلنّ مکانه بسبعین قتیلًا منهم. ثم کفن ببردة غطی بها وجهه وجعل علی رجلیه شیئاً من الأذخر [الأذخر وهو حشیشة طیبة الرائحة] ثم قدم وصلی علیه عشراً ثم جعل یجاء بالرجل وحمزة مکانه حتیصلی علیه سبعینصلاة، وکان عدد القتلی سبعین، فلما فرغ منهم نزل قوله تعالی: «ادع إلی سبیل ربک بالحکمة» (۲)

إلی قوله «واصبر وماصبرک إلّا باللَّه» (۳).

لقد عرفنا من خلال هذه الروایات، مدی حزن الرسولصلی الله علیه و آله و سلم علی مقتل حمزة رضی الله عنه وإحاطة الرسولصلی الله علیه و آله و سلم وأصحابه بالجثمان الطاهر لحمزة وهو مسجی علی الأرض، یبکون علیه.

ذکر غسل الملائکة حمزة رضی الله عنه:

عن الحسن علیه السلام: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم: رأیت حمزة تغسله الملائکة (۴).

۱- ۱ الطبقات لابن سعد ۳: ۴- ۵.

۲- ۲ النحل: ۱۲۵.

۳- ۳ النحل: ۱۲۷.

۴- ۴ ذخائر العقبیص ۱۸۵.

ص: ۲۱۲

ذکر وصیته رضی الله عنه:

قال ابن اسحاق: أوصی حمزة بن عبد المطلب رضی الله عنه فیما بلغنا إلی زید بن حارثة، وکان رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم آخی بینهُ وبینه، أوصی إلیه یوم أحد لما حضر القتال إن حدث به حادث الموت (۱).

حمزة یطلب من الرسولصلی الله علیه و آله و سلم أن یشرّفه اللّه برؤیة جبریل:

کانصلی الله علیه و آله و سلم لا یرفض لحمزة أی طلب، مهما کان نوعه، وقد طلب من الرسول ذات مرة أن یشرفه اللّه برؤیة جبریل علیه السلام علیصورته، وقد ورد الخبر فی الطبقات الکبری لابن سعد حیث نقل:-

«قال: أخبرنا موسی بن إسماعیل، قال أخبرنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبی عمار: أن حمزة بن عبد المطلب، سأل النبیصلی الله علیه و آله و سلم أن یُریه جبریل فیصورته، فقال: «إنک لا تستطیع أن تراه» قال: «بلی». قال: «سأقعد مکانک». قال: فنزل جبریل علی خشبة فی الکعبة کان المشرکون یضعون ثیابهم علیا، إذا طافوا بالبیت، فقال: «أرفع طرفک فانظر» فإذا قدماه مثل الزبرجد الأخضر، فخر مغشیاً علیه» (۲).

ذکر أنه أسد اللّه ورسوله:

عن یحیی بن عبد الرحمن بن أبی لبیبة عن أبیه عن جده قال: قالصلی الله علیه و آله و سلم «والذی نفسی بیده إنه مکتوب عن اللّه عزّ وجلّ فی السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد اللّه وأسد رسوله» وقال ابن هشام: قالصلی الله علیه و آله و سلم «جاءنی جبریل فأخبرنی أن حمزة بن عبد المطلب مکتوب فی أهل السماوات السبع أسد اللّه ورسوله» (۳).

۱- ۱ ذخائر العقبیص ۱۸۵.

۲- ۲ الطبقات لأبن سعد ۳ ق ۱: ۶.

۳- ۳ ذخائر العقبیص ۱۷۶.

ص: ۲۱۳

ذكر أنه خير أعمام النبيصلى الله عليه و آله و سلم:

عن عبد الرحمن بن عابس عن أبيه قال قالصلى الله عليه و آله و سلم «خير أعمامى حمزة» (۱).

ذكر أنه سيد الشهداء:

عن جابر بن عبد اللّه: قالصلى الله عليه و آله و سلم: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر قام ونهاه». وفى رواية «حمزة خير الشهداء».

وعن أبن مسعود قال: قالصلى الله عليه و آله و سلم «ألا أنبئكم بأفضل الشهداء عند اللّه بعد حمزة بن عبد المطلب، قيل: بلى يا رسول اللّه. قال: رجل أتى أميراً جائراً فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فإن هو لم يقتله لم يجر عليه ذنب ما دام حياً، وإن قتله كان أفضل الشهداء عند اللّه بعد حمزة بن عبد المطلب (۲).

شهادة النبيصلى الله عليه و آله و سلم له بالجنة:

قالصلى الله عليه و آله و سلم: «دخلت البارحة الجنة فإذا حمزة مع أصحابه» (۳).

حمزة أحد نجباء الرسولصلى الله عليه و آله و سلم:

فى رواية عن قطر بن خليفة عن كثير النواء، سمعت عبد اللّه بن مالك، سمعت علياً عليه السلام يقول: قالصلى الله عليه و آله و سلم: «لم يكن نبىّ قط إلّاوقد أعطى سبعة نجباء ووزراء، وإنى أعطيت أربعة عشر أحدهم حمزة» (۴).

اعتزاز على بن أبى طالب عليه السلام بعمّه حمزة:

كان على بن أبى طالب عليه السلام يعتزّ جداً بعمه حمزة بن عبد المطلب، وقد سمى

۱- ۱ ذخائر العقبيص ۱۷۶.

۲- ۲ ذخائر العقبيص ۱۷۶.

۳- ۳ ذخائر العقبيص ۱۷۶- ۱۷۷.

۴- ۴ سير أعلام النبلاء الذهبى ۱: ۲۹۵.

ص: ۲۱۴

ابنه الحسن أول الأمر بحمزة من كثرة محبته له، فقد جاء فی باب ذكر تسميتهما الحسن والحسين كانتا بأمر اللّه تعالى». فی كتاب ذخائر العقبی ذلك: «عن علی عليه السلام قال: لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سماه باسم عمه جعفر، قال: فدعانی رسول اللّهصلی الله عليه و آله و سلم وقال: إنی أُمرت أن أغير اسم هذين، فقلت: اللّه ورسوله أعلم، فسماهما حسناً وحسيناً» (۱).

علی لا يفارق ذكر حمزة:

كان علی عليه السلام لا يفارق ذكر اسم عمه حمزة إجلالًا لقدره واعتزازاً به، وقد ورد ذلك فی كتاب ذخائر العقبی فی موضوع: «ذكر برّ علی عليه السلام به- يعنی عمه العباس- ودعائه له». وذلك «عن ابن عباس قال: اعتلّ أبی العباس، فعاده علی عليه السلام، فوجدنی أضبط رجليه، فأخذهما من يدی، وجلس موضعی، وقال:

أنا أحقّ بعمی منك، أن كان اللّه عز وجل قد توفی رسول اللّهصلی الله عليه و آله و سلم، وعمی حمزة وأخی جعفراً، فقد أبقی لی العباس، عمّ الرجلصنو أبيه وبره به كبره بأبيه، اللهم هب لعمی عاقبتك وارفع له درجة، واجعله عندك فی عليين» (۲).

حديث الرسولصلی الله عليه و آله و سلم علی قبر حمزة رضی الله عنه:

ورد فی الطبقات الكبری لابن سعد قال: أخبرنا عبد اللّه بن سلمة بن قعتب، قال: أخبرنا محمد بنصالح بن يزيد بن زيد عن أبی أسيد الساعدی، قال:

أنا مع رسول اللّهصلی الله عليه و آله و سلم علی قبر حمزة، فجعلوا يجرون النمرة، فتنكشف قدماه وبجرونها علی قدميه فينكشف وجهه فقال رسول اللّهصلی الله عليه و آله و سلم: «اجعلوها علی وجهه وجلعوا علی قدميه من هذا الشجر». قال: فرفع رسول اللّهصلی الله عليه و آله و سلم رأسه فإذا أصحابه يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قيل يا رسول اللّه لا نجد لعمك اليوم ثوباً

۱- ۱ ذخائر العقبيص ۱۲۰.

۲- ۲ ذخائر العقبيص ۲۰۲.

ص: ۲۱۵

واحداً يسعه: فقالصلى الله عليه و آله و سلم: «إنه يأتى على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف، فيصيبون رفها مطعماً وملبساً ومركباً أو قال: مراكب، فيكتبون إلى أهلهم هلموا إلينا فإنكم بأرضٍ جرديه، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يصبر لأوانها وشدتها أحد إلّاكنتُ له شفيعاً، وشهيداً يوم القيامة» (۱).

حمزة فى عالم الشعراء:

يحفل الأدب العربى بكثير من القصائد الشعرية عن سيدنا حمزة بن عبد المطلب، أما بشكلصريح أو بالكناية، والأبيات التى قيلت فى حقه موزعه بين رثاءٍ له، أو مفاخره لشجاعته أو ورود اسمه فى المدح النبوى.

فى ذكر أوصافه:

بنوه سراة كهلُهم وشبابُهم تفلّق عنهم بيضة الطائر الصقر قُصىٌّ الذى عادى كنانة كلَّها ورابط بيتَ اللَّه فى العُسر واليُسر

وأبقى رجالًا سادةً غير عُزّل مصاليت أمثال الردينية السُمر

أبو عُتبة المُلقى إلىّ حِباؤه أغرُّ هِجان اللون من نفر غر

وحمزة مثل البدر يهتزّ للندى نقى الثياب والذمام من الغدر (۲) قال ابن اسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب (۳):

أتعرفُ الدارَ عفا رسُمها بعدَكصوبُ المسُبِل الهاطلِ

بين السرّاديح فأُدمانةٍ فمدفع الرّوحاء فى حائلِ

ساءلتُها عن ذاك فاستعجمت لم تدرِ ما مرجوعةُ السائل

دع عنك داراً قد عفا رسمُها وابكِ على حمزة ذى النائل

المالِي الشّيزى إذا أعصفت غبراءُ فى ذى الشّيم الماحل

۱- ۱ الطبقات لابن سعد ۳ ق ۱:ص ۸.

۲- ۲ السيرة النبوية لأبن هشام ق ۱ص ۱۷۴- قصدية حذيفة.

۳- ۳ السيرة النبوية ق ۲ص ۱۵۵- ۱۵۶.

ص: ۲۱۶

أظلمت الأرضُ لفقدانه واسودّ نور القمر الناصل

صلى عليه اللّه فى جنّةٍ عاليةٍ مُكرمة الداخل

كنا نرى حمزة حِرزاً لنا فى كل أمر نابنا نازل

وكان فى الإسلام ذا تُدْرَأ يكفيك فقدَ القاعد الخاذل

غداة جبريل وزيرٌ له نعم وزيرُ الفارس الحامل الهوامش:

مختصر معجم معالم مكة التأريخية

ص:۲۱۷

ص: ۲۱۸

مختصر معجم معالم مكة التأريخية

(۳)

عاتق بن غيث البلادى

الرَّدْم:

يسمى ردم بنى جُمح، ويسمى ردم بنى قُرَاد، قالوا فى سبب تسميته: إنّ بنى جُمح وبنى مُحارِب- وكلاهما من قريش- قد اقتتلوا بمكة، فردمت بنو جُمح على قتلاها هناك فسمى بذلك، فقال أحدهم:

سأحبس عَبْرة وأفيض أخرى إذا جاوزت رَدْم بنى قُراد ومساكن بنى جُمح كانت فى الجانب الجنوبى الغربى من المسجد الحرام، أى يسار من يستقبل الركن اليمانى، وكنت كتبت فى (معجم معالم مكة) هكذا: قلت:

(موضع هذا الردم أول شارع الجودرية مما يلى المعلاه، إذا افترق شارع الجودرية الذى فى نهايته المدعى عن شارع الغَزّة فذلك هو الرَّدْم) غير أنه اتضح الآن أن النصوص لا تنطبق على هذا.

والردوم فى مكة كثيرة، منها: ردم آل عبد اللَّه بن أسيد، قرب أذاخر، كانوا

ص: ۲۱۹

يدفنون موتاهم فيه، وفيه دفن عبد اللَّه بن عمر، زمن تولى الحجاج على مكة.

وردم الحذائين: كان قرب المروة.

ولم تعد هذه الردوم بالأهمية التى تستحق الاستقصاء والتمحيص، ولكن لمجرد الذكرى، والذى لا يسر فى النصوص الجغرافية فى تواريخ مكة المكرمة أنها مشوشة، وقد يرد المعلم الواحد فى مكانين مختلفين، وقد يحددون بيت فلان، وبالأراكة والمأجل، ونحو ذلك، وهم معذورون، فهم يكتبون فى مدينة تتغير المسميات فيها من جيل إلى جيل.

وردوم أخرى، منها: ردم الحزامية، وردم عمر، وردم الزبير، وردم السويقة، وغيرها. وقد أفاض فيها الأزرقى فى أخبار مكة.

ريع الرسام: انظر كُدَىً.

ريع الحجون: انظر: الحجون، وكَدَاء.

ريع الكحل: هو الريع الذى يوصل بين وسط العتيبية والزاهر، طريقه من الزاهر فحى العتيبية.

فريع الحجون، ندباً لا عوج فيه.

سَرِف:

بفتح السين وكسر الراء وآخره فاء: وادٍ كبير من روافد مر الظهران، يسيل من جبل أظلم وما حوله، وفيه هناك الجعرانة، ثم ينحدر فيسمى وادى الزاوية، نسبة إلى زاوية أقامها السنوسى هناك وعليها مزرعة، ثم ينحدر فيسمى وادى الوسيعة، وفيه زراعة على آلات الضخ، ثم يقطعه طريق مكة إلى المدينة شمال مكة على اثنى عشر كيلًا، ثم يصب فى مرّ الظَّهْران عند دف خُزَاعة، فيه منهل النوارية على الطريق، وفيه قريتان لقبيلة بنى لحيان التى تسمى ديارها اللحيانية،

ص: ۲۲۰

وهى الأرض الممتدة بين مكة ومر الظهران، وهذا المكان من سرف- حيث يقطعه الطريق- قد تسور أخيراً، وقامت فيه عمارات بعضها يرتفع عدة طوابق، فصارت مدينة حديثة تسمى النوارية.

وفيه- أى حيث يقطعه الطريق- قبر السيدة ميمونة بنت الحارث أُمّ المؤمنين، وفى هذا المكان بنى بها رسول اللَّه (صلى الله عليه و آله و سلم) سنة سبع للهجرة، ثم ماتت بنفس المكان. ويبلغ وادى سرف «۳۶» كيلًا طولًا، كلّه لقبيلة لحيان.

وفى سرف يقول عبيد اللَّه بن قيس الرُّقَيَّات (۱):

لم تكلِّمْ بالجَلْهتَين الرسومُ! حادث عهد أهلها أم قديمُ؟

سرف منزل لسَلْمةَ، فالظَّهْ - رانُ منازل فالقصيمُ وقال قيس بن ذَرِيح الكنانى (۲):

الحمد للَّهقد أمست مجاورةً أهل العقيق وأمسينا على سَرِفِ

حى يمانون والبطحاءُ منزلنا هذا لعمرك شكل غير مؤتلفِ

قد كنت آليتُ جهداً لا- أفارقها أفٌّ لأكثر ذاك القيلِ والحلفِ حتى تكنفنى الواشون فافتلت لا تأمَنْ أبداً إفلاتَ مُكْتَنفِ وقوله: فالقصيم. هكذا نص الأصل، ولا أعلم معناه.

سَلْع مكَّة:

بفتح السين المهملة وسكون اللام، ثم عين مهملة: جبل غير عظيم الارتفاع، يقع شرق مكة يظله العشى جبل الطارقى، ويصفق فيه من الشرق سيل وادى عُرَنة، إذا كنت عند علمى طريق نخلة اليمانية، رأيت سلعاً جنوباً رأى العين، وقبل مدة عثر أحدهم على نقش فى هذا الجبل يعود تاريخه إليصدر الإسلام، نشرت ذلك مجلة المنهل، ولكن ذلك الباحث سماه «السلوع» وهذا ليس

۱- ۱ معجم البلدان سرف

۲- ۲ معجم ما استعجم سرف

ص: ۲۲۱

غريباً فعادة العرب من زمن بعيد تثنية المفرد وجمعه مع ما حوله، إلا أن هذا غالباً فى الشعر. وكثير من الناس لا يعرف سوى سلع المدينة، فسلع المدينة شهرته كشهرة المدينة إياها غير أن سَلْعاً هذا غير مجهول ولا خامل الذكر فى شهر هذيل.

وهذا البريق الهذلى يقول:

سقى الرحمن حزم ينابعات من الجوزاءِ أنواءً غزارا

بمرتجزٍ كأنَّ على ذُرَاه ركاب الشام يحملن البهارا

يحط العُصْم من أكناف شِـعرٍ ولم يترك بذى سَلْع جمارا وتجدر الملاحظة أن فى فصل الجوزاء التى ذكرها البريق تكثر الأمطار فى الحجاز وليس هذا إلا بمشيئة مكون الكون. وسَلْع اليوم من ديار قُرَيش، وحدود الحرم على جانبه الغربى، فهو كلّه أو جلّه فى الحل.

شعْب على:

الشعاب فى مكة كثيرة، ذلك أنها منطقة جبلية، ولذا ضرب بشعابها المثل، فقيل (أهل مكة أدرى بشعابها)- والحقيقة أنه ليس كلّ أهل مكة أدرى بشعابها-، ولذا فبإمكانك إضافة هذا المثل أيضاً، وقد ذكرنا الكثير منها فى المعجم (۱). هذا الشعب هو الذى لجأ إليه بنو هاشم عندما تحالفت قريش ضدهم، فعرف بشعب بنى هاشم، ثم بشعب أبى طالب عندماصار عميد البيت الهاشمى.

ثم اشترى فيه أبو يوسف أخو الحجاج الثقفى بيوتاً فعرف الشعب باسم (شعب أبى يوسف). ثم سمى بعد ذلك شعب على، وهو اسمه اليوم، وهو منازل بنى هاشم قبل النبوة، وقد ولد فيه الرسول الأعظمصلوات اللّه عليه، وفيه اليوم فى موضع المولد الشريف (مكتبة مكة المكرمة)، وإذاً فقد أصبح من أوليات

۱- ۱ معجم معالم الحجاز.

ص: ۲۲۲

المواضع التاريخيـة، وذا اسم بارز فى السـيرة. يأتى هذا الشـعب من بين أبى قبيس عن يساره والخنادم عن يمينه فيصب فى بطحاء مكة فيما يعرف اليوم بسوق الليل، فوق المسـجد الحرام بما يقرب من ثلاثمائـة متر، وكانت بئر يَـذُّر- بتشديـد الذال المعجمة- عند مصـبه، فدخلت اليوم فى توسعة شارع الغزَّة، فدم فمها ولم يبق له رسم.

وكـان شـعب على مأهولًـا، ومن أشـدّ أحيـاء مكـة ازدحامـاً، غير أن كـلّ بنيانه أزيل سـنة ۱۴۱۰ ه ليكـون من المرافـق العامـة ومواقف للسيارات بعد التوسعة الجديدة، وبقى مبنى مكتبة مكة ماثلًا منفرداً بعد أن نفلت إلى الزاهر تمهيداً لهدم المحل.

إلّا أن مفاهمات أهل الخير حالت دون هدمه، ويقال: إنه مقترح اليوم أن يكون متحفاً لمكة، وسلامات يا سيد الموالد!

ويقول أبو طالب فى هذا الشعب معاتباً قريشاً: (۱)

جزى اللَّه عنا عبد شمس ونوفلا وتَيماً ومَخْزوماً عُقوقاً ومأثما

بتفريقهم من بعد ودٍّ وأُلفةٍ جماعتنا كيما ينالوا المحارما

كذبتم وربّ البيت نُبْزِى محمداً ولما تروا يوماً لدى الشعب قائما شِعْب الصُّفَىّ:

كذا ذكره الأزرقى، منسوباً إليصفى السباب، وسيأتيصفى السباب، وقرنه فى مواضع أوجبت إيراد شاهد هو:

إذا ما نزلتم حذو نزاعة الشوى بيوت ابن قطر فاحذروا أيها الركبُ وهذا الشـعب مكانه، واللَّه أعلم، بين البياضـية وخطم الحجون مقابل ريع أذاخر من الجنوب الشرقى (۲).

۱- ۱ من قصيدة طويلة فى السيرة النبوية.

۲- ۲ وهذا خلاف لما كتبته فى مؤلفاتى السابقة إذ تبين لى خطل ذلك القول.

ص: ۲۲۳

شِعْب ابن عامر:

ذكره الأزرقى حين قال: ولهم- بنو أسيد- دار الحارث، ودار الحصين اللتان بالمعلاة فى سوق ساعة، عند فوهة شعب ابن عامر، والحصين ابن عبد اللَّه بن خالد بن أَسيد.

أقول: و هذا الشعب يطلق عليه‌اليوم شعب عامر، يصب على الغَزَّة مقابل مسجد الراية، يأتى من الخنادم. وسوق ساعة الذى ذكر فيه، يعرف اليوم بسوق الزِّلّ، لأن أكثر تجارته فى الزل والبسط. وهو منسوب إلى عبد اللَّه بن عامر بن كريز.

شعْب آل قُنْفد (شعبة النور):

قال الأزرقى: شعب آل قنفد: هو الشعب بالذى فيه آل خلف ابن عبد ربه بن السايب مستقبل قصر محمد بن سليمان، وكان يسمى شعب اللئام، وهو قنفد بن زُهَير من بنى أسد بن خُزَيمة، وهو الشعب الذى على يسارك وأنت ذاهب إلى مِنَى من مكة فوق حائط خُرْمان، وفى هذا الشعب مسجد مبنى يقال: إن النبىّ (صلى الله عليه و آله و سلم)صلى فيه، وينزله اليوم فى الموسم الحضارمة (۱).

قلت: هذا الشعب اليوم يسمى الشعبة، وهى تأخذ بسفح جبل المعابدة من الغرب فتمر بينه وبين قرن الغراب (۲) فتصب فى الأبطح مقابلة لتلعة الملاوى من الشمال، ولا يزال المسجد المنسوب إلى رسول اللَّه قائماً فى ذلك الشعب داخلًا بعيداً عن الطريق العام يصلّى فيه، ونحن اليوم نسميها أيضاً شعبة الحرث: لأن الأشراف بنى الحارث ينزلون هذه الشعبة.

الصِّفَاح:

كجمعصفحة، والصفحة تطلق فى الحجاز على الأرض البيضاء الملساء،

۱- ۱ أخبار مكة ۲: ۲۸۶.

۲- ۲ كان فى النصصفى السباب وهذا أصح.

ص: ۲۲۴

وهذا الاسم يشهد أنها لغة لهم قديمة أصيلة: أرض خارج حدود الحرم على محجة العراق، إذا خرجت من أنصاب الحرم متجاوزاً ثنية خَلّ سرت فيها، وهى جَرَد أبيض سيله جنوباً إلى المُغَمّس ثم عُرَنة، ويشرف عليها من الشمال جبل السِّتَار ويغذيها بقسم كبير من مياهه. خرج الحُسَين بن علىّ رضى اللّه عنهما يريد العراق، فى خرجته التى قتل فيها، فلقيه الفرزدق الشاعر فعذله ونصحه قائلًا: إن قلوب الناس معك ولكن سيوفهم مع بنى أُميّة، ولكن الحُسين رضى الله عنه لم يقبل، فقال الفرزدق: (۱)

لقيتُ الحسينَ بأرضِ الصِّفَاحِ عليه اليَلَامقُ والدُّرقُ وقال ابن مقبل يرثى عثمان بن عفان:

عفا بطحان من سُليمى فيثربُ فملقى الرحال من مِنىً فالُمحصَّبُ

فعسفان سرّ السرّ، كلّ ثنية بعسفان يأويها مع الليل مِقْنَبُ

فنعف وداعٍ فالصِّفَاح فمكة فليس بها إلّادماءٌ ومَحْربُ وقال عمر بن أبى ربيعة: (۲)

قامت تراءى بالصِّفَاحِ كأنّما عمداً تريد لنا بذاك ضرار وتركنا شواهد غير ما ذكرنا للاختصار وقد أفضنا القول عن الصفاح فى (معجم معالم الحجاز).

كتب هذا النص سنة ۱۴۰۰ ه ثم ما لبث هذا البياض أن خطط فقامت فيه مدينة حديثة ذات فلل جميلة، ولها بلدية وأسواق، وهى متسعة بحيث دخل بعض المغمس فيها، وسميت (الشرائع الجديدة) وليست من الشرائع فى شىء، ولكن المخططين أرادوا اسم الشرائع بشهرته وموسيقاه. فصار لدينا من ضواحى مكة بلد ثلاث تسمى الشرائع: الشرائع القديمة (حنين) (۳)، وشرائع المجاهدين، والشرائع الجديدة.

۱- ۱ معجم البلدان الصفاح

۲- ۲ ديوانه: ۱۱۷.

۳- ۳ انظر: معجم معالم الحجاز.

ص: ۲۲۵

عُرَنَة: «۱» بضم العين المهملة والراء ثم نون فهاء ..

وادٍ من كبار أودية مكة يتكون رأسه من شعبتين يمانية وتسمى البجيدى:

وادٍ يلى جبل كبكب من الشمال، فيه نزل وزارعه على الضَّحّ الآلى، وأهله ذوو جازان الأشراف، وبه مركز إمارة يتبع قائمقام العاصمة، وشمالية وهى وادى حُنَين ويعرف اليوم بوادى الشرائع يشترك فيه الأشراف وهُذَيل، وأسفله واقع فى حدود قريش، فإذا التقت الشعبتان على مرءى من عَلَمى طريق نجد شرقاً، سمى الوادى عُرَنة، وكلّه واقع فى ديار قريش، وجلّ الأرض التى يسير فيها إلى عرفة تسمى المُغَمّس، ومن روافده: ذو مجاز يأتيه من كبكب، تنظر إليه وأنت عند العلمين المتقدم ذكرهما ولا- زالت آثار سوقه ترى بصعوبة.

وقد افضت فى تفاصيله فى كتابى (أودية مكة) وفيه بحث فى مجلة المنهل، ويتجه عُرَنة إلى الجنوب بين كبكب على يساره وجبال مكة على يمينه، فيمر بطرف عرفة من الغرب حيث يكون نَمِرة بعضه فى عُرَنَة (بالنون) وتوهم بعض الباحثين وأهل المناسك أن عُرَنة- بالنون- هو فقط المكان الذى فيه المسجد ..

وهذا خطأ، من أجله توسعنا فى وصف عرفة. فإذا تجاوز عرفة- بالفاء- أخذ جنوباً غربياً فيأتيه من اليسار وادى نَعْمان وفى التقائهما تقع عين العابدية وبعض العامة يطلق اسم وادى العابدية على وادى نعمان هناك، وقد توقفت عين العابدية الآن، لأن ارتوازات ضربت قريباً منها، فنضب ماؤها. فإذا اجتمع الواديان أطلق اسم عُرَنة- بالنون- على الوادى كلّه فيمر جنوب مكة على أحد عشر كيلًا، ويعتبر منذ تجاوزه عرفة حتى جبال لبينات جنوب غربى مكة، حداً للحرم فى هذه الناحية الواسعة: ثم يصب فى البحر، قال أحدهم:

أبكاكَ دون الشِّعْب من عَرَفَات بمدفع آياتٍ إلى عُرَنَاتٍ وقيل فى أبى الكِنّات المكى المغنى:

أحسن الناس فأعلموه غناءً رجلٌ من بنى أبى الكنّات

حين غَنّى لنا ما شاءَ غناء يهيج لى اللذات

عفت الدار فالهضاب اللواتى بين (توز) فملتقى عُرنَات ولعل «توز» هناصوابها «ثور» بالمثلثة وآخره راء.

العَيْرة:

بلفظ أنثى العير: جبل بمكة ينحنى عليه المنحنى، بين الحُجُون ومِنىً، يدعه المتجه إلى منى يمينه ويقابله من الشمال جبل شاهق يسمى اليوم جبل العابدة، وكان يعرف بسقر وسمى أبا دُلامة، وقيل كان يسمى العَيْر فيجمع من العيرة السابقة، فيقال: العَيْرتان، ولا يقال العيران، أما العيرة فتعرف اليوم بجبل الشَّيْبى، لبئر حفرها أحد بنى شيبة بسفح الجبل من مطلع الشمس، قال الحارث بن خالد المخزومى:

أقوَى من فُطيمة الحَزمُ فالعَيْرتان فأوْحشَ الخَطْمُ الحزم: مكان غشاه اليوم العمران بظل جبل المعابدة السابق ذكره من مطلع الشمس (۱). والخطم: خطم الحجون عندما يكنع فى الأبطح (۲). والأبطح يسمى اليوم- هناك-: الخريق، بين الخرمانية إلى مقبرة الحُجُون.

وورد اسم عير فى لامية أبى طالب:

وَعَيرٍ ومن أرسى ثَبيراً مكانه وراقٍ ليَرْقَى فى حِراءٍ ونازل وخاض المتقدّمون فى عير هذا وعير المدينة.

انظرهما فى الجزء السادس من معجم معالم الحجاز. وقال أحدهم:

إلى بئر مَيْمون إلى العَيْرة التى بها ازدحم الحُجَّاج بين المشاعر وبئر ميمون كانت قرب الخرمانية، التى أقيم فيها اليوم مبنى أمانة العاصمة، وقد تقدم بحثها بإسهاب.

الهوامش:

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنوّرة الميمونة

۱- ۱ دخل اليوم فى حى الخنساء.

۲- ۲ هـذا الخطم فيما يبـدو هو النعف من جبال الخنادم الـذى بطرفه راس جسـر الحجون، مقابل المقبرة القديمـة من الجنوب، وهـذا خلاف ما قررته سابقاً، وهذا أصح.

ص:۲۲۶

ص:۲۲۷

ص: ۲۲۸

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنوّرة الميمونة

(۳)

عبد الرحمن خويلد

۱۳- الزبية (الحفرة)

التى سقطت فيها دابة النبيّصلى الله عليه و آله و سلم فى غزوة أُحد.

دو فصلنامه «ميقات الحج»،ص: ۲۲۹

تقع هذه الحفرة خلف قبور شهداء أُحد، وتبعد عنها بمائة متر بالاتّجاه إلى الشمال، وهى البقعة الوحيدة التى لم تُسفّل من بين المساحة الواسعة المسفّلة، والتى يمرّ منها المتّجه إلى جبل أُحد.

والزُبية هى المَصْيَدة التى حفرها المشركون فى طريق دابّة النبيّصلى الله عليه و آله و سلم، وغطّوها بالقَش حتى وقعت فيها دابّتهصلى الله عليه و آله و سلم، ثمّ أصابه عُتبة فجرح شفته السفلى، وكسر رباعيته، ثمّ شجّه ابن قمئة وابن شهاب، فسارع بعض الصحابة ورفعوه منها (۱).

وقد كان فى مكان هذه الحفرة مسجدٌصغيرٌ يُسمّى مسجد الثنايا أو قبة الثنايا، وسُمّى بذلك لأنّه كُسرت فيه ثنايا النبيصلى الله عليه و آله و سلم فى غزوة أُحد. وقد تهدّمت القبة وأُزيل المسجد، وبقيت- كما هى عليه الآن- (۲) أرضاً خالية.

۱۴- مسجد الفسح (المسجد المسوّر)

۱- ۱ سيرة ابن هشام ۲: ۲۱؛ والدرّ الثمين: ۱۷۷- ۱۷۸.

۲- ۲ تاريخ معالم المدينة المنوّرة: ۱۲۷.

ص: ۲۲۹

ص: ۲۳۰

مكان هذا المسجد إلى الشمال من قبور شهداء أُحد ومن الزبيهٔ، ويقع على سفح جبل أُحد، وكان ملاصقاً له، وهو على يمين الذاهب إلى الشِعب الذى فيه المهراس (۱)، ويبعد عنه بمسافهٔ تقدّر بمائهٔ وخمسين متراً.

وهو مسجدصغير بُنى بالحجارهٔ منذ زمن الأتراك، وسوِّر بأسلاك حديديهٔ، حتى عُرف عند أغلب الساكنين هناك بالمسجد المسوّر.

وقد توهّم الأُستاذ غالى الشنقيطيصاحب كتاب الدرّ الثمين (۲)بقوله:

«وقد بُنى فى عهد المملكهٔ العربيهٔ السعوديهٔ بناءً حديثاً وجميلًا». فقد زرته فى شهر رجب عام ۱۴۱۲ ه، ووجدته على حالته السابقهٔ، ولا زال السور الحديدى محيطاً به.

ويظهر أنّه لم يره رأى العين المجرّدهٔ، لأنّ المتبقى منه جدار واحد فقط، وهو الذى فيه المحراب، وأنّه رأى مسجداً حديثاً وظنّه هو، والواقع أنّ المسجد الذى بُنى بناءً حديثاً هو مسجد عبد اللَّه المفوز، وسألتُ أحد ساكنى المحلهٔ قديماً بقولى:

هل كان مكان هذا المسجد (مسجد عبد اللَّه المفوز) بناءً قديماً من الحجر؟ فكان جوابه: بعدم وجود أىّ حجر فى مكانه، وأنّ أصله أرض بيضاء.

وسبب تسميته بمسجد الفسح قيل: (۳) إنّ النبيّصلى الله عليه و آله و سلمصلّى فيه بعد انتهاء معركهٔ أُحدصلاتى الظهر والعصر جلوساً، وصلّى الصحابهٔ معه جلوساً، وذلك لما أُجهدوا من الجراح، ونظراً لضيق مساحته لم يجد بعضهم محلًا للصلاهٔ فيه فنزل قوله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسَّحوا فى المجالس فافسحوا يفسحِ اللَّه لكم» (۴).

وقيل: (۵) إنّ هذه الآيهٔ نزلت بسبب ضيق المكان فى المسجد النبوى، وكان يوم جمعهٔ. واللَّه أعلم.

ويغلب على هذا المسجد اسم مسجد الفسح منذ القِدم، وهو مشهور

۱- ۱ وهو شقّ فى جبل أُحد، والذى سيأتى بيانه لاحقاً إن شاء اللَّه تعالى.

۲- ۲ الدر الثمين: ۱۷۸.

۳- ۳ الدرّ المنثور: ۱۷۸.

۴- ۴ المجادلهٔ ۵۸: ۱۱.

۵- ۵ أسباب النزول: ۲۷۶.

ص: ۲۳۱

بذلك (۱).

۱۵- المهراس

هو نَقْر فی جبل أُحد، کان یرشح ماءً، وبعدصعود النبیّصلی الله علیه و آله و سلم إلیه غُسل عن وجهه الدم والجراح التی لحقت به بسبب إسقاط دابته فی الزبیة التی حفرها الکفار- کما مرّ سابقاً- ثمّ نزفت جراحه مرّة أُخری، فجاءت ابنته فاطمة الزهراء رضی اللّه عنها وأحرقت قطعة من حصیر ثمّ أخذت رمادها وکمّدت بها جراح أبیهاصلی الله علیه و آله و سلم فتوقف الدم (۲).

ویبعد المهراس عن قبور شهداء أُحد بمسافة تقدّر بثمانمائة متر، ومکانه شمال مسجد الفسح وأعلی منه قلیلًا.

۱- ۱ وفاء الوفاء ۳: ۸۴۸؛ والدرّ المنثور: ۱۷۸.

۲- ۲ الدرّ الثمین: ۱۷۸؛ وجاء فی سیرة ابن هشام ۳: ۲۶ وغُسل عن وجهه الدم وصب علی رأسه وهو یقول: غضب اللّه علی مَن دمی وجه نبیه.

ص: ۲۳۲

ويرتاد المهراس بعض الزوّار للصلاة فى داخله.

۱۶- قبر النبىّ هارون عليه السلام

يقع هذا القبر على جبل أُحد فى الجهة الشمالية الغربية منه، وقد أُحيط ببناء شبيه بالقلعة، له باب رئيسى، ومنفذانصغيران لتسرب ماء المطر منهما، وتوجد فوق القبر كتابات قديمة، وإلى جانبه غرف، وفى الوسط ساحةصغيرة، ويبعد عن قبور شهداء أُحد بحوالى خمسة كيلومترات ومائتى متر، ويسهل الوصول إليه بالسير بمحاذاة جبل أُحد، وهو قبل محطة المهندس للبنزين- والتى تقع على طريق الخواجات (غير المسلمين)، وتقابل نهاية جبل أُحد- بمسافة تقدّر بأربعمائة متر.

وفى ذلك المكان شِعب يُعرف بشعب هارون (۱).

۱- ۱ وفاء الوفاء ۳: ۹۲۰.

ص: ۲۳۳

وروى ابن شبه (۱) عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، قال: (خرج موسى وهارون حاجّيْن أو معتمرين، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهود، فنزلا أُحداً وهارون مريض، فحفر له موسى قبراً بأُحد وقال:

يا أخى أدخل فيه فإنّك ميّت، فدخل فيه، فلمّا دخل قبضه اللّه، فحثا موسى عليه التراب).

۱۷- مسجد الكاتبية

يقع هذا المسجد فى بداية طريق قباء الطالع فى أول شارع من الجهة اليمنى بعد جسر الصافية، وخلف الإشارة الضوئية الأولى، وهو قريب من مجمّع جوازات المدينة من جهته الشرقية.

وبناء هذا المسجد عثمانى، ويوجد فى جهته الجنوبية قبرصحابى جليل من

۱- ۱ تاريخ المدينة المنورة ۱: ۸۵- ۸۶.

ص: ۲۳۴

ويظهر مكان القبر واضحاً، وهو الربوة المرتفعة تحت الشجرة

شهداء أُحد اسمه (رافع بن مالك الزراقى) (۱)، وإنّ موقع القبر الآن على يسار المحراب من الخارج، وهو ملاصق للمسجد، ومكانه بارز ومرتفع، ومبنىّ من الحجارة السوداء، ومطلىٌّ بالاسمنت الأبيض.

۱۸- مسجد المغيسلة

مكان هذا المسجد إلى الجنوب الغربى من مسجد الكاتبية، وفى الجهة الغربية من متوسطة سعد بن الربيع للبنين، ويغلب على المحلة التى يقع فيها هذا المسجد اسم المالحة.

وهو على ربوة مرتفعة محاصرة بالمنازل، وقد جُدّد بناؤه حديثاً.

ويسمى هذا المسجد قديماً بمسجد بنى دينار بن النجار من الخزرج، روى

۱- ۱ هو رافع بن مالك بن عامر بن زريق، من بنى الخزرج، ويُكنّى بأبى مالك، وله من الأولاد رفاعة وخلّاد، وقد شهد غزوة بدر، وكان من الكَمَلَة، والكامل فى الجاهلية هو الذى يُحسن الكتابة والرمى والعوم، ينظر: عنوان النجابة فى معرفة مَن مات من الصحابة: ۱۰۶؛ وتاريخ معالم المدينة: ۱۴۲.

ص: ۲۳۵

-صورتين-

ص: ۲۳۶

ابن شبه (۱) عن عبد اللَّه بن عتبة بن عبد الملك «أنّ النبيّ (صلى الله عليه و آله و سلم) كان كثيراً ما يصلّى فى مسجد بنى دينار عند الغسّالين»

وقد رأى السمهودى (۲) حَجَراً فى هذا المسجد مكتوباً عليه كتابة كوفية ما لفظه: (مسجد رسول اللَّهصلى الله عليه و سلم).

الهوامش:

ابو الوليد الازرقى وكتابه أخبار مكة

۱- ۱ تاريخ المدينة المنورة ۱: ۷۰؛ وينظر: تحقيق النصرة: ۱۴۹؛ وتاريخ معالم المدينة: ۱۱۴- ۱۱۵.

۲- ۲ وفاء الوفاء ۳: ۸۶۷.

ص: ۲۳۷

أبو الوليد الأزرقى وكتابه «أخبار مكة»

محمد على مهدوى راد

مكّة مدينة عريقة وذات مكانة رفيعة، استقطبت إليها اهتمام الأمم والشعوب على مرّ الأجيال، ولها بُعد تاريخى موغل فى القِدَم. كانت لهذه الربوع المقدّسة أهمية أقدم وأكبر من أى موضع آخر فى تاريخ الإسلام، وفى حقبة تدوين الآثار التاريخية والجغرافية. سبق لنا وأن عرضنا مقالة عن قِدَم الكتابات المدوّنة بشأن مكّة (۱)ووعدنا خلالها بتقديم عرض مسهب عن كتاب آخر قيّم وقديم حول تاريخ مكّة، واسم هذا الكتاب «أخبار مكّة ...» لمحمد بن عبد اللّه الأزرقى. ويبدو أن كتاب الأزرقى هذا يمكن عدُّه أقدم كتاب موجود عن تاريخ مكّة (۲).

مؤلفه:

مؤلف الكتاب محمد بن عبد اللّه بن أحمد بن محمّد بن الوليد بن عقبة الغسانى المعروف ب «أبى الوليد الأزرقى المكّى»، وهو من المحدّثين والمؤرخين،

۱- ۱ مجلة ميقات الحج، العدد ۳: ۲۲.

۲- ۲ كما ذكرنا سابقاً هنالك كتاب اسمه «تاريخ مكّة» وينسب إلى الحسن البصرى ويبدو أنَّ نُسخة منه موجودة فى مكتبة تيمور فى دار الكتب المصرية تاريخ المدينة المنوّرة، ج ۱، المقدّمة إلّاأنه لا توجد معلومات دقيقة عن محتوياتها وصحّة نسبتها.

ص: ۲۳۸

بيد أنه لاتوجد بين أيدينا- وللأسف- معلومات دقيقة عن سنة ولادته.

قال عنه ابن النديم:

«هو محمّد بن عبد اللّه ... عقبة بن الأزرق ... وله من الكتب كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها «كتاب كبير» (۱).

قال محقق الكتاب:

«ولد الأزرقى فى مكّة المكرّمة فى القرن الثانى للهجرة، ولم يعرف بالضبط تاريخ ولادته، ولا أشار إليه أحد من المؤرخين؛ لأن الأقدمين أهملوا ذكره بتاتاً. وترجمته التى وصلت إلينا من رواية المتأخّرين» (۲). وسنة وفاته لم تُعرف أيضاً.

قال الحاج خليفة لما أتى على ذكر كتابه:

«الإمام أبو الوليد محمّد بن عبد الكريم الأزرقى، المتوفى سنة ۲۲۳» (۳).

فيما أشار البعض الآخر إلى أن وفاته كانت فى عام ۲۱۲ (۴)، إلا أنَّ الفاسى يعتقد أنه كان على قيد الحياة حتى سنة ۲۴۸ (۵).

أما وستنفيلد الألمانى الذى نشر الكتاب لأوّل مرّة فقد استند إلى الحوادث المنقولة فى الكتاب، وعارض كلام الفاسى مؤكداً أن وفاته كانت فى عام ۲۴۴. إلّاأن محقّق الكتاب خالف آراءه وصرّح بأن رواية الفاسى ليست خاطئة. ويبدو أن الأزرقى كان على قيد الحياة حتّى سنة ۲۴۸ (۶).

قال خير الدين الزركلى: إن وفاته كانت حوالى سنة ۲۵۰ للهجرة، وأورد فى الهامش أسماء المصادر التى ترجمت حياته، وتعرّض إلى اختلاف الأقوال فيه (۷).

وعلى كلّ حال ليست ثمّة معلومات عن حياة الأزرقى وأحداثها.

والأثر الوحيد المتبقّى عنه هو هذا الكتاب الذى يعدُّ كتاباً نفيساً وثميناً ومفيداً.

اسم الكتاب:

سبق وأن أشرنا إلى أن ابن

۱- ۱ الفهرست: ۱۲۴- ۱۲۵.

۲- ۲ أخبار مكّة المقدمة: ۱۳.

۳- ۳ كشف الظنون ۱: ۳۰۶.

۴- ۴ أخبار مكّة المقدّمة: ۱۳.

۵- ۵ العقد الثمين.

۶- ۶ أخبار مكّة، المقدمة.

۷- ۷ الأعلام ۶: ۲۲، وأيضاً راجع كتاب معجم المؤمنين ۳: ۴۲۹، طبع مؤسسة الرسالة.

ص: ۲۳۹

النديم أورد اسمه على الصورة التالية:

«كتاب مكّة وأخبارها وجبالها وأوديتها» (۱).

وذكره السمعانى باسم «أخبار مكّة» (۲). فيما أشار فؤاد سزگين إلى كتاب الأزرقى تحت عنوان «أخبار مكّة المشرّفة أو كتاب فضائل الكعبة» (۳).

وأخيراً وسمه السيد رشديصالح ملحس باسم. «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار». والاسم الذى جاء ذكره فى كتاب «الفهرست» هو أكثر الأسماء تناسباً مع مضمون الكتاب، ولا يُعرف السبب الذى جعل المحقّق الفقيد يعرض عنه.

أهمية الكتاب:

كان هذا الكتاب النفيس على الدوام موضع اهتمام العلماء والمحدّثين والمؤرّخين، فقد استفاد منه الكثيرُ من الباحثين واستندوا إليه فى تنظيم بحوثهم. قرأه عبد الكريم بن محمّد السمعانى، وهو مؤرخ وكاتب سيرة واسع الاطلاع، على بعض المحدثين، وكان يقول عنه: «محمّد بن عبد اللّه الأزرقى حفيد أحمد بن محمّد الأزرقى،صاحب كتاب «أخبار مكّة» كتبه بمنتهى الروعة والدقّة» (۴).

يقول محقّق الكتاب:

وقد درسنا كتاب (أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار) درساً وافياً واستقصينا بحوثه استقصاءً تاماً فألفيناه كتاباً مهماً، غزير المادّة، كثير الفائدة رغم خلوّه من الأبحاث السياسية والاجتماعية.

إن رأى المحقّق بشأن أهمية الكتاب وفائدته رأيصائب، أما قوله بخلّوه من الأبحاث الاجتماعية فلا يمكن قبوله؛ لأن نظرة عابرة على فصول الكتاب تثبت لنا أنه يضم بين دفّتيه مواضع مهمّة من نمط الحياة الاجتماعية فى مكّة آنذاك ومعتقدات الناس وميولهم وطبائعهم.

۱- ۱ الفهرست: ۱۲۵.

۲- ۲ تاريخ التراث العربى: ۱، الجزء الثانى: ۲۰۳.

۳- ۳ الأنساب ۱: ۱۲۲، طبعة بيروت.

۴- ۴ الأنساب ۱: ۱۲۲، طبعة بيروت.

ص: ۲۴۰

وعلى أيّة حال فكتاب الأزرقى يعدُّ أقدم كتاب عن تاريخ مكة وتتسم أخباره ومواضيعه بالدقة، ويضم بين طياته نصوصاً لا يمكن العثور عليها فى موضع آخر، ولها أهمية كبيرة ومكانة معتبرة، ولا يستغنى عنها الباحثون فى تاريخ مكّة وتاريخ الإسلام وأوضاع ذلك الزمان.

نظرة خاطفة على أبواب وفصول الكتاب:

انتهج الأزرقى فى تدوين الكتاب أسلوباً حاذقاً ويتميّز بالسلاسة والبساطة. إذ قسّم مواضيع الكتاب إلى أبواب وفصول وزيّن نصوصه بذكر سلسلة الإسناد.

تبدأ مواضيع الكتاب بالحديث عن الكيفية التى نشأت فيها الكعبة.

ويشير ضمن النصوص إلى السبب فى تسمية مكّة بأم القرى. ثم يأتى برواية منقولة عن الإمام الرابع عليه السلام فيها أيضاً إشارة إلىالبيتالمعمور» (ص ۳۲- ۳۳).

يتناول الفصل اللاحق كيفية زيارة الملائكة لبيت اللّه الحرام، وهبوط آدم عليه السلام إلى الأرض وبناء الكعبة، وأغلب هذه المواضيع منقولة عن وهب بن منبّه وكعب الأحبار. وقول «قرأته فى كتاب من الكتب الأول» المنقول كذا قول كعب «وجدت فى التوارة ...» لهى أقوال تستوجب التأمل حقاً. ومما يلفت الانتباه هنا رجوع عمر بن الخطّاب إلى كعب وسؤاله عن الحرم والكعبة وما يتعلّق بهما (ج ۱،ص ۴۰).

وهب بن منبه وكعب الأحبار من العلماء المطلعين على الديانة اليهودية- الإسرائيلية-، ولهما دور عميق فى بث الإسرائيليات والأفكار اليهودية فى الديانة الإسلامية. وهذه الأفكار التى يشير إليها العلماء ب «الإسرائيليات» كان لها تأثير كبير فى تغيير أفكار المسلمين. وهذا الموضوع يجب بحثه والتعمّق فيه فى موضعه المناسب.

ص: ۲۴۱

يقول وهب بن منبّه: إننى وجدت فى التوراة كيفية طواف آدم عليه السلام ودعائه، وهو ما تقوم عليه سُنّة الطواف، وفضيلة الكعبة، وأن البيت المعمور كائن بحيال الكعبة. ووردت فى الصفحات التالية وتحت عدّة عناوين مواضيع تتحدّث عن المكانة الأساسية للبيت المعمور (ص ۴۰- ۵۰).

ومما يستلزم الدقّة فى هذا المجال هى مجموعة النصوص المتعلّقة بالبيت المعمور، وما تنطوى عليه من تهافت واختلاف بشأنه. فبناء أو إعمار الكعبة كان بهمّة إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى هذه البقعة وإسكان إسماعيل وهاجر فيها، وموضوع الصفا والمروة هى من جملة المسائل التى يستعرضها فى فصل آخر من فصول الكتاب (ص ۵۳- ۶۶).

أمّا الموضوع الذى يلى ذلك فهو كيفية حجّ إبراهيم، الذى نادى بالتوحيد وهو أول معلّم للحج، والصورة التى طرح فيها الحج، نوع الطواف الذى كان يؤدّية الأنبياء من بعده مع وصف لشعائر السعى بين الصفا والمروة، وحكم الصلاة فوق سطح‌المقام وماإلى ذلك (ص ۶۶- ۷۴).

ثم يتحدّث من بعد ذلك عن مكانة الكعبة ضمن تفسير الآية الشريفة «إن أول بيت وضع للناس ...» وشأن نزولها. ويشير إلى حالة تلك الربوع، وشرف أرض الحرم وساكنيها والولاية على تلك المواطن، وعلى مكّة والكعبة، ووصف كذلك زواج إسماعيل من إحدى قبائل العرب آنذاك، وولاية أبنائه على تلك المناطق.

والسبب فى تسمية البيت ب «العتيق» ومكّة ب «بكّة» (ص ۷۴- ۸۰).

يذكر فى فصل آخر من الكتاب أن الولاية على الكعبة ومكّة كانت بيد «جرهم» (۱)، ولكن العار والفساد قد لحق بهم لانتهاكهم حرمة تلك الديار (ص ۸۰- ۹۰). ويصف من بعد ذاك ورود «خزاعة» (۲) وسكناهم أطراف مكّة وسيطرتهم على تلك الاصقاع واتّساع نفوذهم فيها (ص ۹۰- ۱۰۳).

۱- ۱ «جُرهم»، فرع من قحطان، وللاطلاع على مزيد من المعلومات عن تاريخ هجرتهم من اليمن إلى مكّة، وتفّرعهم واتساع نفوذهم فى تلك البقاع، انظر كتاب: معجم قبائل العرب ۱: ۱۸۳، والمصادر الواردة فيه.

۲- ۲ خزاعة، من قبائل العرب الكبيرة فى العصر الجاهلى و ... راجع كتاب: معجم قبائل العرب ۱: ۳۳۸، والمصادر الواردة ذكرها فيه.

ص: ۲۴۲

ينتقل الكتاب بعدَ ذلك للحديث عن حياة ونشأة قصى بن كلاب، وحصوله على ولاية البيت الحرام وما يتعلقبذلك منالحوادث (۱۰۳- ۱۱۶).

ثم يستعرض الكتاب قضية انتشار ولد إسماعيل، وظهور بوادر الانحرافات الفكرية والعقائدية، وظهور عبادة الأصنام، وهى قضّية تحظى بأهمية بالغة من الوجهة التاريخية والاجتماعية. ويضم هذا الموضوع بين ثناياه نقاطاً مفيدة عن المعتقدات والأفكار والآراء الاجتماعية لحياة الناس فى ذلك العصر.

يبدأ بعدها بالحديث عن تبدّل المعتقدات الأساسية للناس، وبداية عبادة الأصنام والاتجاه نحو نحتها فى ربوع مكّة. ويذكر فى هذا الفصل أوّل من ألقى بين الناس عبادة الأصنام، وآتى على ذكر حديث جاء عن النبيصلى الله عليه و آله و سلم يقول فيه:

إن أول من نصب الأوثان حول الكعبة، وغيّر الحنيفية دين إبراهيم هو عمرو بن لحى (ج ۱.ص ۱۱۷).

وذكر أول من وضع الأصنام فى الكعبة، ومن وضع الصنمين على الصفا والمروة ليعتبر بهما الناس إلّاأنهما تحوّلا إلى سنّة منبوذة وعادة مستهجنة فى شعائر الحج حتّى كان يوم الفتح فكسرا مع ما كسر من الأصنام (ص ۱۱۶- ۱۲۵).

تضمن هذا الفصل شرحاً لمكانة الكعبة فى أذهان الناس، واحترامهم لها، والأصنام المختلفة التى كانت تُعبد فى تلك البقاع، والقبائل والطوائف وما تقدسه من الأوثان، وبعض المعتقدات والمراسيم التى كانت تقام عند تلك الأوثان، وبعض ما كان يعتقده الناس بشأن الكعبة والأصنام وما شأنه ذلك.

وينقل كذلك فى موضع آخر من الكتاب وصفاً لبعض معتقداتهم وتقاليدهم، التى تبدو وكأنها ذات طابع أسطورى، بيد أنها على كل الأحوال تعكس وجهاً من أوجه الثقافة التى

ص: ۲۴۳

كانت سائدة فى ذلك العصر. أضف إلى أن بعض المعلومات الواردة فى كتاب «أخبار مكّة» تعد أخباراً نادرة وفريدة من نوعها وذات أهمية قصوى.

يستعرض الكتاب من بعد ذلك حادثتين تاريخيّتين مهمّتين وهما هدم الكعبة والسعى للتقليل من شأن ذلك البيت العتيق. وتحدّث أيضاً عن مآرب أصحاب تينك الحادثتين المعروفتين تاريخياً باسمى «تبع» و «الفيل»، وكان السرد التاريخى لهما دقيقاً ومفيداً، ويعكس المنزلة العظمية للكعبة قبل الإسلام، ومدى الأهمية التى كانت تحظى بها بين العرب وغيرهم من الأمم والأقوام (ص ۱۳۲- ۱۵۴).

كما تناول الأزرقى أيضاً تأثير قصّة أصحاب الفيل فى الأدب العربى، وذكر بعض الأشعار التى أنشدها شعراء ذلك العصر حول هذه الحادثة.

أما الفصل الذى يليه فيتّسم بالإطناب وله فائدة كبيرة، ويتحدث فيه عن إعلاء جدران الكعبة وإعادة بنائها ووضع «الحجر الأسود» وهذا السرد التاريخى منقول بطرق مختلفة، وحافل بالمسائل الاجتماعية والاعتقادية وآراء الجاهلية بشأن الكعبة ومكّة والحرم ... الخ.

وصف أيضاً وبدقّة متناهية الصور والنقوش التى تزيّن جدران الكعبة، وتكلّم بهذه المناسبة عن دخول رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم مكّة منتصراً وإزالته لمظاهر الشرك من بيت التوحيد، وعن دور على عليه السلام فى تحطيم الأصنام وتلاوة سورة براءة على الناس (۱) (ص ۱۵۷- ۱۷۹). وجاء فى سياق هذا الفصل ذكر طواف أهل الجاهلية، وطواف العريان ودور (الحُمس) (۲) فى ذلك.

كان لعرب الجاهلية فى الحج وغيره تقاليد وسنن اجتماعية وسلوكية، وكانوا فى بعض الأحيان يؤدّونها بكل إخلاص ومثابرة. وفى هذا الفصل تحدّث عن بعض التقاليد التى كانت شائعة آنذاك فى شعائر الحج، وعرض

۱- ۱ نقل الأزرقى عن هذه الحادثة، أى إبلاغ سورة براءة على يد على عليه السلام، إلّاأن نقل الوقائع السابقةواللاحقة لها غير تام وغير شامل. ويمكن فى هذا الصدد مراجعة كتاب. إحقاق الحق ۱۴: ۴۹۹، والتبيان ۵: ۱۶۹، ومجمع البيان ۵: ۳، و ... الخ.

۲- ۲ راجع كتاب معجم القبائل العربية ۱: ۱۳۰.

ص: ۲۴۴

شرحاً مفصّلًا للتيار الفكرى- الثقافى الذى كان ينتهجه «الحمس» و «أهل الحل» وكيفية حجّهم.

نقل فى الفصل الذى يليهصورة عن طوافهم وإحرامهم واحترامهم للكعبة وموضوع «النسىء» (۱) وأول من قال به، والآيات النازلة فيه. وتميّز هذا الفصل بالأهمية بسبب ما يتضمنه من أبعاد اجتماعية وثقافية (ص ۱۷۹- ۱۹۴).

تابع الأزرقى فى هذا الفصل اللاحق بيان موضوع آخر ألا وهو إطعام الحّجاج وضيافتهم، وهو ما اتخذ فى نهاية فترة العصر الجاهلى شكلًا خاصّاً (۲). وهذا من الأمور التى تلفت الأنظار فى تلك الحقبة التاريخية، إذ تناول الكتاب أيضاً الحديث عن إطعام الزوّار وكيفية إسكانهم وغير ذلك من الشؤون المتعلّقة بالحج (ص ۱۹۴- ۲۰۰).

ينتقل الكاتب من بعد ذلك إلى وصف النفائس والتحف المعلّقة على الكعبة، ويحصى بعض الآثار المتبقية من العهود الغابرة، ثم يواصل متابعة هذا الموضوع فيتحدث عمّا وُضِع فى الكعبة فى العصر الإسلامى، ويأتى على ذكر حج هارون وأولاده، ويأتى بنص العهد المعقود بين محمد الأمين وعبد اللّه المأمون، وهذا الموضوع له أهمية من الوجهة التاريخية.

ثم يعود إليصلب الموضوع فيتكلم عن البئر الذى حفر فى بطن مكّة على العهد الجاهلى وكانوا يُلقون فيه الهدايا (ص ۲۲۳- ۲۵۳).

كسوة الكعبة:

يتناول الأزرقى فى هذا الفصل طرح مواضيع كثيرة ومختلفة، فيشير إلى أول من كسا الكعبة (ص ۲۴۹) ونوع تلك الكسوة، وتطييب الكعبة، وأنهم كانوا يكسونها كسوة فوق أخرى إلى أن تراكمت عليها. واسم أول من جرّدها وكشفها.

تتّسم أقوال الأزرقى عن كسوة الكعبة بالتضارب. وقد بادر محقّق

۱- ۱ للاطلاع على مزيد من المعلومات حول «النسىء»، راجع كتاب: التفهيم لأوائلصناعة التنجيم: ۲۲۳، وذيل الآية ۳۶ من سورة التوبة فى التفاسير.

۲- ۲ مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول، أحمد بن إبراهيم شريف،ص ۱۸۸- ۱۸۹، ونظام الحكموالإدارة، محمد مهدى شمس الدين: ۵۱۷.

ص: ۲۴۵

الكتاب إلى درج الأقوال المتضاربة فى الهامش، وأضاف إليها أقوال الفاكهى فى هذا المجال، وضم إليها روايات أخرى، واستنتج فى نهاية المطاف أن معاوية لم يكن فى عداد من كسا الكعبة، وواصل الحديث عن كسوتها إلى يومنا هذا. (ص ۲۵۲- ۲۸۶).

يستعرض الأزرقى فى مطلع هذا الفصل بعض الأخبار التى تشير إلى أنهم كانوا يكسون الكعبة فى يوم عاشوراء و ... إلّاأن الباحثين يؤكدون عدمصحّة مثل هذه النصوص التاريخية، ويذهبون إلى أنّها من وضع جلاوزة معاوية لاضفاء طابع قدسى على يوم عاشوراء.

ينتهج الأزرقى فى كتابه هذا نمطاً من النقل التاريخى لا يأخذ بالحسبان التسلسل التاريخى للوقائع والأحداث، بل ينقلها حسب مناسبات ذكرها.

فيستعرض فى هذا الفصل حادثة حريق الكعبة، ومن ثم يعرّج على ذكر رمى الكعبة بالمنجنيق على يد الحصين بن نمير فى أيام يزيد وكيفية تخريبها وإعادة بنائها فى عهد سلطة ابن الزبير، مع ذكر التغييرات الأخرى التى أجريت على بناء الكعبة. والمواقف التى يذكرها الكتاب فى هذا الصدد رائعة وجديرة بالمطالعة، حيث اعتبر البعض تلك الأحداث خارج نطاق قدرة الإنسان ولا بد من وجود يد للقدر فيها.

يقول الأزرقى:

أول ما تكلم فى القدر حين احترقت الكعبة ...

ونقل فى هذا الفصل من الكتاب خبراً أورده محمد بن كعب القرظى، وهو خبر يستحق التأمل فيه إذ يقول فى مطلعه: «لما حجَّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة طاف بالبيت وأنا إلى جنبه ...» (ص ۲۲۰).

ومحمد بن كعب القرظى هذا من مفسّرى التابعين وأصله يهودى، ومن الذين ساهموا فى إشاعة الإسرائيليات يومذاك. وهو [أول من أو] من أوائل

ص: ۲۴۶

الذين اختلفوا ونشروا قصّة الغرانيق.

وكما أشرنا فيما سلف فقد كان للعلماء والمفسّرين من ذوى الأصول اليهودية دور فى تشويه العقائد الإسلامية، ولا بد من إجراء دارسة موسّعة حولصلاتهم الوثيقة بالسلطات الحاكمة آنذاك ولا سيما السلطة الأموية. ونشير فى هذا الصدد إلى كلام أحَدِ الباحثين المطلعين قال فيه:

«والطريف فى الأمر أنه كلما كان الرواة أقرب إلى معاوية وسلطانه، كان دورهم فى وضع وإشاعة الإسرائيليات أوسع» (۱). وما نقلناه يمثّل واحداً من تلك الأمثلة والشواهد.

وليكون ذلك بالنتيجة تبريراً لسياستهم الدموية الظالمة. ويرى علماء اللغة أن كلمة عاشوراء لم تطلق على يوم العاشر من المحرم الحرام إلّامن بعد استشهاد أبى عبد اللَّه الحسين عليه السلام؛ فهذا المصطلح مصطلح إسلامى ولم يكن له وجود فى العصر الجاهلى قط (۲).

وفى الصفحات التالية من الكتاب وصف لدخول النبيصلى الله عليه و آله و سلم مكة منتصراً فى عام الفتح، وصلاته فى الكعبة، وأذان بلال وموقف قريش إزاء كلّ ذلك، وإخبار النبى عمّا اضمروه له وللبلال. وهذا يدل على حيرة المشركين من جهة ويعكس من جهةأُخرىعظمة بلال، وعلى معجزة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم ومعرفته بما يضمرون. دخل النبى المسجد فى عام الفتح وأرسل إلى سادن الكعبة عثمان بن طلحة يدعوه، ولما حضر أخذ منه المفاتيح ودخل الكعبة وصلى فيها، ثم أَعادها إليه.

يصف الأزرقى فى هذا الفصل كيفية دخول النبى وأصحابه بدقّة متناهية.

أشارت التفاسير والنصوص التاريخية إلى أن الآية الشريفة: «إن اللَّه يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ...» (۳)

. قد نزلت فى الحادثة التى سبق الحديث عنها وهذا التصور غيرصحيح، إلّاأن المقام هنا لايناسب لطرح المزيد من التفاصيل عن هذا

۱- ۱ بحوث مع أهل السنّة والسلفية، سيد مهدى روحانى: ۸۴، وأيضاً راجع كتاب: ربيع الأبرار ۲: ۸۴۲- ۸۴۴.

۲- ۲ النهاية ۳: ۲۴۰، والجمهرة ۴: ۲۱۲، وأيضاً انظر: مجلة الهادى، السنة السابعة، العدد الثانى: ۳۶، والصحيح من سيرة النبىّ الأعظم ۳: ۱۰۴.

۳- ۳ النساء: الآية ۵۸. راجع كتاب الميزان ۴: ۳۷۸، والتمهيد ۱: ۱۴۷.

ص: ۲۴۷

الموضوع.

إن للكعبةصيتاً ملأ الآفاق منذ عهود سحيقة. وتقف اليوم كالطود الشامخ على معبر التاريخ، ولها أسماء رائعة جذّابة لكل منها معانيه وأبعاده التى يذكرها الأزرقى فى هذا الموضع من الكتاب إضافة إلى أنه يذكر تلك الأسماء، ويشير إلى الظروف التى ساهمت فى وضعها ومن جملتها: الكعبة ومكة والبيت العتيق والقرية القديمة وما إلى ذلك. وتناول ضمن هذا السياق أسماء مكّة وأول من أذّن فيها، ومكانتها فى النفوس، وعدم جواز إقامة بناء فيها على الكعبة.

(ص ۲۷۹- ۲۸۳).

فى الصفحات ۲۸۳- ۲۸۶ جاء بتفسير الآيات التى تتحدث عن الكعبة، وذكر بعض النصوص التاريخية عن أول من طاف حولها وأول من سعى بين الصفا والمروة، واضاءة الطريق للطائفين حول الكعبة وقاصديها هى والصفا والمروة. وفى هذا الفصل أيضاً وصف دقيق وشامل للكعبة وطراز بنائها، ومساحة المسجد الحرام آنذاك، والأعمدة والنوافذ الموجودة فى داخلها، وسقفها، والتطوّرات التى حصلت فى بنائها، والشاذروان، وتركيب أرضية البناء، وبابها والنقوش والخطوط المرسومة عليه، وبابها الآخر الذى أحدث فى فترة زمنية لاحقة. ويعرّج أيضاً على ذكر ماء زمزم وما فيه من الفضيلة، ويتميّز هذا الفصل بكثرة المعلومات الواردة فيه و روعتها. (ص ۲۸۶- ۳۱۹).

لحجر إسماعيل (الذى يجعل الكعبة ومكّة والحجّ مقرونة بذكرى ذلك النبى العظيم) منزلة مرموقة فى المسجد الحرام حتّيصار يُحسب جزءاً منه، ولا بد من أن يكون أثناء الطواف داخلًا فى المطاف. والكتاب يشتمل على نصوص كثيرة عن عظمة ذلك الحجر وهيئته وأهميته.

(ص ۳۱۱- ۳۲۱).

والأزرقى فى كتابه هذا يكثر من

ص: ۲۴۸

ذكر الحوادث والمواقف عن قريش وعبد المطّلب وطفولة النبيصلى الله عليه و آله و سلم وصدر الإسلام. وينقل حادثة نزول سورة «تبّت» وتأثيرها العميق فى كسر الهيبة الزائفة لأبى لهب وزوجته، ويذكر كيف أن وقع هذه السورة الشريفة أَغاظَ أمّ جميل وجعلها تصرخ وتولول. (ص ۳۱۶).

الحجر الأسود ظاهرة بارزة فى بناء الكعبة، وهنالك نصوص تاريخية كثيرة تتحدث عن كيفّيته وأهميته.

يتناول الأزرقى وصف الأركان الأربعة للكعبة مبتدئاً بالحجر الأسود، وينقل الكثير من النصوص والروايات بشأنه، ومن جملة ما أورده بهذا الخصوص أن عمر وقف يوماً أثناء الطواف مقابل الحجر الأسود قال:

«واللَّه إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم يقبّلك ما قبّلتك» فقال له على عليه السلام:

«هو يضر وينفع» فقال له: وبِمَ ذاك؟ قال «بكتاب اللَّه». وجاءه بالدليل من القرآن الكريم، عندها قال عمر:

«أعوذ باللَّه أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن». (ص ۳۲۴).

وبانتهاء وصف الأركان الأربعة، والروايات الواردة بشأن «الملتزم» وحدوده، ينتهى الجزء الأول من الكتاب وفقاً للتقسيم الذى وضعه المحقّق. وبعد ختامه ترد ملحقات كثيرة ومفيدة وضعها المحقق سنتحدث عنها لاحقاً.

يتحدّث الجزء الأول غالباً عن الجوانب التاريخية لمكّة فى العصر الجاهلى وفترة ما قبل الإسلام. وفى الجزء الثانى يتناول- إضافة إلى الجوانب التاريخية فى العصر الإسلامى والفترة التى سبقت ظهور الإسلام- طرحَ المواضيع الفقهية المتعلقة بأعمال الحج وكيفية أدائه، وأهمية وفضيلة المشاهد المشرّفة. ويبدأ هذا الفصل بالمواضيع المتعلّقة بالطواف، وينقل فى مطلعه الرواية التالية المنقولة عن

ص: ۲۴۹

النبيصلى الله عليه و آله و سلم أنه قال:

«من طاف بالبيت كتب اللَّه عزّ وجل له بكلّ خطوة حسنة ومحا عنه سيّئة» (ص ۳) جاءت فى هذا الفصل روايات وأحاديث كثيرة عن النبيصلى الله عليه و آله و سلم وأصحابه فى أهمّية وعظمة الطواف حول بيت اللَّه، ومن جملة ذلك الفضل الكبير للطواف وآدابه، والنظر إلى الكعبة وكيفية التكلّم أثناء الطواف وإنشاد الشعر وقراءة القرآن. ويواصل الأزرقى هذا الفصل مشيراً إلى طواف أحد الجن، ويتبع ذلك بمجموعة من النصوص التاريخية، التى تبدو وكأنّها ذات طابع أسطورى إلّاأنّها تعكس بشكل واضح وجهاً من أوجه التقاليد والثقافة الجاهلية.

ومما ورد فى هذا الفصل أيضاً فضيلة الطواف تحت المطر (۱) أثناء شروق الشمس وغروبها وفى شهر رمضان، وتحدّث أيضاً عن أحد المواضع المقدّسة والعزيزة على النفوس ألا وهو «الحطيم» حيث يستغيث المسلمون عندها باللَّه تعالى ويناجونه.

أما بشأن الحيّز الذى يشغله الحطيم من جانب الحجر الأسود وباب الكعبة فهنالك اختلاف فيه، وكلام الأزرقى يدل على أن الحطيم واقع بين الركن والمقام وزمزم والحجر. (ج ۲،ص ۲۳).

بعد تعيين حدوده، ينتقل إلى مركز الأخبار الدالة على المكانة الرفيعة التى كانت للكعبة فى نفوس الناس فى العهد الجاهلى، حيث كان الناس يجتمعون آنذاك فى هذا الموضع للدعاء ومقارعة الظلم. (ص ۲۳- ۲۸).

ثم يتّجه من بعد ذلك إلى وصف مقام إبراهيم، والحوادث التى اكتنفته على مرّ الزمان كاستبدال مكانه، والذهب المستخدم فيه، وارتفاعه وأبعاده الأخرى (ص ۲۹- ۳۹). وبعد استعراضه لكيفية ايجاد بئر زمزم وهدمه ثم إعادة حفره بهمّة عبد المطّلب، يذكر قصّة نذره من أجل إنجاب الأولاد والتضحية بعبد اللَّه (ص ۳۹- ۴۹). إلّاأن قصّة نذر عبد

۱- ۱ وُفّقتُ فى عام ۱۳۷۲ للهجرة الشمسية لأداء العمرة، وفى مكّة كنت مُستصحباً معى كتاب الأزرقى وكنتأطالع فيه وادّون بعض المعلومات المفيدة فى إعداد هذه المقالة، إلى أن وصلت إلى الروايات التى تؤكد فضيلةَ الطواف تحت المطر، فتمنّيت أن يحالفنى الحظ لأداء مثل هذا الطواف. وفى أحد الأيام هطلت الأمطار شديدة وقتصلاة الظهر، وكان الحجاج يطوفون حول بيت اللَّه بشوقصادق وعميق، وكانت الأفئدة مغمورة باستشعار الرحمة الإلهية. وأنا أيضاً كنت أطوف مع الناس فى ذلك «الميعاد» مسلماً قلبى للَّه. واتجه الكثير من الحجاج بعد الطواف إلى حجر إسماعيل ليغسلوا الأبدان والأرواح بالماء الذى تسكبه ميزاب الكعبة من سطحها.

ص: ۲۵۰

المطلب، وقصد ذبح عبد اللّه الواردة أيضاً فى المصادر التاريخية والكتب المدوّنة عن سيرة النبيصلى الله عليه و آله و سلم (۱) لا تمتاز بالدقّة اللازمة (۲).

ضم الفصل التالى من الكتاب بئر زمزم وفضيلته وطيب مائه وبعض الأحداث المتعلّقة به، والآراء والمعتقدات بشأنه. (ص ۴۹- ۶۲).

يبدأ الأزرقى بدرج المعلومات الدقيقة المتعلّقة بالمسجد الحرام اعتباراً من هذا الفصل، ويستهل حديثه بذكر فضيلة المسجد الحرام وأهمية الصلاة فيه، ويورد من طرق مختلفة الرواية المنقولة عن النبيصلى الله عليه و آله و سلم أنه قال:

«لا تُشد الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد النبيِّ والمسجد الأقصى».

وأنه استهدف من وراء ذلك تأكيد المكانة الرفيعة للمسجد الحرام.

ونشير هنا إلى وجود جدل واسع حول هذا الحديث وأنهصار أداة بيد ابن تيمية وأتباعه لدعم معتقداتهم. كما ويعتقد بعض محدّثى وعلماء العامّة أن هذا الحديث موضوع (۳).

من جملة ما جاء فى هذا الفصل أيضاً، ذكر أول مَن أتى بصلاة الجماعة حول الكعبة بشكل دائرى، وموضع قبور بنات إسماعيل وبعض آداب الحضور فى المسجد الحرام كالوضوء والنوم والإعلان عن المفقودين. ومن المثير هنا أن الأزرقى ينقل عن أحد الشهود قوله:

«رأيت النبيصلى الله عليه و آله و سلم يصلّى مما يلى باب بنى سهم والناس يمرّون بين يديه ليس بينهم وبينه شبر» (ص ۶۷).

يهتم الفصل اللاحق ببيان الكيفية التى كان عليها المسجد الحرام، وما طرأ عليه من تطوّرات نظير ما حصل فى خلافة عثمان (ص ۶۸) وفى عهد عبد اللّه بن الزبير (ص ۶۹- ۷۱)، والوليد بن عبد الملك وأبى جعفر المنصور الدوانيقى والمهدى العباسى وغيرهم.

كما وتناول هذا الفصل أيضاً

۱- ۱ وراجع أيضاً كتاب: الكافى ۴: ۲۱۷؛ ومَن لا يحضره الفقيه ۲: ۱۴۷.

۲- ۲ انظر كتاب: من لا يحضره الفقيه ۳: ۸۹؛ وكتاب على الدوانى، تاريخ إسلام از اغاز تا هجرت تاريخ الإسلام من البداية وحتّى الهجرة: ۵۴؛ والصحيح من سيرة النبى الأعظم ۱: ۶۹.

۳- ۳ نقل هذا المضمون بشكل آخر. لغرض التعرّف على الحديث والرواة، راجع كتاب: نقد الحديث فى علم الرواية وعلم الدراية، للدكتور حسين الحاج حسن ۲: ۴۰، والوهابية فى الميزان: ۱۴۸ وما بعدها، والسنة قبل التدوين: ۵۰۲.

ص: ۲۵۱

مساحة المسجد الحرام وعدد أعمدته وشرفاته والفواصل بينها، وخصائص أبوابه وعددها ومقدار المسافات الفاصلة بينها، وارتفاع جدران المسجد، وسقفه، ومنائره ومسنّناتها.

والقناديل، والمظّلات التى يقف تحتها المؤذّنون، والمنبر وأوصافه وحجرته، والتغييرات التى أجريت عليه فى عهد المعتصم عام ۲۲۰ للهجرة. كما أشار أيضاً إلى موضع دار الندوة (منتدى اجتماع ومناقشات قريش)، والشؤون المتعلقة بها وواجباتها، وهى ذات أهمية بالغة لكونها تساعد على معرفة التركيبة السياسية للمجتمع فى فترة العصر الجاهلى، إضافةً إلى الكثير من المواضع التاريخية والجغرافية، والتعرف على المعتقدات والأفكار وهى مواضيع مفيدة للمحققين. (ص ۸۱- ۱۱۴).

تتضمن الصفحات من ۱۱۴- ۱۲۶ وصفاً لموضع الصفا والمروة وحدوده وكيفية السعى بين الصفا والمروة، وسعى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، وسعى الراكب والمسافة الفاصلة بين الصفا والحجر الأسود، وبين الصفا والمروة والدرجات الموجودة فى الصفا والمروة وكيفية بنائها.

ويعرض بعد ذلك وصفاً تفصيلياً لحدود الحرم ويستهلّه بقول لرسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم عند الفتح (ص ۱۲۱- ۱۲۵) ويواصل الموضوع بطرح الأحاديث الواردة بشأن البيت المعمور، ثم يتحدث عن تعيين حدود الحرم وأول من عيّنها.

(ص ۱۲۶- ۱۳۲).

وفى الصفحات اللاحقة من الكتاب يشير إلى منزلة الحرم ومكانته المرموقة، ومدى حرمة ارتكاب الذنوب فى تلك البقعة، ولهذا الفصل أهمّية تسترعى الاهتمام من حيث الجوانب التاريخية والاجتماعية والثقافية. كما ويتضمن أيضاً الكثير من الروايات التى تتحدث عن حكم البيع والشراء فى الحرم، وعدم جواز الظلم والاحتكار فى مكّة والحرم وعدم

ص: ۲۵۲

مراعاة الجوانب الإنسانية. ويؤكد أمن تلك المناطق وحرّية الناس فيها من أى سيطرة أو سلطان ووجوب الانصياع للأحكام الإلهية، وأسلوب مجازاة المجرمين والقتلة والسارقين اذا لجأوا إلى الحرم، أو ارتكبوا الجرم فيه.

(ص ۱۳۱- ۱۳۸).

تتناول الصفحات ۱۵۱- ۱۵۹ وصفاً لمكانة مكّة عند أهل الجاهلية والإسلام. واحترام الرسولصلى الله عليه و آله و سلم لمكّة وأرضها، والأشعار التى تعكس منزلتها فى الأدب العربى وما شابه من الأمور التى أوردها تحت عنوان:

«ما ذكر من أهل مكّة أنهم أهل اللّه عزّ وجل».

لما استقر النبيصلى الله عليه و آله و سلم وأصحابه فى المدينة لم ينسوا سحر مكّة وتألقّها، لأن ذكرى مكّة بالنسبة لهم تعنى ذكرى المواقف المبدئية، وإحياء ذكريات الصلابة والصمود على طريق الحق. ولهذا فإنهم كانوا يتذكرونها على مرِّ الزمن وتراودهم أمنية الوصول إليها، وقد دوّن الأزرقى تلك الذكريات بشكل يفوح رقةً وعاطفة نابعة من أعماق القلب. (ص ۱۵۳- ۱۵۷).

يبيّن فى فصل آخر من الكتاب حدود المحصّب (وهو مسيل بين مكّة ومنى) ومنزل نزله رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم بعد فتح مكّة وفى الأيام التى بقى فيها، وقد ورد فى النصوص التاريخية بأنه حينما كان يأتى مكّة بعد فتحها كان يذهب من بعد الطواف إلى أعاليها، ويضرب له خيمة فى الحجون ويقيم فيها.

(ص ۱۵۹- ۱۶۴).

وفى عهد رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وما أعقبه من السنين لم يكونوا يبيعون البيوت فى مكّة ولا يضعون عليها الأبواب ولا يكرونها. وإذا استغنى أحدهم عن داره يعطيها لمن يحتاجها.

ولكن إلى متى استمر هذا الوضع، وكيف تحول على مرِّ التاريخ؟ فهذا ما يمكن العثور عليه فى الصفحات التالية من الكتاب. (ص ۱۶۲- ۱۶۵).

أطراف مكّة تحيطها جبال

ص: ۲۵۳

شاهقة. والأمطار الغزيرة تؤدى إلى حصول سيول جارفة مع وجود الجبال حتى أن بعض السيول قد حفرت لها أثراً فى ذاكرة التاريخ. أورد الأزرقى تحت عناوين «سيول وادى مكّة فى الجاهلية» و «سيول وادى مكّة فى الإسلام» الكثير من السيول التى وقعت فى تلك الأيّام، وأسماء ما كان له اسم منها والسبب فى اطلاق تلك التسمية عليه. وهذه النصوص التاريخية تعكس وجهاً من وجوه الجغرافيه الطبيعية لمدينة مكّة ودور السيول فى حياة الناس وفى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لسكنة تلك البقاع آنذاك. (ص ۱۶۶- ۱۷۷).

تطرق أيضاً إلى ذكر حدود «منى» وموضع إقامة النبيِّصلى الله عليه و آله و سلم فيها، ومنازل أصحابه أيضاً، ومسجد خيف وطراز بنائه، والمساجد الأخرى فى منى، وأول من رمى الجمرات، وكيفية نصب الأوثان على أرضها، والأعمال الواجب أداؤها هناك، والصورة التى كانت عليها فيصدر الإسلام.

(ص ۱۷۲- ۱۸۹).

أشير هنا إلى أن الأزرقى أورد فى ختام حديثه عن «مسجد كبش» خبرين متناقضين بشأنه؛ يظهر فى الأول أن الذبيح كان إسحق فيما يدل الثانى على أنه كان إسماعيل. ومن الواضح أن الروايات الدالة على إسحاق فى هذا المجال قد وُضِعت ونشرت على يد المفسّرين اليهود. وقد تنبّه المفسرون المسلمون الكبار (۱) إلى هذه المسألة، ولكن يبدو أن بعضهم كالطبرى لم يستطيعوا التخلّص من قبضة تلك الروايات الموضوعة (۲).

أَمّا الفصل الذى يليه فيتناول حدود مزدلفة (المشعر الحرام)، والمسجد القائم فى تلك البقعة وتاريخ بنائه، والوقوف فى المشعر الحرام. كما ويشير فى هذا الفصل إلى السنن الجاهلية التى كانت متعارفة فى الحج فى ذلك الموضع. وقد وصف الأزرقى بدقّة متناهية كلّ ما يتعّلق بتلك البقعة من

۱- ۱ راجع كتاب: تفسير القرآن العظيم ۴: ۱۷؛ والتبيان فى تفسير القرآن ۸: ۴۷۴؛ والميزان ۱۷: ۱۵۵؛ ومحاسن التأويل ۱۴: ۱۲۱ و ... الخ.

۲- ۲ جامع البيان فى تأويل آى القرآن ۲۳: ۸۵.

ص: ۲۵۴

الأرضصغيراً كان أم كبيراً، وحتّى المرتفعات والمنخفضات الموجودة فيها.

(ص ۱۹۰- ۱۹۴).

يتّسم وصف الأزرقى لعرفات بنفس الدقّة أيضاً ويشير فيه إلى حدودها وكيفية الوقوف فيها، مع الحديث عن مختلف نقاطها وأماكنها وغير ذلك من الأمور المتعلّقة بها، ثم يعّرج من بعد كلّ هذا على تعريف مساجد مكّة، والمواضع التى كان يسكنها الصحابة وبعض القبائل.

ويرسم تصويراً دقيقاً لآثار النبيصلى الله عليه و آله و سلم، ودار خديجة، والكثير من الدور والأماكن التى كان كل واحد منها مسرحاً فى ذلك العصر لحوادث مصيرية فى تاريخ الإسلام، إلّاأن حراب جهل السلاطين اليوم قد ضيّعتها وافقدتها معناها. ومن جملة الأماكن التى يقدّمها لنا مفصّلة فى هذا الموضع من الكتاب جبل ثور، وغار حراء، وطريق النبيّ من غار حراء إلى جبل ثور، ومسجد البيعة (الذى بنى فى موضع بيعة النبيصلى الله عليه و آله و سلم من أهل يثرب)، ومسجد الجعرانة، والتنعيم و ...

الخ. (ص ۱۹۸- ۲۰۹).

يتناول الأزرقى فى فصل آخر من الكتاب مقابر مكّة والمدفونين فيها، ويحدّد أماكنها ومواقعها بدّقة ويذكر مَن هم الأشخاص الدين دفنوا فيها، ويصف أيضاً كيفية دفن الأموات فى الجاهلية فى المقبرة المعروفة بمقبرة مكّة قرب الحجون، وينتقل منها إلى وصف مقبرة المهاجرين، ويذكر السبب فى تسميتها بهذا الاسم. ويشير الأزرقى فى هذاالفصل أيضاً إلى وقوف النبيصلى الله عليه و آله و سلم على قبر أُمّه آمنة بنت وهب وبكائه عليها والتحدّث من بعد ذلك مع الناس. إلّاأن مثل هذه الأخبار مطعون بها من الوجهة التاريخية.

فالنصوص التاريخية الصحيحة تشير إلى أن آمنة بنت وهب توفيت فى «الأبواء» وهى أحد المنازل بين مكّة والمدينة (۱) ودفنت هناك.

الخبر الآخر الذى ينقله الأزرقى

۱- ۱ سيرة ابن هشام ۱: ۱۷۷؛ وامتاع الأسماع ۱: ۷، وسيرة الحلبى ۱: ۱۰۵.

ص: ۲۵۵

يحكى أن آمنة ماتت على الشرك، وأن النبيصلى الله عليه و آله و سلم لما جاء إلى هذه المقبرة استغفر لها، فأنزل اللَّه تعالى الآية: «ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركينَ ولو كانوا أولى قربى ...» (۱)

فنهاه عن الاستغفار لها.

ويأتى مفسرو أهل السنّة على ذكر مثل هذه الأخبار فى هذا الخصوص، وربّما تكون مصحوبة أيضاً بالكثير من التفاصيل والتفريعات والإضافات بشأن أبى طالب عليه السلام وهى فى الحقيقة لا أساس لها من الصحّة (۲) فسورة التوبة مدنية ومن آخر السور التى نزلت على رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، بينما توفّيت تلك الشخصيات الكبيرة فى مكّة، فكيف نزلت هذه الآية عند موتهم أو حين الاستغفار لهم؟ وقد ذكرنا أن أمّه قد توفّيت فى الأبواء، فكيف وقف النبيصلى الله عليه و آله و سلم على قبرها فى مكّة واستغفر لها، فنزلت هذه الآية؟! هذا فضلًا عن الأدّلة الكثيرة التى تثبت إيمانهم.

يتحدّث الفصل التالى عن الآبار والعيون ومزارع النخيل وما يتعّلق بها من شؤون تاريخية؛ ومثل هذا الموضوع ينطوى على فائدة كبيرة من حيث اتاحة الفرصة للتعرف على الجغرافيا الطبيعة، والاطلاع على الاوضاع المعاشية وغيرها من الظروف الزراعية والحالة الاقتصادية التى كانت سائدة آنذاك. (ص ۲۱۴- ۲۳۲).

وآخر موضوع جدير بالقراءة ويتّسم بالدقّة يورده الأزرقى عن الدور والمحلّات والجبال المحيطة بمكّة، ويردفه بوصف دقيق ممزوج بالمعلومات الجانبية الكثيرة والمفيدة، على سبيل المثال: دار الأسود بن خلف الخزاعى ..

التى اشتريت بمئة ألف دينار وهى نفس دار الإمارة أو «دار السلامة» عند سوق الحذّائين، (ص ۲۳۴)، ودار آل حرب بن أمّية التى تسمى أيضاً دار ريطة بنت أبى العباس، وهى نفس الدار التى قال عنها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم يوم فتح مكّة: «مَن دخل دار أبى

۱- ۱ التوبة: ۱۱۳.

۲- ۲ تفسير القرآن العظيم ۲: ۳۴۴؛ وفى ظلال القرآن ۳: ۱۵۶۴؛ تفسير الحديث ۱۲: ۶۴.

ص: ۲۵۶

سفيان فهو آمن (ص ۲۳۶) و ... الخ».

كان هـذا استعراضاً خاطفاً لفصول كتاب الأزرقى، وهذا الاستعراض السريع يعكس للقارئ أهمية هذا الكتاب فى الأبحاث التاريخية والإسلامية على أصعدتها المختلفة. إن كتاب الأزرقى هذا يمثل مصدراً هاماً وموروداً زاخراً بالمعلومات المتنوّعة.

ومما لا شك فيه أن أى باحث فى التاريخ الإسلامى لا يمكنه الاستغناء عن مطالعته والاستفادة منه.

أخبار مكّة من هو مؤلفه؟

ولكن كتاب أخبار مكّة هذا وبالخصائص التى لاحظناها، تأليف مَن؟ أهو لأبى الوليد محمد بن عبد اللّه بن أحمد الأزرقى؟ أم لأحمد بن محمد بن الوليد أى جدّه؟

يقول وستنفيلد: (۱)«إن هذا الكتاب يشبه فى بعض الوجوه كتاب ابن هشام فى السيرة النبوية، وذلك باشتراك أشخاص عديدين فى تأليفه. بيد أنه لا يشبهه من جهة كونه مختصراً من مجموعات كبيرة، بل بالعكس فقد كانصغير الحجم ثم زيد عليه علاوات كثيرة وضم إليه مواد عديدة أدّت إلى اتّساعه» (۲).

ويقول محقق الكتاب:

«والحقيقة التى لا ريب فيها أن واضع كتاب أخبار مكّة أو بعبارةصريحة جامعه ومرتبه ومؤلّفه هو محمد بن عبد اللّه الأزرقى رواية عن جدّه أحمد بن محمد الأزرقى وغيره من الرجال المعروفين. وكانت روايته عن جدّه أكثر من روايته عن غيره مما يدعونا للقول: بأنَّ المؤلف الأصلى للكتاب هو جدّه أحمد» (۳).

ثم يثبت محقّق الكتاب فيما بعد أن رواة آخرين أضافوا إلى نسخة الأزرقى مواضيع وأخباراً أخرى أيضاً.

اختصار الكتاب:

لقد كان كتاب أخبار مكّة فى

۱- ۱ مستشرق ألمانى كبير، يتصف بالمثابرة وسعة الاطلاع. وقام بتحقيق وتصحيح الكثير من المتون القديمة، طبع كتاب «أخبار مكّة» لأوّل مرّة فى عام ۱۸۵۷. راجع كتاب: الاعلام للزركلى ۸: ۹۹؛ وموسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوى: ۳۹۹، حيث تجد سيرته ومؤلفاته مدوّنه بشكل وافٍ ودقيق؛ المستشرقون، نجيب العقيقى ۲: ۳۶۷؛ وفرهنگ خاورشناسان معجم المستشرقين، أبو القاسم حالت: ۳۵۴.

۲- ۲ أخبار مكّة، المقدمة: ۱۶.

۳- ۳ أخبار مكّة، المقدمة: ۱۶.

ص: ۲۵۷

مستهل أمره مجموعةصغيرة كما قلنا، ثم أضيفت إليه مواد وزيادات جمّة بحيثصار كتاباً ضخماً فى التاريخ، ومن ثم اختصره بعض المحقّقين، ونظمه أحدهم فى أرجوزة.

۱- سعد الدين بن عمر الاسفرائنى المكّى

وهو من علماء القرن الثامن للهجرة اختصر كتاب الأزرقى فى كتاب سمّاه «زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال» وكان كتاب الاسفرائنى هذا فى بابين:

أولهما فى ذكر فضيلة الكعبة وقد لخّصه بعد أن قرأه عليه محمّد بن أحمد القرشى المكّى الشافعى فى مكّة.

وثانيهما: فى ذكر فضيلة المدينة وهو من زيادة المختصر. ثم يعرض محقّق الكتاب السيد رشدى ملحس نسخاً منه.

۲- يحيى بن محمّد الكرمانى

وهو من علماء القرن التاسع للهجرة، اختصر كتاب الأزرقى فى عام ۸۲۱ للهجرة، وقد حذف أسانيده وأضاف إليه بعض الزوائد، وسماه «مختصر تاريخ مكّة المشرّفة» (۱).

ويوجد من هذا الكتاب نسخة أيضاً (۲).

۳- عبد الملك بن أحمد ...

الأنصارى الأرمانتى

وهو من فقهاء الشافعية فى القرن الثامن للهجرة، نظم أخبار مكّة للأزرقى فى أرجوزة. ذكره ابن حجر العسقلانى، ويبدو أن الكتاب لم يبق له من أثر اليوم (۳).

تحقيق الكتاب:

سبقت الإشارة إلى أن كتاب أخبار مكّة قد تمّ تصحيحه وتحقيقه ونشره لأوّل مرّة على يد المستشرق الألمانى وستنفيلد.

يقول عنه عبد الرحمن بدوى:

«نشر مجموعة تحت عنوان «أخبار مكّة: نصوص عربية وكان المجلّد الأول فيها كتاب أخبار مكّة للأزرقى ...» (۴).

وقد قابلَ وحقق وصحّح

۱- ۱ أخبار مكّة، المقدمة: ۱۸، وأيضاً راجع كتاب: معجم المؤلفين ۳: ۵۶۶، طبعة مؤسسة الرسالة.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۱۹؛ وأيضاً راجع كتاب: الأعلام ۸: ۱۶۶.

۳- ۳ الدرر الكامنة ۲: ۴۱۴؛ أخبار مكّة، المقدّمة: ۱۹.

۴- ۴ موسوعة المستشرقين: ۴۰۱.

ص: ۲۵۸

الكتاب على أساس ثلاث نسخ، ثم باشر طبع الكتاب فى ليبسيك بألمانيا.

وجاءت تصحيحاته فى ۱۴صفحة، وأفرد له مقدّمة تاريخية عن المؤلّف وكتابه، ووصف النسخ الخطية التى اطّلع عليها.

الطبعة المعنية:

يؤكد المرحوم رشديصالح ملحس فى مقدّمة الكتاب على أهمية الطبعة السابقة ويشيد بجهود محققها. إلا أن ما تنطوى عليه من نواقص وتحريف وتشويه قد حمله على إصدار طبعة جديدة ومصححة لكتاب الأزرقى. وتتسم هذه الطبعة بالدقة وفيها الكثير من الإضافات التى تزيد من أهميتها وفائدتها.

نتحدث فيما يلى عن طريقته فى التحقيق (۱).

۱- نسخة الكتاب:

اعتمد المحقّق على ثلاث نسخ خطّية إضافةً إلى الطبعة الأوربية فى مقابلة وتصحيح وتحقيق الكتاب. قابل فى بداية الأمر النسخ الخطية الثلاث وقارنها بالنهاية مع الطبعة الأوربية.

وفى المسائل التى لا يطمئن إليصحتها يرجع إلى المصادر التاريخية ليقدّم نسخة منقّحة وصحيحة.

۲- الهوامش:

يذكر فى الهوامش النسخة البديلة، ويشرح بعض الأعلام والأماكن ومبهمات المتن. وينبّه إلى بعض أخطاء المتن من خلال المقابلة والتطبيق مع المصادر الأخرى، ويعطى فى بعض الأحيان معانى الكلمات العويصة. إضافةً إلى ما ذكر فى الهوامش فإنه قد أورد فى تصحيح أو تكميل الأخبار والنصوص إضافات مهمّة من قبيل تقديم الإيضاحات عن كيفية التصاوير الموجودة فى داخل الكعبة. (ج ۱،ص ۱۶۵)، وبعض الأماكن (ص ۱۹۱)، كسوة الكعبة

---

۱ - ۱ الطبعة التى عوّلنا عليها، مستنسخة بالأوفسيت على الطبعة الثالثة للكتاب، والمنشورة فى عام ۱۴۰۳ من قبل دار الأندلس فى بيروت. ومميّزات الكتاب الذى استفدنا منه درجة بالشكل التالى: «أخبار مكّة» انتشارات الشريف الرضى، قم، ۱۴۱۱.

ص: ۲۵۹

(ص ۲۵۲)، أسماء الكعبة (ص ۲۷۹)، الحجر الأسود (ص ۳۴۶)، تطوّرات البناء فى الصفا (ج ۲،ص ۱۲۰)، المدفونين فى مقبرة المهاجرين (ص ۲۱۳). والهوامش التوضيحية التى أوردها المحقق مفيدة ووافية.

۳- الملحقات:

ذكرنا أن المحقّق قد طبع ونشر الكتاب فى جزأين ولكل منهما ملحقات ضرورية ومفيدة. وملحقات الجزء الأول عبارة عمّا يلى:

أ- إكمال أخبار بناء الكعبة وما حصل فيها من تجديد. فهو وبناءً على أخبار الأزرقى يشير إلى أنَّ الكعبة قد بُنيت عشر مّرات حتّى زمن الحجاج بن يوسف. ثم يذكر بالتفصيل بناءها للمرة الحادية عشرة فى عهد السلطان مراد بن السلطان أحمد من السلاطين العثمانيين. وهذا الخبر حديث ودقيق (ص ۳۵۵- ۳۷۳).

ب- ينقل الأزرقى أن عمرو بن لحى قد وضعصنم «الخلصة» فى أسفل مكّة (ص ۱۲۴) وأقوال المؤرخين حول «ذى الخلصة» متهافتة. فهل كان ذو الخلصةصنماً أم دار أصنام؟ ومن الذى أوجدها وكان يعبدها؟ والمحقق يستعرض بالتفصيل أقوال المؤرخين ويقارنها مع بعضها ويعرض النتيجة بشكل عملى ومُحقق. (ص ۳۷۴- ۳۸۹).

ج- ينقل الأزرقى الكتب التى أرسلها المأمون إلى الكعبة مع اللوح.

وقد تحدثنا عنها فيما سبق. فهذه الكتب مغلوطة ومشوّهة فأرسل المحقق متونها إلى العلّامة والأديب المصرى أحمد زكى باشا ليصحّحها جهد المستطاع.

وقد أورد فى هذا الملحق نص حديثه فى هذا المجال.

أما ملحقات الجزء الثانى فهى كما يلى:

أ- ينقل الأزرقيصورة عن توسيع المسجد الحرام وصفة بنائه إلى عهد خلافة المهدى العباسى، وقد تابع

ص: ۲۶۰

المحقّق ذكر ما طرأ عليه من إضافات إلى العهد العثمانى، (ص ۳۰۵- ۳۰۹).

ب- أورد الأزرقى بعض المواقيت، ووصف بعض حدود الحرم.

وقد أضاف المحقّق إلى هذا الفصل أيضاً إضافات، وأشار إلى سائر المواقيت الأخرى. (ص ۳۰۹- ۳۱۰).

ج- ذكر الأزرقى الكثير من السيول التى جرت فى مكّة. والمحقّق أضاف إلى ذلك السيول التى دوّنت فى التاريخ، ولم يُشر إليها الأزرقى. ويُحصى ما مجموعه ۸۵ سيلًا، آخرها الذى وقع عام ۱۳۵۰ للهجرة.

د- يشير الأزرقى إلى القناة التى اشترتها زبيدة وأوصلتها إلى مكّة:

ومحقّق الكتاب يشير إلى قناة أخرى أيضاً أوصلتها زبيدة إلى مكّة، وأغفلها الأزرقى.

ه- يؤرخ المحقق للتوسع الذى حصل فى المسجد الحرام فى الأعوام ۱۳۷۵- ۱۳۸۵ فى العهد السعودى. إن ملحقات المحقّق علمية ودقيقة ومكملة لفوائد كتاب الأزرقى.

۴- الفهارس:

الفهارس الفنيّة للكتاب متنوعة ووافية ومفيدة، وهى:

۱- فهرس الآيات؛ وغالباً ما يرافق هذه الآيات تفسيرها أو شأن نزولها، وهذا مما يستفيد منه المفسّرون والمحقّقون.

۲- فهرس الأحاديث، وكلها مسندة ولبعضها أهمية من حيث الوجهة التاريخية والاعتقادية.

۳- فهرس الأنبياء، ويتضمن الحديث عن إبراهيم، وآدم، وإسحق، وإسماعيل، وداود، وشيت، وصالح، وعيسى، ومحمّد، وموسى، ونوح، وهود، ويعقوب، ويوسف، ويونس عليهم السلام. وأكثر ما ورد عنهم فى هذا الكتاب لهصلة بالكعبة.

۴- سدانة الكعبة، ويتحدث فى هذا الفهرس عن الحجابة والسقاية والرفادة والإفاضة وغير ذلك. وكما

ص: ۲۶۱

ذكرنا سابقاً فإن هذه البحوث تحظى بأهمّية بالغة؛ لأنها تعكس طبيعة الأوضاع الاجتماعية والسياسية لتاريخ مكّة.

۵- الأيام التاريخية، وهى الأيام التى لها شأن فى تاريخ مكّة لسبب أو آخر؛ كيوم واقعة الفيل، ويوم بناء الكعبة، ويوم الهجرة، ويوم أحد، ويوم عكاظ، ويوم الأحزاب، وما إلى ذلك.

۶- أسواق العرب، ويأتى فى هذا الفهرس على ذكر الأسواق الأربعة المذكورة هى: الحباشة، وذو المجاز، وذو المجنة، وعكاظ.

۷- الأصنام، ومعرفتها مهمّة لكونها تعكس الاتجاهات والميول العقائدية الشائعة فى العصر الجاهلى.

وقد أشرت فيما مضى إلى أن الأخبار التى أوردها الأزرقى فى هذا الكتاب هى الوحيدة من نوعها أحيانا.

۸- فهرس الأعلام.

۹- فهرس الأقوام والقبائل ويضم أسماءً من أمثال الأزارقة، وآل جحش، والدوس، والأوس، والخزرج، وثقيف، وثمود، وكنانة، وقريش، وهاشم، وهذيل، وما إلى ذلك.

۱۰- فهرس الأماكن، ويشمل أسماء الأماكن والبقاع والآبار، وأبواب المسجدِ الحرام، والقرى، والشُعَب، والمحلّات، وغير ذلك.

۱۱- فهرس قوافى الأشعار.

۱۲- فهرس مصادر التحقيق والتصحيح وقد عرضها بدقّة متناهية.

۵- مقدّمة الكتاب:

أفرد محقّق الكتاب له مقدمةً مفيدةً تحدّث فيها عن بداية التدوين فى الإسلام، وقد قدم ما كتبه المحقّقون والمؤلفون بشأن مكّة، وعن المؤلف وعائلته. ثم بحث فى «أخبار مكّة» والجهود المبذولة فى تأليفه. وتناول من بعد ذاك المختصرات والتلخيصات وغيرهما من الأعمال التى جرت على الكتاب، وما تتصف به النسخة

ص: ۲۶۲

الأوربية من نواقص وأخطاء. وتحدّث فى الختام عن أسلوبه فى التحقيق، والنسخ التى عوّل عليها.

ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية:

يعد السيد الدكتور محمود المهدوى الدامغانى من الأساتذة الأفاضل فى الجامعة وأحد المترجمين الجادّين فى ترجمة النصوص التاريخية، والقراء الكرام على معرفة تامّة بترجماته الكثيرة. وقد بادر هذا الأستاذ إلى ترجمة هذا الأثر النفيس وإخراجه على هيئة نثر يتّسم بالسلاسة والجودة، والدقّة. وبسبب ما يحظى به الكتاب من أهمّية فقد أورد ضمن الترجمة جميع الأسانيد المذكورة فيه.

وكما ذكرنا سابقاً فإن المحقّق الكريم قد دون فى الهوامش اختلافَ النسخ، وأعطى معانى الكلمات العويصة أحياناً. والمترجم المحترم أيضاً قد تمعّن فى ترجمته ولم يأتِ إلّابما هو ضرورى فى فهم المتن. كما تُرجمت جميع الملحقات والتوضيحات التى أوردها المحقّق فى نهاية الكتاب، وكذا الحال بالنسبة للهوامش أيضاً. وأضاف المترجم أيضاً الكثير من الايضاحات بشأن الأعلام الواردة أسماؤهم فى المتن، وعن الأماكن والمواضيع الأخرى.

وأينما واجه أفكاراً تتنافى عقيدة التشيّع قدّم الإيضاح الدقيق لها وأشار إلى المصادر الأخرى.

*** لقد طال الحديث عن الأزرقى وكتابه الثمين؛ وكان هدفى مقارنة كتابه بكتاب الفاكهى وعرض أوجه التشابه الموجودة بينهما. فهل أن الفاكهى قد أخذ عن الأزرقى، أم كلاهما قد استقيا من مصدر آخر ومن مواضيع أخرى؟

إلّا أننى أتجاوز هذا الموضوع بسبب ضيق المجال.

ص: ۲۶۳

الهوامش:

رسالة الاستاذ واعظ زاده الى الاستاذ بن باز

ص:۲۶۴

ص: ۲۶۵

رسالة الأستاذ واعظ زاده إلى الأستاذ بن باز

المفتى العام بالمملكة العربية السعودية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّهربّ العالمين. والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهداه.

سماحة الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز، الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد المحترم.

السلام عليكم ورحمة اللَّه، وبعد:

لاحَظت تركيزكم على مسألة التوحيد فى عدد من أعداد مجلة البحوث الإسلامية، كما سمعتكم فى جلستين حينما وفقت لزيارتكم، وتؤكدون تأكيداً متواصلًا إرشاد الناس إلى التوحيد الخالص للَّهربّ العالمين، لا شك فى أنه الأساس القويم، والركن الركين لهذا الدين الحنيف، بل هو محور كلّ أحكامه وشرايعه، وهذه ميزة لمستُها فى سماحتكم.

ص: ۲۶۶

ومع احترامی وتقـديری لجهودكم فی هـذا السبيـل، خطر ببـالی بعض الملاحظـات، أحببت أن أبـديها لكم راجيـاً أن يكون فيهـا خير الإسلام والمسلمين، والاعتصام بحبل اللَّه المتين فی سبيل تقارب المسلمين، ووحدةصفوفهم فی مجال العقيدة والشريعة.

أولًـا: لاحظت سـماحتكم تعـدّون دائماً بعضَ ما شاع بين المسـلمين- من التبرك بآثار النبيصـلی الله عليه و آله و سـلم وبعض الأولياء، كمسح الجدران والأبواب فی الحرم النبوی الشريف وغيره- شركاً وعبادة لغير اللَّه، وكذلك طلب الحاجات منه ومنهم، ودعاءهم، وما إلی ذلك.

إنی أقول: هنـاك فرق بين ذلـك، فطلب الحاجـات من النبیّ ومن الأوليـاء، باعتبارهم يقضون الحاجات من دون اللَّه أو مع اللَّه، فهـذا شرك جلی لا شك فيه.

لكن الأعمال الشائعـة بين المسـلمين، التی لا ينهاهم عنها العلماء فی شتی أنحاء العالم الإسـلامی من غير فرق بين مـذهب وآخر، ليس هی فی جوهرهـا طلبـاً للحاجات من النبیّ والأولياء، ولا اتخاذهم أرباباً من دون اللَّه، بل مردّ ذلك كلّه (لو اسـتثنينا عمل بعض الجهال من العوام) إلی أحد أمرين:

التبرك والتوسل بالنبیّ وآثاره، أو بغيره من المقربين إلی اللَّه عزّ وجلّ.

أمـا التبرك بآثـار النبیّ من غير طلب الحاجـة منه ولاـ دعائه، فمنشؤه الحبّ والشوق الأكيـدين رجاءَ أن يعطيهم اللَّه الخير بتقربهم إلی نبيّه وإظهار المحبة له، وكذلك بآثار غيره من المقرَّبين عند اللَّه.

وإنی لا أجد مسـلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضـيان الحاجات، ولا أن النبیّ (أو الولی) يقضيها، بل لا يرجو بذلك إلّااللَّه إكراماً لنبيه أو لأوليائه أن يفيض اللَّه عليه من بركاته.

والتبرك بآثارالنبیّ كما تعلمون، ويعلمه كلّ مَن‌اطّلع علی‌سيرة النبيّصلی الله عليه و آله و سلم،

ص: ۲۶۷

كان معمولًا به فی عهد النبیّ، فكانوا یتبركون بماء وضوئه وثوبه وطعامه وشرابه وشعره وكلّ شیء منه، ولم ینههم النبیُّ عنه. ولعلَّكم تقولون: أجل، كان هذا، وهو معمول به الآن بالنسبة إلی الأحیاء من الأولیاء والأتقیاء (كما شاهدت أصحابكم یتبركون بطعامكم) لكنه خاص بالأحیاء، دون الأموات، لعدم وجود دلیل علی جوازه إلّافی حال الحیاة بالذات. فأقول: هناك بعض الآثار تدل علی أن الصحابة قد تبركوا بآثار النبیّ بعد مماته، فعن عبد اللَّه بن عمر، أنه كان یمسح مِنبراً للنبی تبركاً به. وهناك شواهد، علی أنهم كانوا یحتفظون بشَعر النبیّ، كما كان الخلفاء العباسیون، ومَن بعدهم العثمانیون، یحتفظون بثوب النبیّ تبركاً به، ولا سیما فی الحروب، ولم یمنعهم أحد من العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودینهم.

وهنا یعجبنی أن ألخِّص لسماحتكم كلام الأستاذ الدكتور سعید رمضان العالم السوری- حفظه اللَّه- فی هذا المجال نقلًا عن كتابه (فقه السنة) فإنه بعدما أشار إلی شطر مما یدل علی جواز التوسل بالنبیصلی الله علیه و آله و سلم وبآثاره، قال: «ولیس ثمة فرق بین أن یكون ذلك فی حیاته أو بعد وفاته. فآثار النبی لا تتصف بالحیاة مطلقاً»، سواء تعلق التبرك والتوسل بها فی حیاته أو بعد وفاته، كما ثبت فیصحیح البخاری فی باب شیب رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم.

ومع ذلك، فقد ضلَّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول اللَّه، وراحوا یستنكرون التوسل بذاته بعد وفاته، بحجة أن تأثیر النبیّ قد انقطع بوفاته، فالتوسل به إنما هو توسل بشیء لا تأثیر له البتة.

وهذه حجة تدل- كما ترى- علی جهل عجیب جداً ... فهل ثبت لرسول اللَّه تأثیر ذاتی فی الأشیاء حال حیاته، حتی نبحث عن مصیر هذا التأثیر من بعد وفاته؟

إن أحداً من المسلمین لا یستطیع أن ینسب أیّ تأثیر ذاتی فی الأشیاء لغیر

ص: ۲۶۸

الواحد الأحد- جلّ جلاله- ومَن اعتقد خلاف هذا يكفر بإجماع المسلمين كلّهم.

فمناط التبرك والتوسل به أو بآثاره ليس هو إسناد أى تأثير إليه- والعياذ باللّه- وإنما المناط كونه أفضل الخلائق عند اللّه على الإطلاق وكونه رحمة من اللّه للعباد، فهو التوسل بقربه إلى ربّه وبرحمته الكبرى للخلق.

وبهذا المعنى كان الصحابة يتوسلون بآثاره و ... من دون أن يجدوا فيه أى إنكار. وقد مرّ فى هذا الكتاب (أى فقه السنة) بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والتقوى وأهل بيت النبوة فى الاستسقاء وغيره، وإن ذلك مما أجمع عليه جمهور الأئمة والفقهاء بما فيهم الشوكانى وابن قدامة الحنبلى والصنعانى وغيرهم.

والفرق بعد هذا بين حياته وموته خلط عجيب وغريب فى البحث لا مسوِّغ له، انتهى موضع الحاجة (۱).

هذا كله بالنسبة إلى التبرك بآثار النبىّ حيّاً ومَيّتاً، وأما التوسل بذاته أو بأحد من أهل بيته فهو كذلك، كما رأينا فى مطاوى كلام الدكتور، وكان معمولًا به حتى بعد وفاته كما استسقى عمر بن الخطاب متوسلًا بعمّ النبى العباس من دون نكير من أحد من أصحابه، ومن دون أن يكون لحياة النبىّ وموته تأثير عنده فى جواز التوسل به.

ومردّ ذلك أنّ التبرك بآثار النبىّ والتوسل به وبآثاره وبذريته والأتقياء من أتباعه ليس معناه طلب الحاجة منه أو منها ولا منهم، ولا أن فى شىء منها- بما فى ذلك ذات النبىّ- تأثيراً فى رفع الحاجات ودفع الملمات أو أنه يضرّ وينفع، كما ورد فى مطاوى كلامكم فيصدد النهى عنه (أنه لا يضر ولا ينفع)، فهذا تحويل للمسألة عن جوهرها، بل كلّ ذلك يَعدّ إظهار الحبّ للنبىّ وغيره من المقرّبين استجلاباً لرحمة اللّه- تبارك وتعالى- لما نعلم من منزلتهم عند اللّه، استناداً إلى سيرته وسيرة المسلمين، فلا يقاس هذا بعمل المشركين فى شأن آلهتهم، حيث

۱- ۱ فقه السنة ط ۱۰ص ۳۵۵.

ص: ۲۶۹

كانوا يعتقدون فيها التأثير فى دفع الملمات ورفع الحاجات، إما مباشرة أو بالاشتراك مع اللَّه.

كما لا ينبغى الاستشهاد على حرمة التبرّك والتوسّل (بالمعنى المذكور) وكونهما شركاً بما ورد من الآيات إدانة للمشركين، فإن ذلك ليس منه فى شىء، والفرق بينهما واضح جلىّ، فهذا مظهر من مظاهر الشرك، وذاك مظهر من مظاهر التوحيد وحبّ اللَّه وأوليائه.

بقى هنا أمران:

الأول أن يقول قائل: نحن نسلِّم بجواز التبرك والتوسل للعلماء الذين فهموا جوهر الدين، إلّاأن ذلك ممنوع على العوام لأنهم سوف يحولونهما إلى الشرك، حيث يعتقدون للنبىّ وآثاره وللأولياء تأثيراً ذاتياً فى رفع الحاجات أو دفع المضرّات، فيجب المنع عنهما سدّاً للذرائع.

وهذا ما سمعنا به من الأستاذ الدكتور محمد بن سعد سُوَيْعِر- حفظه اللَّه- يوم حضرنا عندكم وجلسنا على مائدتكم.

والإجابة على هذا الكلام سهل، فإنه إذا ثبت جواز عمل بل استحبابه بدليل قطعى فلا يجوز المنع عنه بقول مطلق، خوفاً من الجُهّال أن يُحلِّوه إلى ما فيه لون من الشرك، وإلّا كان ينبغى للرسولصلى الله عليه و آله و سلم نهى الناس عن التبرك بآثاره سدّاً للذريعة، كما كان ينبغى له أن يمنع الناس عن زيارة القبور حذراً من أن الجُهّال يتّخذونهاصنماً يعبد، أو يمنع من استلام الحجر للسبب نفسه، هذا ليس هو الطريق الوحيد والقول السديد لسدّ الذرائع، بل الطريق هو مراقبة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والذين هم أمناء اللَّه على حلاله وحرامه، فإنهم أمروا بحفظ الناس عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين- كما جاء فى الحديث (معالم الدينص ۳۳ ط ۱۴۱۳ ه. ق) من غير أن يحرِّموا حلالًا أو

ص: ۲۷۰

يحلِّلوا حراماً، أو يفرِّقوا فى حكم واحد بين العوام والخواص.

الثانى: أن من يجوّز التبرك والتوسل هم جمهور العلماء فى قبال جماعة أقل منهم بكثير لا يجوِّزونهما، ولا ريب أن المجوّزين اختاروا الجواز بعد الوقوف على الآراء، وبعد البحث والفحص عن الأدلّة، والاطلاع على ما أبداه الشيخان السلفيّان الشيخ ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهّاب وأتباعهما، فهؤلاء لم يقتنعوا طوال هذه القرون السبعة إلى يومنا هذا بحجج مخالفيهم، فهم مجتهدون، ولكل مجتهد مصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، كما هو ثابت عند الفقهاء، فالمسألة بعد أن عادت خلافية اجتهادية، فهل تسمحون فى مثل هذه المسألة، التى جُلُّ العلماء على جوازها وقليل منهم على حرمتها، بنسبة الكفر والشرك بل الفسق والضلال إلى هؤلاء الجمّ الغفير المعترف بفقههم وتقواهم؟ فما هو الفارق إذاً بين القطعيات والظنيات سواء فى حقل العقيدة أو فى حقل الشريعة؟ إنما الحكم بالكفر ثابت فيمن أنكر ضرورياً من ضروريات الدين ليس إلّا، دون مسألة خلافية هى معترك الآراء بين الفقهاء.

فأقلّ ما يقال فى مثل هذه المسألة الخلافيّة هو الاحتياط بالإمساك عن التقوُّل فيها، حتى ترجع المسألة قطعيّة، والاكتفاء ممن لا يُجوِّزه بالوعظ والإرشاد، إذا رآه شركاً أو بدعة وضلالًا، فهذا منتهى المطاف فى أداء الواجب من مثله. وقد مرّ بنا أن استهللنا كلامنا بالتقدير لجهودكم فى سبيل إرساء أمر التوحيد، وهذا بنفسه سعى مشكور أغتبطكم عليه، لولا أن ينضمَّ إليه إطلاق القول بالشرك أو الكفر فيمن جوَّز هذا العمل عن اجتهاد ونظر، من دون تقليد أعمى، ولا جهل بالكتاب والسنّة وبآراء الفقهاء الموافق منهم والمخالف، هذا أولًا.

وثانياً: أحببت الإشارة إلى مسألة أخرى لها أهميتها، وهى ما أفتيتم به

ص: ۲۷۱

حول مسألة فلسطين، حيث تقولون: «إنه يجب على المسلمين وعلى الدول الإسلاميّة والأغنياء والمسؤولين أن يبذلوا جهودهم ووسعهم فى جهاد أعداء اللّه اليهود، أو فيما تيسّر من الصلح إن لم يتيسّر الجهاد،صُلحاً عادلًا يحصل به للفلسطينيين إقامة دولتهم على أرضهم، وسلامتهم من الأذى من أعداء اللّه اليهود، مثلماصالح النبىّ أهل مكة، وأهل مكة فى ذلك الوقت أكثر من اليهود الآن، وإن المشركين والوثنيين أكفر من أهل الكتاب، فقد أباح اللّه طعام أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم، ولم يبح طعام الكفار من المشركين، ولا نسائهم.

وصالحهم النبيّصلى الله عليه و آله و سلم على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، وكان فى هذا الصلح خير عظيم للمسلمين، وإن كان فيه غضاضة عليهم بعض الشىء، لكن رضيه النبيّصلى الله عليه و آله و سلم للمصلحة العامة.

فإذا لم يتيسّر الاستيلاء على الكفرة، والقضاء عليهم، فالصلح جائز لمصلحة المسلمين، وأمنهم وإعطائهم بعض الحقوق ...» (۱).

وهذه الفتيا منكم إنماصدرت ولا شك فيها إخلاصاً للإسلام والمسلمين، وحرصاً على إرشاد الأُمّة إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، إلّاأنّ فيها بعض الملاحظات، فهى تحتوى شطرين:

الشطر الأول، وجوب حرب اليهود أعداء اللّه، وبذل الجهود فى جهادهم.

وهذا ما يوافقكم عليه علماء الإسلام جميعاً شيعة وسنة، ولعلكم لمستم موقف الشيعة فى مكّة المكرّمة عبر شعاراتهم، أو سمعتم به عن طريق المذياع أو قرأتم عنه فى الجرائد، أنهم أشدّ الناس على الكفّار ولا سيما على اليهود. فهذا حقصريح، ورأيكم حجة على جميع المسلمين حكومات وشعوباً، جزاكم اللّه عنهم خير الجزاء، وشكر مساعيكم، فقد أدّيتم واجبكم أمام اللّه- تبارك وتعالى- وأمام المسلمين قاطبة. وأما الشطر الثانى وهو ما تيسّر من الصلح إن لم يتيسّر

۱- ۱ مجلة البحوث الإسلامية رقم ۳۵ص ۳۴.

ص: ۲۷۲

الجهادصلحاً عادلًا إلى آخر ما أبديتم من الرأى بإخلاص، فيجب الوقوف عنده طويلًا:

لا ريب أن المسألة لو كانت كما اقترحتم وكانت القيود والشروط محقّقة بالشكل الذى قيّدتم، فالحكم هو ماصرّحتم به، إلّاأنّ المسألة مع الأسف الشديد ليست بهذه السهولة، ومغزى كلامى أنّ البحث ليس فى الكبرى من الدليل، وإنما هو فى الصغرى، وتوضيحها كما يأتى:

أولًا: أنّ الجهاد مع اليهود ميسور وبابه مفتوح بمصراعيه أمام المسلمين، إلّا أنّ حكّام المسلمين لم يقفوا يوماً، ولا يريدون أن يقفوا أمام العدو بكلّ جهودهم وإمكانيّاتهم، فإنّ العرب طرحوا القضية منذ أربعين سنة ولحد الآن قضية عربية، وليست إسلاميّة، وهذه أول ضربة وجّهوها إلى القضية، حيث أبعدوا بهذا المشروع العنصرى معظم المسلمين عن ساحة المعركة، ولا أقل من أن ذلك أصبح عذراً لأولئك الحكّام الذين لا علاقة لهم بشؤون المسلمين، فكانوا يقولون كما سمعت مراراً من أعوان الشاه فى إيران: «هذه مشكلة العرب مع اليهود لا شأن لنا فيها». فلم يكونوا يسمعونصرخات المسلمين والعلماء من أنّها إسلاميّة، بحجّة أن العرب يعدّونها مسألة عربية.

وأمثال هؤلاء الحكام من العرب وغيرهم لا يزالون لا يطيقون استماعصرخات هؤلاء الشباب والأطفال المحاربين بالحجارة داخل الأرض المحتلة وهتافاتهم: (اللّه أكبر) (نحن مسلمون) ولا أن يروا فى التلفزةصَلاتهم حول المسجد الأقصى؛ لأن ذلك يمثّل إسلاميةَ القضية فتأخذ العذر من أيديهم.

ثانياً: حتى العرب أنفسهم الذين احتكروا المسألة بحجّة أنها عربية، وأنها مسألتهم من دون سائر المسلمين لا يتّفقون على كلمة واحدة، ولم يجهّزوا إمكانياتهم أمام العدو، ولم يقفواصفّاً واحداً، فبدلًا من ذلك كلّه، افترقوا أحزاباً

ص: ۲۷۳

وشعوباً يهاجم بعضهم بعضاً، عسكرياً وإعلامياً، لا لشيء إلّالمصالحهم ولمصالح العدو، فلم يجهّزوا أنفسهم للمعركة لا هم ولا سائر المسلمين ولم يمتثلوا أمر ربّهم:

«وأعدّوا لهم ما استطعتُم من قوّة ومن رِباطِ الخيل تُرهِبون به عدوّ اللّه وعدوَّكم» (۱)

عندهم البترول الذى هو شريان حياة الأعداء، فلم يستفيدوا من هذه القوة الهائلة التى هى أقوى بكثير من رباط الخيل ومن أىّ قوة تُوجد فى العالم.

كما أنّهم لم يهتمّوا بقول ربّهم: «يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء» (۲)

وما بمعناه فى الكتاب والسنة.

فمن الذى منهم لا يتَّخذ أعداء اللّه أولياء، ولا يميل إلى اليمين والشمال (وقد سقط بحمد اللّه) ولا يعتمد ولا يستنصر بالأعداء (سوى النزر اليسير) ولا يركع لصنم منهم ولا يسجد، وبعضهم لا يأكل ولا يشرب إلّابإذنه؟

ومن خفى عليه هذا فليس له الدخول فى المعارك السياسية وإظهار الرأى فيها.

والعجب كلَّ العجبصَِ مْتُ بعض العلماء عن هؤلاء الحُكَّام الرُّكع السجود أمام الأصنام والطواغيت، ثم ينادى ويحكم بكفر وشرك أولئك المسلمين المساكين، الذين بذلوا كلّ ما عندهم، وتحمّلوا المشاقَّ، وجاءُوا من كلّ فجّ عميق، حتى نالوا بزيارةَ النبىّ، وقلوبهم ملئت بحبِّه، فقبّلوا الباب والشبّاك حبّاً له، ورجاء التقرّب إلى اللّه بحبّه، ويرون هذا منتهى أملهم من الحياة، فإذا بعالم أو مسؤول سكت عن ذلك الشرك الكبير وعن هؤلاء الأبالسة الكبار، يضربه بالسياط ويشتمه بقوله: (هذا شرك، هذا كفر) ولم يعتقد هذا القائل إلّاأنه كلّ واجبه، أَليس هذا إبعاداً للمسلمين المخلصين عن الدين، وعن ساحة القتال ضدّ اليهود وضدّ سائر أعداء الدين؟ فإنه إذا كان كافراً ومشركاً، فلماذا يُضحِّى بنفسه

۱- ۱ الأنفال: ۶۰.

۲- ۲ المائدة: ۵۱.

ص: ۲۷۴

فی المعرکة فی سبیل الإسلام؟

وأنا أقول بصراحة: لو أن العلماء ومن ورائهم (بل ومن فوقهم!) الحکّام لم یخطِئوا الطریق، واستقرُّوا علی الصراط القویم، لأمکن لهم تجهیز ملایین من الشبّان المسلمین الغیاری علی الإسلام الذائبین فی حبّ النبیّ محمدصلی الله علیه و آله و سلم، لیقفوا سداً منیعاً ضدّ الیهود ومطامعهم، ولو تحقّق هذا الحُلم یوماً ما لرأینا کلمة اللَّه هی العلیا، وأن اللَّه یحقّق وعده: «إن تنصروا اللَّه ینصرکم ویثبّت أقدامکم» (۱).

ثالثاً: الاستشهاد للصلح مع الیهود بمثل ماصالح النبیُّ أهل مکة والمشرکین عجیب وقیاس مع الفارق، وفیه وجوه من الخلط والتمویه:

۱- إنّ النبیَّصالح أهل مکة من موقف القوّة دون الضعف کما قال تعالی:

«وهو الذی کفَّ أیدیهم عنکم وأیدیکم عنهم ببطن مکّة من بعد أن أظفرکم علیهم وکان اللَّه بما تعملون بصیراً» (۲)

مع أنّ حکّام العرب حینما یریدون أن یساوموا علی الصلح مع العدوّ، إنما هم فی منتهی الضعف (ولا سیما بعد حرب الخلیج) سیاسیّاً وعسکریّاً. والشیطان الأکبر الحامی لإسرائیل رَسَتْ أقدامه علی أرضهم بکلّ ما له من العُدَّة والعَدَد، وله حقُّ الحیاة والبقاء علی جملة من الحُکّام، فهم عبید فی قبضته، ولیس لهم إلّاأن یرکعوا ویسجدوا أمامه آناء اللیل والنهار، وأنهم لیبذلون أموال المسلمین وشعوبهم المساکین إلی الکفار بالمجان، لا لشیء سوی للحفاظ علی مناصبهم، فهم راکبون أعناق الشعوب، راکعون أمام الأعداء. «أسدٌ علیّ وفی الحروب نُعامة». وفی مثل هذه الحالة یریدون أن یجلسوا مع العدوّ حول طاولة المفاوضة للسلام العادل!

ومن الدلیل علی ضعف المشرکین وقوّة المسلمین فی الحُدیبیة قول النبیّصلی الله علیه و آله و سلم لرسول المشرکین عنده (بُدیْل بن وَرقاء الخُزاعی): «إنّ قریشاً قد أنهکتهم الحرب، وأخذت بهم فإن شاءُوا ماددتُهم مدَّة ویخلّوا بینی وبین الناس

۱- ۱ محمد: ۷.

۲- ۲ الفتح: ۲۴.

ص: ۲۷۵

... إلى أن قال: فإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأُقاتلنَّهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى وليُنفذ اللَّه أمره».

ثم إن مبايعة المسلمين له على الحرب والتضحية بالنفس والمال كان استعداداً كاملًا للحرب.

ثم إن عروة بن مسعود رسول المشركين الآخر لديه حينما رجع إلى المشركين قال لهم: «فواللَّه ما تنخَّم رسول اللَّه نُخامةً إلّاوقعت فى كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجِلده، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادو يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له، إلى أن قال: أى قوم، لقد وَفدتُ على الملوك ووَفَدتُ على قيصر وكسرى والنّجاشى، واللَّه ما رأيتُ ملكاً «يُعظِّمه أصحابه ما يُعظِّم أصحاب محمدٍ محمداً! وأنه قد عرض عليكم خِطّة رشد فاقبلوها ...» رواه البخارى ومسلم بتفاوت.

۲- إنّ اليهود ليسوا وحدهم الذين يحاربون شعب فلسطين، بل وقف إلى جنبهم الطواغيت الدولية، الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة فى أرض الإسلام، وهم الذين يحاربون الإسلام والمسلمين من أول يوم، فكيف نغفل عنهم ونعدُّ الحرب حرباً بين اليهود والعرب أو المسلمين، فندخل فى الصلح معهم؛ لأنهم أقل من المشركين؟

وهؤلاء الطواغيت، ولا حتى اليهود الذين استولوا على أرض فلسطين ليسوا بأهل كتاب، وإنما هم ملاحدة، دينهم الدولار، وأمنيتهم الاستيلاء على ثروات الأرض، فإنّ اليهود فى فلسطين معظمهمصهاينة ليسوا بأهل كتاب ولا أهل دين، بل هم حزب سياسى عنصرى.

على أن اليهود فى العالم يعدّون بعشرات الملايين، وكلّهم مع يهود فلسطين، وبيدهم ثروات هائلة، وفى قبضتهم السُّوق العالمى والمصانع والسُّفن والأسلحة،

ص: ۲۷۶

ووسائل الإعلام العالمى، فكيف يجوز أن يقال: إنّ اليهود اليوم أقل من أهل مكة فى ذلك اليوم؟

فيجب علينا إذاً أن نضع هذه الأشياء فى الميزان ثُمّ نحكم بالصلح، وبدونها لن يتحقَّقصلح عادل.

۳- إنّ الصلح كان مع أهل مكّة بأمر من اللَّه من دون مشورة المؤمنين، بل كان أكثرهم قاوموا النبيَّصلى الله عليه و آله و سلم أمام عقد الصلح وعند بعض بنوده، حتى أنزل اللَّه سورة الفتح وكشف النقاب عن وجه الصلح، وعدَّه فتحاً مبيناً، ومع ذلك لم يعترف كثير منهم فيصميم قلوبهم، وباقتناع نفسى منهم، بأنه كان خيراً، حتى رأوا النتيجة ماثلة أمامهم بعد مدَّة.

۴- كانت هناك حِكم وأسباب جاءت فى سورة الفتح تصريحاً أو إيماءً، كالحفاظ على المؤمنين والمؤمنات القاطنين بمكّة يومئذٍ، الذين لم يعرف أشخاصهم، وكالحصول على الأرضية المناسبة لاختلاط المسلمين بالمشركين، وتبيين الإسلام لهم وتحويل قلوبهمصوب المسلمين، وغير ذلك ممّاصرّحتم به فى مقالكم، ويعلم بالتدبر فى سورة الفتح، وفى الحوادث التى حدثت عقيب الصلح، ولا يوجد شىء من هذه الحِكم والأسباب فى الصلح مع اليهود الآن، بل الأمر بالعكس كما سنوضِّح.

۵- اليهود بما أعدُّوا واستعدّوا للمعركة الصارمة، كانوا معتمدين على تلك القوى العالميّة الشيطانية، وهم قادرون بما عندهم على أن يقضوا على الشعب الفلسطينى، وعلى مَن جاورهم من الشعوب، ولا سيما القاطنين فى أرض الجزيرة العربية التى لليهود فيها مطامع تاريخية: كأراضى بنى النضير وبنى قريظة وأراضى خيبر وغيرها، فى طرفة عين، ولعلّهم يفعلونها يوماً من الأيام (لا قدّر اللَّه هذا اليوم) فهم حينما يفاوضون العرب من أجل السلام، لم يقصدوا السلام، ولم

ص: ۲۷۷

يكن خوفاً من العرب، إنما يريدون أن يسيطروا على أراضيهم وثرواتهم برفق وبرضاً منهم أو من حكّامهم؛ ليتدخلوا فى شؤونهم ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، وليكونوا أحراراً فيما يعملون فى تلك البقاع، ويتّخذوا من تلك الشعوب أداة لبسط سلطانهم عليهم وعلى العالم الإسلامى كلّه، ويتعاملوا معهم معاملة السيّد مع عبيده، والملك مع رعيته طوال الدهر. وبالتالى يكون الصلح المنشود هو الطريق الوحيد للوصول إلى مطامعهم، حتى إنهم يُمهِّلون أمر الصلح عمداً، ويسوِّفونه قصداً، لإرضاء النفوس شيئاً فشيئاً، حتى يقتنعوا بأنه لا طريق للاخلاص سوى الصلح والسلام.

مع أن مثل هذا الصلح هو الرصاصة الأخيرة لسقوط هذهِ الشعوب، ثم لسقوط العالم الإسلامى والمسلمين فى أيدى اليهود. فأين الصلح العادل؟ ليس هذا سوى الاستسلام المطلق دون السلام العادل.

ثمّ إنّ اليهود، متى التزموا بعهودهم طوال دهرهم خاصة فى فلسطين لكى نثق بهم؟ وأخيراً لو فرضنا حصول كلّ هذه الشروط والقيود، فإنّ الحُكّام لانثق بهم، وسوف يتّخذون من هذه الفتيا ذريعةً لإلباس الأمر على الشعوب، وسيفاوضون العدوَّ فيصالحهم أكثر منصالح الشعوب، وسيكون هذا الحكم من سماحتكم مبدأ شرعيَّة اليهود، وشرعيَّة عمل الحكّام الذين أجروا عقد الصلح ومفاوضة السلام معهم.

فإيّاكم أن تجعلوا رقبتكم قنطرةً لهؤلاء، والصواب هو الاكتفاء منكم بالشطر الأوّل من الفتيا، والانصراف عن الشطر الثانى فوراً، والمرجوُّ منكم أخذ هذه السطور بعين الاعتبار، ثمّ الإجابة عليها، فإنّى ما أردتُ إلّاالإصلاح ما استطعتُ، واللّه من وراء القصد، والسلام عليكم ورحمة اللّه.

ص: ۲۷۸

الهوامش:

ص: ۲۷۹

معجم ما كتب فى الحجّ والزيارة والمعالم المشرّفة فى الحجاز (۲)

عبد الجبار الرفاعى

تعريف بمصادر دراسة الحج ومكة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، والمعالم المشرّفة فى الحجاز، وما يرتبط بذلك. يشتمل على ما كُتِبَ من مؤلفات، ورسائل جامعية، وبحوث، ومقالات، باللغتين العربية والفارسية.

إشارات:

۱- بلغ عدد العناوين ما يقارب (۲۰۰۰) عنوان.

۲- شملت التغطية الزمانية ما كُتِب منذ بداية التدوين عند المسلمين الى اليوم.

۳- ينشر هذا العمل خلال حلقات فى مجلة «ميقات الحج» بناءً على طلب رئيس تحرير المجلة. وبعد الفراغ من نشره هنا ستقوم معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلاميّة فى الحجّ، التابعة لممثليّة الولىّ الفقيه لشؤون الحجّ والزيارة

ص: ۲۸۰

بنشره مستقلًا إن شاء اللّه تعالى.

۴- لا تمثل هـذه القائمة اسـتقراءً تاماً لجميع ما كُتِب فى هذه الموضوعات، لذا يرجو المؤلف من السادة الكُتّاب إعلامه بأعمالهم التى لم تُرصد فى القائمة على عنوان المجلة، كيما يجرى استدراكها حيثما ينشر هذا العمل فى كتاب.

۵- اعتمدت المداخل على عناوين الكتب والبحوث والمقالات.

۶- رُتبت المداخل تبعاً للترتيب الهجائى التام، واعتبار الوحدة فى الترتيب هى الكلمة، أى على أساس كلمة كلمة، ثمّ حرف حرف.

المختصرات:

ت: تاريخ الوفاة

ج: الجزء

ح: الحلقة

خ: نسخة مخطوطة

د. ت: بدون تاريخ

د. م: بدون‌ذكرمكان النشر فى المطبوع

د. ن: بدون ذكر الناشر

س: السنة

سم: سنتيمتر

ش: السنة الهجرية الشمسية

ص: الصفحة

ط: الطبعة

ظ: انظر

ع: العدد

ق ۷ ه: القرن السابع الهجرى

م: السنة الميلادية

مج: مجلد

مط: المطبعة

ه: السنة الهجرية القمرية

*** ۲۱۰- تاريخ آطام المدينة المنوّرة

عبيد مدنى (ت ۱۳۹۶ ه)

ظ:

موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين ۳/ ۱۷۱.

۲۱۱- تاريخ أغوات الحرم وتراجمهم

أحمد إبراهيم

خ: المحمودية فى المدينة المنوّرة برقم ۳۱۲۷، ۱۴۰ ورقة.

۲۱۲- تاريخ بناء البيت الحرام

عبد اللَّه سمك

المجاهد (القاهرة) س: ع ۱۲۸ (۶/ ۱۹۹۱)ص ۴۸- ۴۹.

ص: ۲۸۱

۲۱۳- تاريخ التعليم فى مكة المكرّمة

عبد الرحمنصالح عبد اللّه

جدة: دار الشروق، ۱۴۰۳ ه، ۲۹۰ص، ۲۴ سم.

۲۱۴- تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حسين خلف خزعل

بيروت: دار ومكتبة الهلال ومطابع دار الكتب، ۴۵۴ص، ۲۴ سم.

۲۱۵- تاريخ جستنية

(دونّ فيه حوادث تاريخ مكة وامرائها)

عبد الرحمن بن محمد سعيد (المعروف بجستنية)

[ت نحو ۱۲۱۵ ه/ ۱۸۰۰ م]

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ۴۷۵۴ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹)ص ۲۰۳.

۲۱۶- تاريخ الحجِّ من وادى نهر السند

(پاكستان)

عفاف السلجوقى

جدّة: جامعة الملك عبد العزيز، ۱۴۰۳ ه، ۵۰ص.

۲۱۷- تاريخ الحجاز

حافظ وهبة (ت ۱۳۸۷ ه)

مطبوع فى ۴۳۴ص.

۲۱۸- تاريخ الحجاز فى القرنين الأول والثانى للهجرة؛ دور الحجاز فى الحياة السياسية بزعامة قريش حتى عصر المهدى العباسى (۱- ۱۷۰ ه)

أحمد إبراهيم الشريف

القاهرة: جامعة عين شمس: كلية الآداب، ۱۹۶۸ م، ۴۴۳ص (اطروحة دكتوراه).

۲۱۹- تاريخ حرم أئمه بقيع

(بالفارسية)

محمدصادق نجمى

ميقات حج س ۲: ع ۴ (تابستان ۱۳۷۲ ش)ص ۱۷۵- ۱۹۲، س ۲: ع ۵ (بائيز ۱۳۷۲ ش)ص ۵۹- ۷۰، س ۲: ع ۶ (زمستان ۱۳۷۲ ش)ص ۱۱۱- ۱۲۹، س ۲: ع ۷ (بهار ۱۳۷۳ ش)ص ۹۲- ۱۱۳.

۲۲۰- تاريخ الحرم المدنى

درويش أحمد شكارى زاده

خ: المكتبة المحمودية فى المدينة المنورة برقم ۳۱۲۵، ۱۴۰ ورقة

۲۲۱- تاريخ الحرمين الشريفين

عباس كرّاره

مكة المكرمة: مكتبة الوصى، ط ۱، ۱۳۹۰ ه.

۲۲۲- تاريخ الحياة العلمية فى المدينة المنورة خلال القرن الثانى الهجرى

ص: ۲۸۲

سعد موسى حمد الموسى

جامعة امّ القرى، كلية الشريعة، ۱۴۰۹ ه.

۲۲۳- التاريخ السياسى لمكة قبل الإسلام

محمود زايد

العربى ع ۴۲ (۱۹۶۲ م)ص ۲۰- ۲۵.

۲۲۴- التاريخ الشامل للمدينة المنوّرة

عبد الباسط بدر

طبع فى ۱۴۱۴ ه، ۳ مج.

۲۲۵- تاريخ العرب قبل الإسلام وعصر الجاهلية

نشأة جغتاى.

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ع ۴۷،ص ۴۴۶- ۴۴۹ (عزة حسن).

۲۲۶- تاريخ عمارة الحرم المكى الشريف

فوزية حسين مطر

جدة: تهامة، ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۱ م، ۱۹۶ص (رسائل جامعية: ۶).

۲۲۷- تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك

حسين عبد اللّه باسلامة

جدة: الكتاب العربى السعودى، ط ۳، ۱۴۰۰ ه- ۱۹۸۰ م، ۳۲۰ص، ۲۱ سم.

۲۲۸- تاريخ عمارة المسجد الحرام

محمد بن عبد اللّه الأزرقى (مطبوع)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۲۹- تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسى الثانى حتى العصر العثمانى

[تتمّة للكتاب الأوّل تاريخ عمارة الحرم ...]

فوزية حسين إبراهيم مطر

جامعة امّ القرى، كلية الشريعة، ۱۴۰۶ ه، ۵۴۷ص (رسالة دكتوراه).

ظ:

موسوعة الادباء والكتاب السعوديين ۲۰۹.

۲۳۰- تاريخ فى أشراف وأمراء مكة المعظمة

مجهول المؤلف

خ:

الحرم المكى/ ۲

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۳۱- تاريخ قربانى وحقيقت وأهميّت آن

(بالفارسية)

ص: ۲۸۳

محمد شفيع

ترجمة: محمد أمين حسن بر

سراوان (ايران): حوزة علميه اشاعة التوحيد، (د. ت)، ۴۷ص.

۲۳۲- تاريخ قريش: دراسة فى تاريخ أصغر قبيلة عربية جعلها الإسلام أعظم قبيلة فى تاريخ البشر

حسين مؤنس

جدة: الدار السعودية للنشر ط ۱، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸ م، ۹۱۱ص، ۲۵ سم.

۲۳۳- التاريخ القويم لمكّة وبيت اللّه الكريم

محمد طاهر الكردى المكى

مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ط ۱، ۱۳۸۵ ه، ۴ ج.

۲۳۴- تاريخ كسوة الكعبة المشرفة منذ العهد القديم الى العهد الحديث

مجدى السيد البحراوى

المجاهد (القاهرة) س ۹: ع ۹۲ (۸/ ۱۹۸۸ م)ص ۴۰- ۴۲.

۲۳۵- تأريخ الكعبة

على حسين الخربوطلى

بيروت: دار الجيل، ۱۳۹۶ ه، ۱۹۲ص، ۲۴ سم.

بيروت: دار الجيل، ط ۳، ۱۴۱۱ ه، ۱۹۲ص، ۲۴ سم.

۲۳۶- تاريخ الكعبة المعظمة: عمارتها وكسوتها وسدانتها

حسين بن عبد اللّه باسلامة (ت ۱۳۵۹ ه)

جدة: تُهامة، ط ۲، ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۱ م، ۴۱۰ص، (الكتاب السعودى ۴۷).

ظ:

موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين ۶۴.

۲۳۷- تاريخ كعبه ومسجد الحرام

(بالفارسية)

محمد معصوم بن محمدصالح دماوندى

اعداد: رسول جعفريان

ميراث اسلامى ايران (قم) ع ۱ (۱۳۷۳ ش)ص ۲۲۵- ۲۴۹.

ميقات حج س ۴: ع ۱۲ (۱۳۷۴ ش)ص ۱۱۱- ۱۳۴.

۲۳۸- تاريخ المدينة

جعفر هاشم المدنى (۱۳۴۲ ه)

ظ:

العرب س ۳۱ ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۱.

۲۳۹- تاريخ المدينة

(مستخلص من كتاب السمهودى)

المستشرق الألمانى فستنفلد

غوتنغن: ۱۸۶ م، ۱۶۲ص.

ظ:

ص: ۲۸۴

موسوعة المستشرقين ۲۷۹.

۲۴۰- تاريخ المدينة

محمد بن عبد الرحمن بنصالح (ت ۸۵۶ ه)

ظ:

العرب س ۳۱: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۱.

۲۴۱- تاريخ المدينة

يحيى بن الحسن الحسينى المدنى (ت ۲۷۷ ه)

ظ:

معجم ما ألّف عن رسول اللّه (ص) ۹۴،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۱/ ۳۳۹.

۲۴۲- تاريخ المدينة قديماً وحديثاً

أحمد بن ياسين بن أحمد الخيارى (۱۳۸۰ ه)

باعتناء: عبيد اللّه محمد أمين كردى

المدينة المنورة: نادى المدينة الأدبى، ۱۴۱۰ ه.

۲۴۳- تاريخ المدينة لمؤلّفه عمر بن شبة النميرى

مارتن هايندز

فى:

الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ۵/ ۱۳۹۷ ه/ ۴/ ۱۹۷۷ م).

۲۴۴- تاريخ المدينة المنوّرة

عبيد مدنى (ت ۱۳۹۶ ه)

فى خمسة مجلّدات.

ظ:

موسوعة الادباء والكتاب السعوديين ۱۷۰.

۲۴۵- تاريخ المدينة المنوّرة

قطب الدين الحنفى من علماء القرن الثامن

خ: مصورة على ميكروفلم فى معهد إحياء المخطوطات العربية برقم ۹۶۵ تاريخ.

۲۴۶- تاريخ المدينة المنوّرة

مصطفى عمر زكى عشقى

(۱۱۹۴- ۱۲۷۶ ه)

ظ:

العرب. س ۳۱: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۲.

۲۴۷- تاريخ المدينة المنوّرة فى الشعر العربى قديماً وحديثاً

أحمد ياسين الخيارى (ت ۱۳۸۰ ه)

طبع فى عام ۱۴۱۴ ه

۲۴۸- تاريخ المدينتين

محمد عبد الرحمن المصرى السخاوى (۸۳۱- ۹۰۲ ه)

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

ص: ۲۸۵

۲۴۹- تاريخ مساجد المدينة المنورة

عبيد مدنى (ت ۱۳۹۶ ه)

ظ: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ۱۷۱.

۲۵۰- تاريخ المستبصر فيصفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز

ابن المجاور الشيبانى الدمشقى

مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ع ۳۲:ص ۳۸۳- ۳۸۵ (جعفر الحسنى).

۲۵۱- تاريخ المسجد النبوى

عبيد مدنى (ت ۱۳۹۶ ه)

ظ:

موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ۱۷۰.

۲۵۲- تاريخ معالم المدينة المنوّرة

أحمد ياسين الخيارى (ت ۱۳۸۰ ه)

المدينة: النادى الأدبى بالمدينة، ط ۲، ۱۴۱۰ ه.

۲۵۳- التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام

عبد القدوس الأنصارى (ت ۱۴۰۳ ه)

مكة المكرمة: نادى مكة الثقافى، ط ۱، ۱۴۰۳ ه، ۱۰۹ص، ۲۱ سم.

۲۵۴- تاريخ مكة

ابن فهد المكى (۸۵۰- ۹۲۱ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۵۵- تاريخ مكة

أحمد السباعى (ت ۱۴۰۴ ه)

مكة المكرمة: مطابع قريش، ط ۲، ۱۳۸۰ ه، ۳۱۲ص.

مكة المكرمة: نادى مكة الثقافى، ط ۴، ۱۳۹۹ ه، ۲ ج، ۷۰۴ص (باشراف: عاتق بن غيث البلادى).

مكة المكرمة: دار مكة، ط ۶، ۱۴۰۴ ه.

المجلة العربية س ۵: ع ۶ (۹/ ۱۹۸۱ م)ص ۱۵۷ عبد اللّه الشبتى.

مجلة الفكر العربى ع ۳۰ (كانون الاول ۱۹۸۲ م)ص ۱۹۴- ۱۹۸.

۲۵۶- تاريخ مكة

عثمان بن ساج (ت ۱۸۰ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۵۷- تاريخ مكة

محمد بن على الشيبى

(۷۷۹- ۸۳۸ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۵۸- تاريخ مكة

(بالفارسية)

محمد هادى الأمينى

ص: ۲۸۶

ترجمة: محسن الآخوندى

طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامى، ۱۳۷۲ ش، ۴۲۰ص، ۲۴ سم.

۲۵۹- تاريخ مكة المشرّفة والمسجد الحرام والمدينة المشرفة والقبر الشريف

ابن ضياء المكى

(۷۸۹- ۸۵۴ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۶۰- تاريخ مكة المكرمة

عبد الغنى حمادة

حلب: ۱۹۶۴ م.

۲۶۱- تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة والقبر الشريف

محمد بن أحمد بن الضياء الصاغانى أبو البقاء

خ: مصورة، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى فى جامعة امّ القرى، برقم ۱۷ تاريخ.

۲۶۲- تاريخ مكة وتراجم شرفاء مكة

عبد اللّه بن محمد (ق ۱۳ ه)

خ: طوپ قيوسراى، برقم ۰۵۱۱ ،۳۰۱ ۶۰۸۷ m ورقة، تاريخها ۱۲۶۹ ه.

۲۶۳- تاريخ مكة والمدينة والطائف

حسن بن على المكى العجيمى الحنفى (ق ۱۳ ه)

خ: جامعة الملك سعود، برقم ۴۳ تاريخ، ۱۲۶۷ ه.

۲۶۴- تاريخ مكة والمدينة والقدس

شهاب الدين أحمد القليوبى

خ: مصورة ميكرو فلمية، معهد احياء المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ۱۱۱ تاريخ.

۲۶۵- تاريخ مكة والمسجد الحرام المعروف بتحفة الكرام

محمد مهدى بن مرتضى بن محمد بن عبد الكريم الحسنى الحسينى الطباطبائى المعروف ب بحر العلوم ت ۱۲۱۲ ه.

خ:

مكتبة الشيخ على كاشف الغطاء فى النجف الأشرف بخط المؤلف.

مكتبة الشيخ هادى الشيخ عباس، الفيضية بقم، برقم ۹۷۳.

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانه مدرسه فيضيه قم، ۴۱.

ص: ۲۸۷

۲۶۶- تاريخ الملوک .. دولة مكة الشرفاء

تقى الدين الفاسى

(المؤرخ المكى المغربى).

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۶۷- تاريخ المملكة العربية السعودية

سيد محمد إبراهيم

الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ۱۴۰۶ ه، ۳۲۰ص، ۲۴ سم.

۲۶۸- تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها

صلاح الدين المختار

بيروت: دار مكتبة الحياة، ۲ ج: ۴۰۰+ ۵۴۴ص، ۲۴ سم.

۲۶۹- تاريخ وآثار اسلامى مكه مكرمه ومدينه منوره (بالفارسية)

أصغر قائدان

طهران: نشر مشعر، ط ۱، ۱۳۷۲ ش، ۳۷۷ص.

۲۷۰- تاريخچه پوشش كعبه

(بالفارسية)

يعقوب جعفرى

ميقات حج. س ۴: ع ۱۲ (تابستان ۱۳۷۴ ش)ص ۸۴- ۱۰۳.

۲۷۱- تبرک الصحابة بآثار رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وبيان فضله

محمد طاهر عبد القادر الكردى (ت ۱۳۶۵ ه)

القاهرة: ۱۳۸۵ ه، ۶۰ص.

القاهرة: ط ۲، ۱۳۹۴ ه، ۱۰۳ص.

طهران: ۱۹۷۷ م، ۲۱۷ص، (ترجمهُ الى الفارسية: حيدر انصارى نجف آبادى)

۲۷۲- تبرک الصحابة والتابعين بآثار النبى والصالحين، هل هو شرک فى الدين أو دليل إيمان ويقين؟

على الأحمدى الميانجى

بيروت: الدار الاسلامية، ط ۱، ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۳ م، ۴۳۸ص.

طهران: مؤسسة البعثة، ط ۲، ۱۹۸۵ م، ۴۶۰ص، ۲۴ سم.

۲۷۳- تبصرة الزائر فى الزيارات

محمد عباس بن على اكبر الشوشترى (ت ۱۳۰۶ ه)

ظ:

كشف الحجب والأستار ۹۵، مرآة الكتب ۲/ ۱۱۷، الذريعة ۳/ ۳۱۷، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۹/ ۳۹۰.

۲۷۴- تبصرة الزائر وكشف السرائر

(وهو ترجمة جملة من الأدعية والزيارات التى أوردها العلّامة المجلسى

ص: ۲۸۸

فی «زاد المعاد» و «تحفة الزائر»)

ظ:

الذریعة ۳/ ۳۱۷، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت ۹/ ۳۹۰.

۲۷۵- تبصرة الناسکین بسنن الحجاج والمعتمرین

حسین آل عصفور

اعداد: محسن آل عصفور

قم: دار الاعتصام، ۱۴۱۵ ه، ۸۲۷ص.

۲۷۶- تبیان الزیارة (فی شرح إحدی الزیارات الجامعة، بالفارسیة)

المولی باقر

ظ: الذریعة ۲۶/ ۱۵۰، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت ۹/ ۳۹۱.

۲۷۷- التبیین فی أنساب القرشیین

موفق الدین عبد اللَّه بن أحمد بن قدامة (ت ۶۲۱ ه)

اعداد: حمد الجاسر

العرب س ۱۸: ج ۵، ۶ (۹- ۱۰/ ۱۹۸۳ م)ص ۴۳۱- ۴۳۲، ج ۱۱، ۱۲ (۲- ۳/ ۱۹۸۴ م)ص ۱۱۰۴- ۱۱۱۳، س ۱۹ ج ۱، ۲ (۳- ۴/ ۱۹۸۴ م)ص ۱۰۷- ۱۱۰، ج ۴ (۶- ۷/ ۱۹۸۴ م)ص ۱۸۸- ۲۴۳، ج ۵، ۶ (۸- ۹/ ۱۹۸۴ م)ص ۳۸۸- ۴۰۶، ج ۷، ۸ (۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۴ م)ص ۵۲۱- ۵۶۰، ج ۹، ۱۰ (۱۲/ ۱۹۸۴ م- ۱/ ۱۹۸۵ م)ص ۶۹۱- ۶۹۷.

کما طبع فی:

بغداد: المجمع العلمی العراقی، ط ۱، ۱۹۸۲ م، ۵۹۲ص (تحقیق: محمد نایف الدلیمی).

بیروت: عالم الکتب، ط ۲، ۱۹۸۸ م، ۶۷۱ص (تحقیق: محمد نایف الدلیمی).

۲۷۸- التبیین فی تراجم الطبریین

ابن فهد القرشی،صاحب اتحاف الوری

ظ:

المنهل (جدة) مج ۵۱: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه)ص ۱۹۹.

۲۷۹- تجارة المسلمین فی المدینة

إبراهیم بیضون

المنطلق: ع ۳۳ (۱۱/ ۱۴۰۷ ه/ ۶/ ۱۹۸۷ م)،ص ۳۴- ۴۹،

ع ۳۴ (۱۲/ ۱۴۰۷ ه/ ۷/ ۱۹۸۷ م)،ص ۶۶- ۷۵.

۲۸۰- تجاوز آل سعود به حرم امن الهی

(بالفارسیة)

یوسف حکمت کامران

طهران: سازمان تبلیغات اسلامی، ط ۱، ۱۳۶۷ ش، ۷۶ص.

۲۸۱- تحدید موقع یلملم المیقات المکانی للحجاج القادمین من جنوب مکة

ص: ۲۸۹

العرب (الرياض) س ۱۸: ج ۱- ۲ (۴- ۵/ ۱۹۸۳ م)ص ۵۷- ۶۱.

۲۸۲- تحذير أئمة الإسلام عن تغيير بناء البيت الحرام

ابن زياد عبد الرحمن اليمنى

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۲۸۳- تحذير الناسك من بدع المناسك

محمد فريد

الهدى النبوى (القاهرة) س ۵۴: ع ۱۲ (۶/ ۱۹۸۹)ص ۳۷- ۴۰.

۲۸۴- تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء

عبد اللّه بن ابراهيم مير غنى

ظ:

التوسل بالنبى لابن مرزوق ۲۵۰، تراثنا: ع ۱۷ (۹- ۱۲/ ۱۴۰۹ ه)ص ۱۵۶.

۲۸۵- تحصيل المرام فى أخبار البلد الحرام

أو

(تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام)

محمد بن أحمد الصباغ المكى

(۱۲۴۳- ۱۳۲۱ ه)

خ:

الدهلوى بخزانة الحرم المكى/ ۱۱.

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۲۸۶- تحصيل المرام فى تاريخ البلد الحرام

[وهو مختصر كتابه العقد الثمين]

محمد بن أحمد تقى الدين الفاسى المغربى الأصل (۷۷۵- ۸۳۲ ه)

خ:

الدهلوى بالحرم المكى/ ۱۰.

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۲۸۷- تحفة الأكياس فى تفسير قوله تعالى: (انّ أوّل بيت وضع للناس)

شهاب الدين أحمد بن سيد شمس الدين محمد الحسنى الحموى

خ: الظاهرية، برقم ۵۷۱۳

۲۸۸- التحفة الايقاضية فى الرحلة الحجازية

سليمان فيضى

البصرة: ١٣٣١ ه/ ١٩١٢ م.

٢٨٩- تحفة الحرمين

(مثنوى بالفارسية)

ص: ۲۹۰

خ: مسجد اعظم بقم، برقم ۲۲۷۷، ۲۵۵ ورقة، تاريخها ۱۲۸۵- ۱۲۸۷ ه.

ظ:

فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مسجد اعظم قم، ۶۵.

۲۹۰- تحفة الحرمين: سفرنامه نايب الصدر شيرازى در زيارت مكّه وسياحت ايران وهند

(بالفارسية)

زين العابدين محمد معصوم بن عليشاه نايب الصدر

طهران: انتشارات بابک، ط ۱، ۱۳۶۲ ش، ۳۱۲ص، ۲۴ سم.

۲۹۱- تحفة الحرمين وسعادة الدارين

(بالفارسية)

ميرزا آقا بن زين العابدين بن نائب الصدر بن محمد حسن بن معصوم القزوينى الشيرازى (۱۲۷۰- ۱۳۴۴ ه)

۲۹۲- تحفة الخيرة فى أحكام الحجّ والعمرة

عبد اللَّه بن محمد حسن المامقانى النجفى

(۱۲۸۷- ۱۳۵۱ ه)

۲۹۳- تحفة الدهر ونفحة الزهر فى شعراء المدينة من أهل العصر

عمر بن عبد السلام الداغستانى

(۱۱۷۳- ۱۲۰۶ ه)

فرغ من تأليفه سنة ۱۲۰۱ ه.

يقوم بتحقيقه عاصم حمدان وبكرى شيخ أمين.

۲۹۴- تحفة الزائر

(المعرب، وهو غير تحفة الزائر المعرب الآتى)

عبد اللَّه بن محمد رضا آل شبر الحسينى الكاظمى (۱۲۴۲ ه).

ظ:

كشف الحجب والأستار ۱۰۵، مرآة الكتب ۲/ ۱۳۵، الذريعة ۳/ ۴۳۸، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۹/ ۳۹۵.

۲۹۵- تحفة الزائر

عبد المطلب الحسينى

ظ:

الذريعة ۳/ ۴۳۹، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۹/ ۳۹۵.

۲۹۶- تحفة الزائر

(فى الزيارات المروية بطرق معتبرة، بالفارسية)

محمد باقر المجلسى

طهران: ۱۲۶۱ ه، و ۱۲۷۴ ه، و ۱۳۱۳ ه.

طهران: ۱۳۱۴ ه، ۵۸۷ص، حجرية (باهتمام: فضل اللَّه النورى)

تبريز: ۱۳۶۲ ه، و ۱۳۰۰ ه.

ص: ۲۹۱

۲۹۷- تحفة الزائرين (بالفارسية)

محمد حسينصديقى

مشهد: كاروانصداقت، ط ۵، ۱۳۹۰ ه، ۱۰۵ص.

۲۹۸- تحفة الزائرين (بالفارسية)

ناصر الدين حنفى حسن بخارى

بخارى: ملا محمد مهدى مخدوم، ۱۳۲۸ ه، ۱۴۴ص، حجرية، رحلى.

۲۹۹- تحفة الزائرين

(مجموعة من الزيارات والمناجاة والقصايد فى مديح ثامن الأئمة عليه السلام وأخته المدفونة بقم).

على خانصفاء السلطنة النائنى.

خ: الرضوية، تاريخها ۱۳۰۰ ه.

ظ:

الذريعة ۳/ ۴۳۹، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللّه عليهم ۹/ ۳۹۶.

۳۰۰- التحفة الزاكية فى دخول المدينة المنوّرة وآداب الزيارة الشرعية

عبد الرحمن محمد المدنى

القاهرة: مطبعة مدكور، ۱۹۵۳ م، ۸، ۳۰ص.

۳۰۱- تحفة الزوّار

عبد الرزاق المؤمن

ظ: ايضاح المكنون ۱/ ۲۴۹، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللّه عليهم ۹/ ۳۹۶.

۳۰۲- تحفة الزوار الى قبر النبى المختار

أحمد بن حجر الهيثمى (ت ۹۷۴ ه)

خ:

الحرم المكى برقم ۱۳۳.

ظ:

ايضاح المكنون ۱/ ۲۴۹،

هدية العارفين ۱/ ۱۴۶،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ۳۵۴.

۳۰۳- التحفة الشمّاء فى تاريخ العين الزرقاء

أحمد ياسين الخيارى

تعليق واخراج: عبيد اللّه محمد أمين كردى

طبع عام ۱۴۱۲ ه.

۳۰۴- تحفة القرى فى فضل القاطنين بامّ القرى

على بن أبى بكر ابن الجمال المكى

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۰۵- تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام (وهو مختصر شفاء الغرام)

محمد بن أحمد الفاسی (ت ۸۳۲ ه)

ظ:

كشف الظنون ۱/ ۳۷۲،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله ۱۸.

ص: ۲۹۲

۳۰۶- تحفة الكرام بأخبار عمارة السقف والباب من البيت الحرام

علىّ بن عبد القادر الطبرى (ت ۱۰۷۰ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۰۷- تحفة اللّطائف فى فضائل ابن عباس ووج والطائف

عبد الحفيظ بن عثمان القارى (ت ۱۳۲۶ ه)

خ:

الحرم المكى برقم ۱۵

۳۰۸- التحفة اللطيفة فى أنباء المسجد والكعبة الشريفة

جار اللّه بن عبد العزيز ابن فهد (ت ۹۵۴ ه)

ظ:

كشف الظنون ۱/ ۲۷۳،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ۱۸،

فهرس الفهارس والاثبات ۹۱۲.

۳۰۹- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة

شمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى المصرى الشافعى

(۸۳۱- ۹۰۲ ه)

خ:

طوپ قپو سراى ۷۲۵ M فى ۴۱۲ ورقة، سنة ۹۵۲ ه.

مكتبة المرعشى بقم مصوّرة عن نسخة طوپ قپو سراى برقم ۱۹۸.

المدينة برقم ۵۲۷، سنة ۹۵۲ ه.

طبع فى:

القاهرة: ط ۱، ۱۹۵۷ م (بعناية: أسعد در ابزونى).

القاهرة: دار الثقافة للطباعة، ۱۳۹۹ ه (نشر: أحمد طرابزونى وبعناية محمد حامد الفقى)

ظ:

بروكلمان الذيل ۲/ ۳۳، فهرس المخطوطات المصورة فى مكتبة المرعشى ۱/ ۱۸۱، معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ۹۴.

۳۱۰- التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة

محمد بن خضر الرومى الحنفى (ت ۹۴۸ ه)

مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية (مدريد)، المجلد الأول، الجزء الثالث (۱۹۵۵ م)ص ۱۴۹ - ۱۵۷ (بعناية: عبد العزيز الاهوانى)

وأعاد نشرها: حمد الجاسر فى (رسائل فى تاريخ المدينةص ۸۵- ۲۹۲).

ص: ۲۹۳

۳۱۱- تحفة المجاور

(فی فضل زیارة الأئمة الطاهرین علیهم السلام وبالأخص الامام الحسین علیه السلام، بالفارسیة)

محمد کاظم بن محمد شفیع الهزار جریبی، ألّفه سنة ۱۲۲۲ ه.

خ:

المرعشی بقم، مجموعة ۴۳۷۰، من ۵۸ پ- ۷۵ ر.

ظ:

فهرس المرعشی ۱۱/ ۳۷۱- ۳۷۲، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۹/ ۴۰۰.

۳۱۲- تحفة المحب للمحبوب فی تنزیه مسجد الرسول عن کل خصی ومجبوب

(رسالة کتبها الی السلطان سلیمان)

محمد بن زین الدین الخطیب بالحرم النبوی

ظ:

کشف الظنون ۳۷۳،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله ۱۷۳.

۳۱۳- تحفة المحبّین لزیارة مسجد سید المرسلین

جعفر بن حسین هاشم الحسینی المدنی

دمشق: مطبعة المقتبس، ۱۴ص.

ظ:

معجم المطبوعات العربیة لسرکیس ۷۷۷.

۳۱۴- تحفة المحبّین والأصحاب فی معرفة ما للمدنیّین من أنساب

عبد الرحمن بن عبد الکریم الأنصاری

(۱۱۲۴- ۱۱۹۷ ه)

تحقیق: محمد العروسی المطوی

طبع فی عام ۱۳۹۰ ه.

۳۱۵- تحفة المحبّین للمحبوب فی تنزیه مسجد رسول اللّه من کلّ خصیّ ومجبوب (رسالة)

جمال الدین القطان (من علماء القرن الثانی عشر)

ظ:

العرب. س ۳۱، ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۶.

۳۱۶- التحفة المختارة فی ثواب الزیارة

محمد بن أحمد الموسوم

(۱۲۳۷- ۱۳۰۰ ه)

ظ:

معجم أعلام الجزائر ۳۲۳،

معجم المؤلّفين ۹/ ۲۳.

۳۱۷- التحفة المختارة فى الرد على منكر الزيارة

تاج الدين عمر بن على اللخمى المالكى الفاكهانى (ت ۸۳۱ ه)

ظ:

الغدير ۵/ ۸۶.

ص: ۲۹۴

۳۱۸- تحفة الناسك فى بيان المناسك

أحمد الاسلامبولى

علّق عليه: عبد اللطيفصالح فرفور

دمشق: مكتبة دار الفتح، ۱۹۷۰ م، ۱۹۱ص.

۳۱۹- تحفة النسّاك

(ارجوزة فى مناسك الحج)

طاهر بن عبد على بن عبد الرسول الحجّامى المالكى (ت ۱۲۷۹ ه)

ظ: الذريعة ۳/ ۴۷۷.

۳۲۰- التحفة اليمنية فى الأخبار الحجازية

محمد اليمنى بن على بن عرعار محار العنابى الجزائرى

القاهرة: ۱۳۱۱ ه، ۳۹ص.

۳۲۱- تحقيق حول الجدال المحظور فى الحج

عباس على عميد الزنجانى

(طهران): مؤسسة الحج، ط ۱، ۱۳۶۴ ش، ۴۰ص، ۲۱ سم.

۳۲۲- تحقيق حول شعب أبى طالب

على قاضى عسكر

ميقات الحج ع ۳ (۱۴۱۶ ه)ص ۱۶۸- ۱۹۹.

۳۲۳- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة

(جمعه من كتابى: الدرّة الثمينة فى تاريخ المدينة، لمحبّ الدين ابن النجار، والذيل الذى كتبه الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد المطرى)

زين العابدين أبى بكر بن الحسين بن عمر العثمانى المراغى (ت ۸۱۶ ه)

خ:

طوپ قبو سراى برقم ۸۹۴ ۱۰۶۶ K

المرعشى بقم برقم ۴۸۳۷ فى ۹۴ ورقة.

مغنيسيا ۱۳۳۶/ ۱، كتب فى حياة المؤلف سنة ۷۷۷ ه

دار الكتب، تاريخ ۵۹.

دار الكتب المصرية برقم ۵۹ تاريخ، واخرى برقم ۱۶۴۱ تاريخ.

طبع فى:

القاهرة: ۱۹۵۵ م.

المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ط ۲، ۱۴۰۱ ه (تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى)

ظ:

صلة الخلف بموصول السلف ۱۷۹،

كشف الظنون ۱/ ۳۷۸،

فهرس المرعشى ۱۳/ ۳۳- ۳۷،

الغدير ۵/ ۱۱۵،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ۹۵،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۱/ ۳۶۰.

ص: ۲۹۵

۳۲۴- التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنّة

عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز

المدينة المنورة، ادارة البحوث العلمية والافتاء، ط ۲۰، ۱۳۹۷ ه، ۹۴ص، ۲۱ سم.

۳۲۵- تحقيق وتتبع حجّ از نظر قرآن

(بالفارسية)

ناصر كمره‌اى

جامعة طهران: كلية الالهيات، ۱۳۴۸ ش، ۱۰۸ص (رسالة جامعية)

۳۲۶- تحقيقى درباره أخبار حجة الوداع

(بالفارسية)

ابوالقاسم اجتهادى

مقالات وبررسيها (طهران) ع ۲۵، ۲۶ (۱۳۵۵ ش)ص ۱۲۳- ۱۳۸.

۳۲۷- تحليل زمانى ومكانى لزيارة الحجاج المسلمين الى المدينة المنورة

عيسى موسى الشاعر

المجلة العربية للعلوم الانسانية (الكويت) مج ۲: ع ۸ (خريف ۱۹۸۲ م)ص ۱۵۰.

۳۲۸- تحليلى از مناسك حجّ

(بالفارسية)

على شريعتى

طهران: انتشارات الهام، ط ۵، ۱۳۷۳ ش، ۳۰۴ص، ۲۴ سم.

۳۲۹- تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة

ابراهيم العدوى

منبر الاسلام س ۴۹: ع ۸ (۲/ ۱۹۹۱ م) شعبان ۱۴۱۱ هص ۶۷- ۷۰.

۳۳۰- تحية الزائر

اسماعيل بن على نقى التبريزى

(۱۲۹۵ ه)

ظ:

الذريعة ۳/ ۴۸۸، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللّه عليهم ۹/ ۴۰۲.

۳۳۱- تحية الزائر

(بالفارسية)

حسين النورى

طهران: ۱۳۲۰ ه، ۳۵۵ص، حجرية.

تبريز: ۱۳۲۲ ه، حجرية.

طهران: ۱۳۲۷ ه، ۴۳۱ص، ۲۱ سم، حجرية.

۳۳۲- تحية الزائر

عبد اللَّه بن محمد رضا آل شبر الحسينى الكاظمى (ت ۱۲۴۲ ه)

ظ:

الذريعة ۳/ ۴۸۹، ۲۴/ ۹۴، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۹/ ۴۰۲.

ص: ۲۹۶

۳۳۳- تدويل الحرمين بدعة لا يقرها الإسلام

جاد الحق على جاد الحق

رسالة الإسلام (القاهرة) ع ۲۷ (۵/ ۱۹۸۸ م)ص ۲۲- ۲۳.

۳۳۴- تذكار الحجاز

عبد العزيزصبرى

القاهرة: المطبعة السلفية، ۱۳۴۲ ه، ۲۲۸ص.

۳۳۵- تذكرات وتوصيه‌هاى ضرورى به زائران بيت اللّه الحرام (بالفارسية)

طهران: منظمة الحج والأوقاف والامور الخيرية، ط ۱، ۱۳۶۵ ش، ۴۸ص، ۱۷ سم.

۳۳۶- تذكرة الطريق فى مصائب حجاج بيت العتيق

خ: برلين برقم ۴۵۴.

۳۳۷- تذييل شفاء الغرام

الصديقى

مخطوط

ظ:

المنهل (جدة) مج ۵۱: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه)ص ۱۹۹.

۳۳۸- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلميّة التى كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية فى المدينة المنوّرة العلية

عبد الحى بن عبد الكبير بن محمد الإدريسى الكتانى (ت بعد سنة ۱۳۷۸ ه)

الرباط: ۱۳۴۶ ه.

بيروت: دار الكتاب العربى (أفسيت)

بيروت: دار الكتاب الدولى، ۱۹۸۴ م، ۲ مج، ۲۵ سم.

مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق مج ۹:

ص ۱۲۶ (مسعود الكواكبى) ومج ۱۱:

ص ۴۴۵- ۴۴۷ (عبد القادر المغربى)

۳۳۹- تراجم أعيان الحجاز واليمن فى القرن الحادى عشر

محمد أمين بن فضل اللّه بن محبّ اللّه بن محمد (ت ۱۱۱۱ ه)

خ: جامعة برنستون، برقم ۷۱۰.

۳۴۰- تراجم أعيان المدينة المنورة فى القرن الثانى عشر الهجرى

أبو محمد المقدسى

حققه: محمد التونجى.

د. م: دار الشروق، ۱۴۰۴ ه.

۳۴۱- تراجم الفضلاء من المدينة

محمد بن عبد اللَّه المعروف بمحمد كبريت (۱۰۷۰ ه)

ظ:

العرب. س ۳۱: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۸.

ص: ۲۹۷

۳۴۲- تراجم مشايخ الكتاتيب فى بلد الحبيب

دخيل اللَّه عبد اللَّه حميد الحيدرى

ظ:

موسوعة الادباء والكتّاب السعوديين ۱/ ۲۸۸.

۳۴۳- التراويح: أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام

عطية محمد سالم

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ۱۹۸۷ م، ۱۹۶ص.

۳۴۴- ترجمة الأعلام فى أخبار بلد اللَّه الحرام

محمود عبد الباقى الرومى

(۹۳۳- ۱۰۰۸ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۴۵- ترجمه باب حجّ از كتاب «المختصر النافع» وتطبيق آن با حجّ در فقه عامّه (بالفارسية)

حسين كفّاش

جامعة طهران: كلية الالهيات، ۱۳۵۶ ش، د+ ۱۳۰ص (رسالةجامعية)

۳۴۶- ترجمة الحج (بالفارسية)

محسن الفيض الكاشانى (ت ۱۰۹۱ ه)

خ: سپهسالار، برقم ۶۳۹۸.

۳۴۷- ترجمة كتاب «اخبار مكه شرّفها اللَّه تعالى وما جاء فيها من الآثار»

(بالفارسية)

محمد بن عبد اللَّه بن أحمد الأزرقى

ترجمة: محمود مهدوى الدامغانى

طهران: بنياد، ۶۲۳ص، ۲ ج فى ۱ مج.

۳۴۸- ترجمة منتخب كامل الزيارات

ابن قولويه

طهران: ميقات، ۱۳۶۵ ش/ ۱۹۸۶ م، ۳۷۸ص، ۲۴ سم.

۳۴۹- ترجمه منتخب مناسك حج

صاحب الجواهر

خ: مسجد اعظم بقم، برقم ۲۹۲۷، تاريخها ۱۲۶۸ ه.

ظ:

فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانه مسجد اعظم قم،ص ۳۸۵.

۳۵۰- ترجمة وشرح زيارت شريفه جامعه كبيره (بالفارسية)

محمد محدّث خراسانى

مشهد: ۱۳۴۸ ش، ۱۸۰ص.

۳۵۱- التردد على الآثار النبوية والمشاهد الدينية والتبرك بزيارتها

محمد علوى المالكى

الاسلام وطن (القاهرة) س ۴: ع ۳۸ (۵/ ۱۹۹۰)ص ۱۴- ۱۵.

ص: ۲۹۸

۳۵۲- ترغيب أهل المودّة والوفاء فى سكن دار الحبيب المصطفى

اسماعيل عبد اللّه النقشبندى

خ:

عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ۶۷/ ۹۰۰.

احدى المكتبات فى المدينة المنورة تاريخها ۱۲۶۹ ه.

۳۵۳- ترغيب فى الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام

عبد النبى غالب أحمد عيسى

الخرطوم: دار الفكر، ط ۳، ۱۹۸۷، ۵۶ص.

۳۵۴- ترك الصلاة على محمد وآله فى الركوع والسجود

أحمد بنصالح بن طوق

ظ:

الموسم مج ۳: ع ۹، ۱۰ (۱۴۱۱ ه)،ص ۴۲۹.

۳۵۵- تسهيل أمور الزوّار

(وهو فى زيارات قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام الواقعة فى العتبات)

محمود بن على بن محمد الحسينى التبريزى (ت ۱۳۳۸ ه)

ظ:

الذريعة ۴/ ۱۸۱، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۹/ ۴۰۹.

۳۵۶- التشويق الى البيت العتيق

جمال الدين محمد بن أحمد الطبرى المكى الشافعى

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۵۷- تشويق الأنام الى الحج الى البيت الحرام

مرعى بن يوسف الكرمى المقدسى

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۵۸- تشويق الحرمين

فضل اللّه بن القاضى نصير الكسائى

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۵۹- تصاوير الحرمين المكى والنبوى فى الفن الإسلامى

ربيع حامد خليفة

الأزهر س ۵۵: ج ۴ (۴/ ۱۴۰۳ ه ۱/ ۱۹۸۳ م)ص ۴۹۷- ۵۰۳.

۳۶۰- التصوير القرآنى لفريضة الحج

على مصطفيصبيح

الفيصل س ۷: ع ۷۸ (۹- ۱/ ۱۹۸۳ م)ص ۳۵- ۳۷.

ص: ۲۹۹

۳۶۱- التضحية أنواعها ومجالاتها

نبيه عبد ربه

منار الإسلام (أبو ظبى) س ۱۴: ع ۲ص ۹۵- ۱۰۱.

۳۶۲- تطوّر الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى

محمد فهد عبد اللّه العفر

مكة المكرمة: جامعة امّ القرى، كلية الشريعة، ۱۴۰۰ ه، ۴۷۶ص (رسالة جامعية)

۳۶۳- تطوير العمليات الادارية فى الأجهزة الأمنية لمواجهة مشكلات الحجاج: دراسة تطبيقية على إمارة مكة المكرمة

عويض سويلم القثامى

الرياض: المعهد العالى للعلوم الأمنية، ۱۴۱۵ ه (رسالة ماجستير).

۳۶۴- تعريف بكتاب «أخبار مكة» للفاكهى

محمد على مهدوى‌راد

ميقات الحج ع ۲ (۱۴۱۵ ه)ص ۲۹۳- ۳۱۷.

۳۶۵- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة

(فى تاريخ المدينة المنورة)

جمال الدين أبى عبد اللّه محمد بن أبى جعفر أحمد بن خلف الخزرجى السعدى العبادى المدنى المعروف:

بالمطرى (ت ۷۴۱ ه)

خ:

مكتبة لاله لى اسماعيل ۶۲.

دار الكتب، تاريخ ۵۶.

جامعة كمبردج برقم ۷۹۰ أدد مشترك، ۶۶ ورقة.

عارف حكمت برقم ۶۹/ ۹۰۰.

دار الكتب المصرية برقم ۶۳۸ تاريخ تيمور.

جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، ۱۴۰۵ ه.

(حقّقه: عبد اللّه بن سليمان بن محمد اللهيب) (رسالة ماجستير)

ظ:

ايضاح المكنون ۱/ ۲۹۶،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ۹۵،

المورد مج ۳: ع ۴ (۱۹۷۴ م)ص ۲۶۹،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۱/ ۳۹۸.

۳۶۶- تعريف الحرمين

(بالفارسية)

محمود بن محمد

ظ:

فهرست مشترک باکستان ۱۰/ ۱۵.

ص: ۳۰۰

۳۶۷- تعلم كيف تحج وتعتمر على المذاهب الأربعة

نور الدين عتر

دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ط ۱، ۱۹۸۴ م، ۱۵۹ص.

۳۶۸- التعليم الأهلى للبنين فى مكّة المكرّمة: تنظيمه والاشراف عليه

فيصل عبد اللّه المقادى

مكة المكرمة: نادى مكة الثقافى، ۱۴۰۴- ۱۴۰۵ ه، ۲۹۸ص، ۲۴ سم.

۳۶۹- التعليم فى المدينة المنورة فى عهد النبيصلى الله عليه و آله و سلم.

سندلافى الشامانى الحربى

المدينة المنورة: جامعة الملك عبد العزيز، كلية التربية، ۱۴۱۱ ه (رسالة ماجستير)

۳۷۰- التعليم فى المدينة المنورة من العام الهجرى الأول الى عام ۱۴۱۲ ه.

(دراسة تاريخية وصفية تحليلية)

ناجى محمد حسن عبد القادر الأنصارى

المدينة المنوّرة: المؤلف، ۱۴۱۴ ه، ۷۹۶ص، ۲۱ سم.

۳۷۱- التعليم فى مكة فى مطلع هذا القرن

العرب س ۱۳:ص ۵۳۱.

۳۷۲- التعليم فى مكّة والمدينة آخر العهد العثمانى

محمد عبد الرحمان الشامخ

الرياض: دار العلوم، ط ۲، ۱۴۰۲ ه، ۱۸۳ص، ۲۴ سم.

۳۷۳- تعليمات الحج للعام الحالى ۱۴۱۱ ه

الرابطة (مكة المكرمة) س ۲۹: ع ۳۱۵ (۵/ ۱۹۹۱)،ص ۱۷- ۲۷.

۳۷۴- تعيين سمت قبله مدينه توسط پيامبر اسلامصلى الله عليه و آله و سلم

(بالفارسية)

حسن حسن زاده آملى

ميقات حج س ۱: ع ۲ (زمستان ۱۳۷۱ ش)،ص ۴۳- ۵۲.

۳۷۵- تفضيل مكة على المدينة

ابن القيم الجوزية (۶۹۱- ۷۵۱ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۷۶- تقريب بين شيعه وسنت در مناسك حج

(بالفارسية)

عبد اللّه بى‌آزار شيرازى

ميقات حج س ۱: ع ۱ (پاييز ۱۳۷۱ ش)ص ۱۱۶- ۱۰۹.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹